المجلد: (الرابع عشر)

العدد: (الثامن عشر) أكتوبر 2025م

"عدد خاص بكتاب: (أَسْبَابُ وَعَلَامَاتُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ والفَوزِ بالجَنَةِ)."

International Journal of Arabic Language and Literature Research

المجلة الدولية لبحوث اللغة العربية وآدابها

(IJALR)

مجلة علمية دورية محكمة

تصدرها الجمعية العربية لأصول التربية والتعليم المستمر

(ASFC)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353

الكتاب: رقم: (2).

أَسْبَابُ وَعَلَامَاتُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ والفَوزِ بالجَنَةِ.

إعداد وجمع وترتيب:

أ.د.م. أسامة عبد الغفار محمد علي الشريف.

أستاذ مساعد بجامعتي تبوك والملك سعود سابقاً.

عميد أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب والاستشارات.

وداعية إسلامي.

2025م 1446هـ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

مُقَدِمَةُ الكتاب.

إن الحديث عن موضوع حُسْنِ الخَاتِمَةِ، يهدف إلى تحفيز المسلمين على الاستعداد للموت والتفكر في عواقبه، والسعي لتحقيق خاتمة حسنة من خلال الأعمال الصالحة والإخلاص في العبادة وتجنب المعاصي.

كما يهدف إلى بث الأمل في رحمة الله ورضوانه، **وأسباب الحديث عن حُسْنِ الخَاتِمَةِ كثيرة ومتنوعة، ومنها ما يلي:**

1. **التذكير بالموت:** فالموت حقيقة لا مفر منها، والحديث عن حُسْنِ الخَاتِمَةِ يذكر المسلمين بهذه الحقيقة، ويدعوهم إلى الاستعداد لها.
2. **التحفيز على العمل الصالح:** الحديث عن علامات حُسْنِ الخَاتِمَةِ، مثل: الإخلاص والمداومة على الطاعات، يحفز المسلمين على فعل الخير والتقرب إلى الله.
3. **التوبة والرجوع إلى الله:** الحديث عن حُسْنِ الخَاتِمَةِ يفتح باب الأمل في رحمة الله والتوبة من الذنوب، ويشجع على العودة إلى الله قبل فوات الأوان.
4. **الابتعاد عن المعاصي:** معرفة علامات سوء الخاتمة، مثل الإقبال على الدنيا وترك الصلاة، يساعد على تجنب المعاصي والابتعاد عن أسباب الغضب الإلهي.
5. **الاستعداد للقاء الله:** تذكر الموت وحُسْنُ الخَاتِمَةِ يدفع المسلم إلى الاستعداد للقاء الله بالعمل الصالح والإخلاص في العبادة.
6. **تحقيق السعادة الأبدية:** حُسْنُ الخَاتِمَةِ؛ هو طريق الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وبالتالي فهو طريق السعادة الأبدية.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

7. **نشر الوعي الديني:** الحديث عن حُسْنِ الخَاتِمَةِ يسهم في نشر الوعي الديني بين المسلمين ويدعوهم إلى الاهتمام بأمور دينهم.
8. **تخفيف قلق الموت:** الحديث عن حُسْنِ الخَاتِمَةِ يقلل من الخوف والقلق من الموت، ويربطه بالأمل في رحمة الله وفضله.

والله تبارك وتعالى حكم عدل، وفضله عظيم ورحمته تسع كل شيء، وهي تغلب غضبه، وهو سبحانه يجازي الحسنة بعشرة أمثالها أو يزيد، ولا يجزي السيئة إلا بمثلها أو يعفو ويغفر، والرجاء فيه تبارك وتعالى ليس له حد ينتهي إليه.

ليس هناك من العلامات ما يمكن الاستدلال به على صلاح العبد وتقواه، وقد يستأنس بما قد يظهر أحياناً على الميت من ابيضاض وجهه، أو إشراقه بابتسامة رقيقة، ونحو ذلك إذا كان معروفاً في حياته بالصلاح، إلا أن مثل ذلك لا يكون على سبيل القطع والجزم.

فإذا كان العبد معروفاً بالصلاح والتقوى في حياته، ثم أشرق وجهه وابيض بعد موته، كان ذلك مما يُسْتَبْشَرُ بِه ويُسْتَأْنَسُ.

كما أن حُسنَ ثناءِ الناسِ عليه بعد موته ودعائهم له من علامات صلاحه، وكذا حُسنَ الصحبةِ التي كان عليها في حياته هي من علامات صلاحه.

وأسباب حُسْنُ الخَاتِمَةِ كثيرة متعددة، منها: الاستقامة على طاعة الله، وحُسنُ الظنِ بالله، والصدق، والتقوى، والتوبة، وذكر الموت وقصر الأمل، والإقبال على الآخرة، ومصاحبة أهل الخير والصلاح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ولنعلم أن عقيدة أهل السـنة أنهم لا يقطعون لمسـلم بجنة ولا نار، إلا من شـهد له النص بذلك كالعشرة المبشرين بالجنة، لكنهم يرجون الجنة لمحسـنهم، والمغفرة لمسيئهم، كما أن النصوص الشرعية قد دلت على أن ما يصيب المسلم في هذه الدنيا من آفات وبلايا يكون كفارةً لذنوبه، أو رفعاً لدرجته.

الخاتمة الحسـنة، هي أن يموت الإنسـان على طاعة الله- تبارك وتعالى-، أن يموت وهو قائمُ على فرائض الله، مجتنبُ للمحرمات، متباعدُ عن المنكرات، مقتدٍ برسـول الله ﷺ؛ فمن مات على هذا الحال فميتته طيبة، وخاتمته حسـنة حميدة، بإذن الله تبارك وتعالى.

ليس المقصـود من حسـن الخاتمة- فقط-، أن تموت وأنت في المسـجد، أو على سـجادة الصـلاة، أو تموت والمصـحف بين يديك، فقد مات خير البرية جمعاء ﷺ وهو على فراشـه، ومات صـديقُه الصـديقُ أبو بكر- رضي الله عنه- وهو خيرُ الصـحابة على فراشـه، ومات خالد بن الوليد- رضي الله عنه- على فراشـه وهو الملقب بسيف الله المسلول، والذي خاض قرابة مائة معركة، ولم يخسر أياً منها.

ولكِنَّ، حُسْـنَ الخاتمة: أن تموتَ وأنت بريءٌ من الشرك، حُسْـنَ الخاتمة: أن تموتَ وأنت بريءٌ من النفاق، حُسْـنَ الخاتمة: أن تموتَ وأنت مفارقٌ للمبتدعة بريءٌ من كل بدعة، حُسْنَ الخاتمة: أن تموتَ وأنت على الكتاب والسنة ومؤمنٌ بما جاء فيهما دون تأويل.

حُسْـنَ الخاتمة: أن تموتَ وأنت خفيفُ الحمل من دماء المسـلمين وأموالِهم غير ظالم لهم ولأعراضِـهم، مؤدياً حق الله عليك وحق عباده عليك، حُسْـنَ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الخاتمة: أن تموتَ سـليمَ القلب طاهرَ النوايا وحَسَـنَ الأخلاق؛ لا تحملُ غلاً ولا حقداً ولا ضغينةً لمسلم.

حُسْـنَ الخاتمة: أن تصـلي خمسَـكَ في وقتها مع الجماعة لمن لهم حقُّ الجماعة وتؤدي ما افترضـه اللهُ عليك لأهلك وبيتك، حُسْـنَ الخاتمة: حُسْـنَ الخاتمة، أن تكون ملتزماً بأمور دينك، حُسْنَ الخاتمة: أن تكون محباً لجارك، واصلاً لرحمك، راحماً للصغير، ومحترماً وموقراً الكبير.

اللهم أَحسـنْ عاقبتَنا في الأمور كلِّها، وأجرْنا من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة، اللهم أَحسنْ خاتمتَنا، وردَّنا إليك رداً جميلاً، غير مخزٍ ولا فاضحٍ.

للتواصل: 00201090854422
osama.elshrief@yahoo.com

إعداد وجمع وترتيب:
أ.د.م. أسامة عبد الغفار محمد علي الشريف.
أستاذ مساعد بجامعتي تبوك والملك سعود سابقاً.
عميد أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب والاستشارات.
وداعية إسلامي.

2025م 1446هـ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الأَوَلُ.

مفهوم حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

واشتمل على ما يلي:-

1. مُقَدِمَةٌ.
2. الأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة.
3. الأعمال بالنيات.
4. الأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة.
5. العبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات.
6. السَّعيُ لحُسْنِ الخَاتِمَةِ.
7. المؤمن بين الخوف والرجاء.
8. التفاؤل من الإسلام.
9. حكمة الله في إخفاء مصير المُتَوَفَي.
10. الترغيب في حُسْنِ الاستعدادِ للموت.
11. خاتمة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الأَوَلُ.

مفهوم حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

مُقَدِمَةٌ.

إنَّ ربَّكم غَنيٌّ عَنكم، لا تضرّه مَعصيةُ مَنْ عَصاه، ولا تَنفعُه طاعةُ مَنْ أطاعَه، كما قال الله- تعالى- في الحديث القدسيِّ الذي **رواه مسلم، عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ:(يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)** [1].

---

[1] . الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2577، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري.

وفي رواية مسلم عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه-، قال: (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قالَ: يا عِبَادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا.

يا عِبَادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ. وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبَادِي، فلا تَظَالَمُوا) (أخرجه مسلم (2577) باختلاف يسير).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

شرح الحديث.

الظُّلمُ أنواعٌ، أعظَمُها الشِّركُ باللهِ- تعالَى-؛ قال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، ومِنها: ظُلمُ العَبدِ لِنَفسِه بفِعلِ المعاصي والآثامِ، ومنها: ظُلمُ العَبدِ لِغَيرِه بالتعَدِّي على مالِه أو دَمِه أو عِرْضِه.

وفي هذا الحديثِ يَرْوي أبو ذَرٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه-: أنَّ النَّبيَّ ﷺ روى عَنِ اللهِ «**تَبارَك وتعالَى**»، ومعنى «**تَبارَك**» أي: تَكاثَرَ خيْرُه، وظَهَر في هذا الخيرِ بعضُ أثرِه، «**وتعالَى**» أي: ارتفَعَ عن مُشابَهةِ المخلوقينَ، فقال سُبحانَه وتَعالَى: «**يَا عِبادِي**» فخاطَبَ عِبادَه مِن الثَّقلينِ الإنسِ والجِنِّ، « **إنِّي حرَّمْتُ**» أي: منعْتُ «**الظُّلمَ على نَفْسِي**» والظُّلمُ هو وَضعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوضعِه، وقدْ تَقدَّس اللهُ سُبحانه عن ذلك وتعالَى عليه، فهو في حقِّه مَستحيلٌ، «**وجعلْتُه بيْنَكم مُحَرَّمًا**» أي: حكَمْتُ بِتَحريمِه فيما بيْنَكم وألْزَمْتُه إيَّاكم، فإذا عَلِمتُم ذلك فلا يَظلِمْ بعضُكم بعضًا، وهذا تَوكيدٌ لقولِه تعالَى: «**وجعَلْتُه بيْنكم مُحرَّمًا**» وزِيادةُ تَغليظٍ في تَحريمِه.

«**يا عِبادي، كلُّكم ضَالٌّ**» أي: كلُّكم مُبتعِدٌ عن طَريقِ الهُدى، وعن كلِّ كَمالٍ وسَعادةٍ دِينيَّةٍ، ودُنيويَّةٍ، «**إلَّا مَن هديْتُه**»، وظاهرُ هذا أنَّهم خُلِقوا على الضَّلالِ إلَّا مَن هَداهُ اللهُ تعالَى، وفي الحديثِ المشهورِ المتَّفَقِ عليه: «**ما مِن مَولودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطرةِ، فأبواهُ يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه**» والجمعُ بيْنهما أنَّ المرادَ هنا: وَصْفُهم بما كانوا عليه قبْلَ مَبعَثِ محمَّدٍ ﷺ، وأنَّهم لو تُرِكوا وما في طِباعِهم مِن إيثارِ الشَّهواتِ والرَّاحةِ وإهمالِ النَّظرِ في مَصنوعاتِ اللهِ تعالَى؛ لَضَلُّوا، وأنَّ الهدايةَ لِمَنْ حصَلتْ إنَّما هي مِن عندِ اللهِ لا مِن عندِ نفْسِه.

وهذا يَقتضِي- أنَّ جميعَ الخلقِ مُفْتقِرونَ إلى اللهِ تعالَى في جلْبِ مَصالِحهم ودفْعِ مَضارِّهم في أُمورِ دِينِهم ودُنياهم، وأنَّ العِبادَ لا يَملِكونَ لِأنفُسِهم شيئًا مِن ذلك كلِّه، وأنَّ مَن لم يَتفضَّلِ اللهُ عليه بالهَدى والرِّزقِ؛ فإنَّهُ يُحْرَمُهما في الدُّنيا، ولذلك قال: «**فاستهدُوني أهدِكم**» أي: سَلوني الهدَى واطلُبوه مِنِّي أُوفِّقكم لِلهدايةِ.

ولمَّا فَرَغ سُبحانه مِن الامتنانِ بالأمورِ الدِّينيَّةِ، شَرَع في الأمورِ الدُّنيويَّةِ تَكميلاً للمَرْتبتينِ، مُقتصِرًا على الأمرينِ الأهَمَّينِ منها، وما هو أصلٌ فيها، ومُكمِّلٌ لِمنافعِها، ولا يُستغْنى عنهما؛ وهما: الأكلُ واللُّبْسُ، فقال: «**يا عِبادي كلُّكم جائعٌ**» مُحتاجٌ إلى الطَّعامِ «**إلَّا مَن أطعَمْتُه**» فبَسَطْتُ عليه الرِّزقَ، وأغْنَيْتُه؛ وذلك لأنَّ النَّاسَ عَبيدٌ لا يَملكونَ شيئًا، وخَزائنُ الرِّزقِ بِيدِ اللهِ- عزَّ وجلَّ-، فَمَنْ لا يُطعِمُه بِفضلِه بَقيَ جائعًا، «فَ**استطعِمُوني**»، أي: اطلُبوا الطَّعامَ وتَيْسيرَ القُوتِ مِنِّي، «**أُطعِمكم**»، أي: أُيَسِّر لكم أسبابَ تحصيلِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ثمَّ قال: «**يا عبادي**» وكَرَّره للتَّنبيهِ، «**كلُّكم عارٍ**» مِن اللِّباسِ والسِّترِ مُحتاجٌ إلى سَترِ عَورتِه «**إلَّا مَن كسوتُه**» فرزَقْتُه الكسوةَ، فاطْلُبوا مِنِّي الكسوةَ، أُيسِّرْ لكم سَتْرَ عوْرَاتِكم وأُزِلْ عنْكم مَساوئَ كشْفِ سَوءاتِكم، وكلُّ هذا مِن التَّنبيهِ على فَقرِنا وعَجْزِنا عن جَلبِ مَنافعِنا ودَفعِ مَضارِّنا بأنفُسِنا، إلَّا أنْ يُيسِّرَ اللهُ ذلك لنا بأنْ يَخلُقَ ذلكَ لنا ويُعِينَنا عليه، ويَصرِفَ عنَّا ما يَضُرُّنا، وهو تَنبيهٌ على مَعنى قولِه: «**لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ**»، ممَّا يُوجِبُ التَّوكُّلَ على اللهِ في الرِّزقِ المتضمِّنِ جَلْبَ المنفعةِ.

ثمَّ قال سُبحانه: «**يا عبادي، إنَّكم تُخطِئون**» أي: تُذنِبونَ «**باللَّيلِ والنَّهارِ وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعًا**» فهو الغفورُ الَّذي يَمْحو ذُنوبَ التَّائبينَ «**فاستغْفِروني**» أي: اطْلُبوا مِنِّي المغفرةَ أَغْفِر لكم» ذنوبكم «**يا عِبادِي، إنَّكم لَن تبلُغوا ضُرِّي فتَضرُّوني ولَن تَبلغوا نَفْعِي فتَنفَعُوني**» وهذا يعني: أنَّ العبادَ لا يَقدِرونَ أنْ يُوصِّلُوا إلى اللهِ نَفعًا ولا ضُرًّا؛ فإنَّ اللهَ تعالَى في نفْسِه غنِيٌّ حميدٌ لا حاجةَ له بِطاعاتِ العبادِ ولا يعودُ نفعُها إليه، وإنَّما هم يَنتفعونَ بها ولا يَتضرَّرُ بِمعاصِيهم، وإنَّما هم يَتضرَّرونَ بها.

«**يا عِبادي لو أنَّ أوَّلَكم**» مِنَ الموجودِينَ «**وآخِرَكم**» مِمَّنْ سَيُوجدُ، وَقِيل: مِنَ الأمواتِ والأحياءِ، والمرادُ جميعُكم، «**وإنْسكم وجِنكم كانوا على أَتقَى قَلْبِ رجلٍ منكم**» أي: لو اجتَمَعْتُم على عِبادتي، «**ما زاد ذلك في مُلْكي شيئًا**» وهو بيانُ أنَّ اللهَ سُبحانه لا يَحتاجُ إلى شَيءٍ مِن عِبادةِ العِبادِ، بلْ هُم الَّذين يَحتاجُون إليه، «**يا عِبادي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أَفْجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم**» فاجتَمَعْتُم كلُّكم على عِصياني ما ضَرَرْتُموني، و«**ما نَقصَ ذلك**»؛ فإنَّه لا تَزيدُه طاعةُ المطيعِ، ولا تَنقُصُه مَعاصي العاصي، فهو سُبحانه غَنيٌّ عن عِبادِه.

«**يا عبادي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم، وإنْسَكم وجِنَّكم قاموا**» أي: اجتمعوا جميعا في أرضٍ واحدةٍ ومُقامٍ واحدٍ، وقيَّدَ السُّؤالَ بالاجتماعِ في مَقامٍ واحدٍ؛ لأنَّ تَزاحُمَ السُّؤالِ وازدحامَهم ممَّا يُدهِشُ المسؤولَ، ويَبْهَتُه، ويُعسِرُ عليه إنجاحَ مَطالبِهم، ولكنَّ ذلك يَسيرٌ في قُدرةِ اللهِ وسَعةِ خَزائنِه، فإنَّهم لو وَقَفوا ذلك الموقفَ، فطَلَبوا كلُّهم أجمعونَ مَطالِبَهم، فأعطى سُبحانه كلَّ إنسانٍ وكذا كلَّ جِنِّيٍّ مسألَتَه، في آنٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ ما نَقصَ ذلك الإعطاءُ مِمَّا عندي إلَّا كالنَّقصِ أو كالشَّيْءِ الَّذي يَنقصُه المِخْيَطُ- وهو ما يُخاطُ به الثَّوبُ كالإبرةِ ونحوِها- إذا أُدخِلَ البحرَ؛ فإنَّ البحرَ إذا غُمِسَ فيه إبرةٌ، ثُمَّ أُخرِجَتْ لم يَنقُصْ مِنَ البحرِ بِذلك شيءٌ، والمرادُ بهذا ذِكرُ كَمالِ قُدرتِه سُبحانه، وكَمالِ مُلكِه، وأنَّ مُلْكَه وخَزائنَه لا تَنفَدُ، ولا تَنقُصُ بالعطاءِ، ولوْ أعْطى الأوَّلِين والآخِرِين مِن الجِنِّ والإنسِ جميعَ ما سَألوه في مَقامٍ واحدٍ.

«**يا عبادي، إنَّما هي أعمالُكم أُحصِيها**» أي: أَحفظُها وأَكتُبُها عليكم، ثُمَّ أُعطيكم جزاءَ أعمالِكم يومَ القيامةِ وافيًا تامًّا؛ إنْ خيرًا فَخيرٌ، وإنْ شرًّا فَشرٌّ «**فمَنْ وَجدَ خيرًا**» أي: تَوفيقَ خَيرٍ مِن ربِّه وعمَلَ خَيرٍ مِن نفْسِه «**فَلْيحمدِ اللهَ**» على تَوفيقِه إيَّاه لِلخيرِ؛ لأنَّه الهاديَ، «**ومَن وَجدَ غيرَ ذلك**» أي: شرًّا -ولم يصرِّحْ به؛ تحقيرًا له وتنفيرًا عنه- فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه؛ لأنَّه صدَرَ مِن نفْسِه أو لأنَّه باقٍ على ضلالِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وكما قالَ الله- تعالى-: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَـــارِعُونَ فِي الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَـيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران، آية: 176).

الأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة.

فالأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة، وأعظم الأعمال وأفضـــلها أعمالُ القلوب؛ كالإيمان والتوكُّل، والخوف والرَّجاء، والرَّغبة والرَّهبة، وحبِّ ما يحبُّ الله وبُغض ما يبغض الله، وتعلُّق القلب بالله وحده في جَلْب كلِّ نفع ودفع كلِّ ضرٍّ.

كما قال الله- تعالى-: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس، آية: 107).

وفي الحديث: قُبحُ الظُّلمِ. وفيه: أنَّ جميعَ الخلقِ مُفتقِرُون إلى اللهِ تعالَى في جلْبِ مصالِحِهم، ودفْعِ مَضارِّهم في أمورِ دِينِهم ودُنياهم. وفيه: أنَّ اللهَ تعالَى يُحبُّ أنْ يَسألَه العبادُ ويَستغفِرُوه. وفيه: أنَّ مُلكَه عزَّ وجلَّ لا يَزيدُ بِطاعةِ الخلْقِ ولا يَنقصُ بِمعصيَتِهم.

وفيه: أنَّ خَزائنَه سُـــبحانه لا تَنفَدُ ولا تَنقُصُ. وفيه: أنَّ ما أصـــابَ العبدَ مِن خيرٍ فَمِن فضْـــلِ اللهِ تعالى، وما أصـابَه مِن شرٍّ فَمنْ نفسِـه وهَوَاه. وفيه: حثُّ الخلقِ على سَـؤالِ اللهِ وإنزالِ حوائجِهم به. وفيه: ذكْرُ كمالِ قُدرتِه تعالَى وكمالِ مُلكِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فالخاتمة المقصودة أن يُختم للعبد بما يُحب اللهُ- عز وجل- ويرضاه.

كما **روى البخاري ومسلم، عن** عبدالله بن مسعود- **رضي الله عنه-، قال: قال رســـول الله** ﷺ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْـــغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ.**

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْـــبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) [2].

---

[2] . الراوي: عبدالله بن مسـعود، المحدث: الألباني، المصـدر: صـحيح الجامع، الصـفحة أو الرقم: 1543، التخريج: أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643) باختلاف يسير، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

كَتَبَ اللهُ- عَزَّ وجَلَّ- أقدارَ الخَلائِقِ في اللَّوحِ المَحفوظِ، وهي واقِعةٌ وَفْقَ ما قَضَى اللهُ- عَزَّ وجَلَّ- وقَدَّرَ. وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الجَنينَ في بَطنِ أُمِّه يَمُرُّ في تَكوينِه بأربَعةِ أطوارٍ؛ فيَكونُ في الطَّوْرِ الأوَّلِ لِمُدَّةِ أربَعينَ يَومًا حَيَوانًا مَنَويًّا يَجتَمِعُ ببُوَيْضَـــةِ الأُنثى، فيُلَقِّحُها، وتَحمِلُ المَرأةُ بإذْنِ اللهِ تَعالى، ثمَّ يَتَحوَّلُ في الطَّوْرِ الثَّاني لِمُدَّةِ أربَعينَ يَومًا إلى قِطعةِ دَمٍ جامِدةٍ تَعْلَقُ بالرَّحِمِ.

ثمَّ يَتحَوَّلُ في الطَّوْرِ الثَّالِثِ لِمُدَّةِ أربَعينَ يَومًا إلى قِطعةِ لَحمٍ صَغيرةٍ بقَدْرِ ما يَمضُغُ الإنسانُ في الفَمِ، ثمَّ في الطَّورِ الرَّابِعِ يَبدَأُ تَشـكيلُه وتَصـويرُه، ويَكونُ قد أكمَلَ أربَعةَ أشـهُرٍ، فيُرسِـلُ اللهُ إليه المَلَكَ المُوَكَّلَ بالأرحامِ؛ فيَكتُبُ أعمالَه التي يَفعَلُها طِيلَةَ حَياتِه خَيرًا أو شَرًّا، ورِزقَه وأجَلَه، ويَكتُبُ خاتِمَتَه ومَصـيرَه الذي يَنتَهي إليه إنْ كانَ مِن أهلِ الشَّقاوةِ أو مِن أهلِ السَّعادةِ، وتَقَعُ الأعمالُ وَفْقَ ما كُتِبَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الأعمال بالنيات.

وأعمالُ الجوارحِ الصَّـــالحةِ تابعةٌ لأعمالِ القلوبِ، كما **روى البخاري ومسلم، عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَســولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَســولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِــيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ)** ([3]).

فإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنه وبيْنَ الجَنَّةِ إلَّا ذِراعٌ- وهو غَايةُ القُرْبِ- فيَسْبِقُ عليه كِتابُه، بأنْ يَكونَ قد كُتِبَ عليه سابِقًا في بَطنِ أُمِّه أنَّه شَقيٌّ؛ فيُختَمُ له بالشَّقاوةِ، فيَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّارِ فيَدخُلُها كما ســبَقَ به القَدَرُ، وفي الجِهةِ الأُخْرى قد يَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّارِ، حتَّى يَقتَرِبَ منها اقترابًا شَديدًا، بألَّا يَكونَ بيْنَه وبيْنَها إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه ما كُتِبَ سَلَفًا في كِتابِه بأنَّه مِن أهلِ الجَنَّةِ، فيَعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ، فيَدخُلُها.

وهذه الصُّورةُ المذكورةُ في الحديثِ يُفسِّرُها حَديثُ سَهلِ بنِ سَعدٍ السَّاعِديِّ- رَضيَ اللهُ عنه- في الصَّــحيحينِ: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ الجَنَّةِ فيما يَبْدو لِلنَّاسِ وهو مِن أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ عَمَلَ أهلِ النَّارِ فيما يَبْدو لِلنَّاسِ وهو مِن أهلِ الجَنَّةِ**»؛ فما يظهرُ للنَّاس غير ما يُقدِرُه الله له ويختم له به.

وفي الحَديثِ: الإيمانُ بالقَدَرِ، سَـواءٌ تَعلَّقَ بالأعمالِ أو بالأرزاقِ والآجالِ. وفيه: عَدَمُ الاغترارِ بصُـوَرِ الأعمالِ؛ لِأنَّ الأعمالَ بالخَواتيمِ. وفيه: أنَّ الأعمالَ مِنَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ أمَاراتٌ لا مُوجِباتٌ، وأنَّ مَصيرَ الأمْرِ في العاقِبةِ إلى ما سَبَقَ به القَضاءُ وجَرَى به التَّقديرُ.

[3] . الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث: البخاري، المصـــدر: صـــحيح البخاري، الصـــفحة أو الرقم: 54، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1907) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

هذا الحديثُ العَظيمُ قاعدةٌ مِن قواعدِ الإسلامِ، وأصلٌ مِن أُصولِ الشَّريعةِ، حتَّى قِيلَ فيه: إنَّه ثُلثُ العِلمِ، حيثُ قال فيه ﷺ: «**الأعمالُ بالنِّيَّةِ**»، فلا تصِـــحُّ جَميعُ العِباداتِ الشَّـرعيَّةِ إلَّا بوُجودِ النِّيَّةِ فيها، «**ولِكلِّ امرِئٍ ما نَوى**»، فإنَّما يَعودُ على المسلمِ مِن عَملِه ما قصَدَه منه، وهذا الحُكمُ عامٌّ في جَميعِ الأعمالِ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة.

والأعمالُ السـيِّئة الشرِّـيرَة سـببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم، آية: 41).

العبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات.

والعبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات في جميع الأوقات، ولكنَّه يتأكَّد الأمرُ بالعمل الصَّالح في آخِرِ العُمر وفي آخِر ساعةٍ من الأجل،

مِنَ العباداتِ والمعاملاتِ والأعمالِ العاديَّةِ، فمَنْ قصَدَ بعَملِه مَنفعةً دُنيويَّةً لم يَنلْ إلَّا تلكَ المَنفعةَ ولو كان عِبادةً، فَلا ثَوابَ له عليها، ومَن قصَدَ بعَملِه التَّقرُّبَ إلى اللهِ- تعالَى- وابتغاءَ مَرضاتِه، نالَ مِن عَملِه المَثوبةَ والأجرَ ولو كان عمَلًا عاديًّا، كالأكلِ والشُّربِ.

ثُمَّ ضرَبَ ﷺ الأمثلةَ العمليَّةَ لِبيانِ تَأثيرِ النِّيَّاتِ في الأعمالِ فبيَّنَ أنَّ مَن قصَدَ بِهجرتِه امتثالَ أمْرِ ربِّهِ، وابتغاءَ مَرضاتِه، والفرارَ بِدِينِه مِنَ الفتنِ؛ فهِجرتُه هِجرةٌ شرعيَّةٌ مَقبولةٌ عندَ اللهِ- تعالَى- ويُثابُ عليها لِصدقِ نيَّتِه، وأنَّ مَن قصَدَ بِهجرتِه مَنفعةً دُنيويَّةً وغرَضًا شخصيًّا، مِن مالٍ، أو تجارةٍ، أو زَوجةٍ حَسناءَ؛ «فهِجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه»، فلا يَنالُ مِن هِجرتِه إلَّا تلك المنفعةَ الَّتي نَواها، ولا نَصيبَ له مِنَ الأجرِ والثَّوابِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ويتأكَّد النَّهيُ عن الذُّنوب في آخِرِ العُمر وفي آخر ساعةٍ من الأجَل؛ لقول النبيِّ ﷺ: (**وإنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ**) [4].

فمَنْ وفَّقه الله- تعالى- للعمل الصَّالح في آخِرِ عمره، وفي آخِرِ ساعةٍ من الأجَل؛ فقد كتب الله له حسنَ الخاتمة، ومَنْ خذَله الله فختَم ساعةَ أجلِه بعمل شرٍّ وذنبٍ يُغضِب الربَّ؛ فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سوءٍ والعياذ بالله.

السَّعيُ لحُسْنِ الخَاتِمَةِ.

وقد حثَّنا اللهُ- تبارك وتعالى-، وأمرنا بالحرصِ على نَيْل الخاتمةِ الحسنةِ؛ فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران، آية: 102).

---

[4] . الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المحدث: الدارقطني، المصدر: تاريخ دمشق، الصفحة أو الرقم: 416/55، أخرجه البخاري (6493) مطولاً باختلاف يسير، ومسلم (112) باختلاف يسير ودون قوله: "**وإنما الأعمال بالخواتيم**". **ونص الحديث كاملاً: (إنَّ العبدَ ليعمَلُ فيما بينَ الناسِ- وقال ابنُ عبدِ الباقي: فيما يَبْدو للناسِ- بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ، وإنَّه لمِن أهلِ النارِ، وإنَّ العبدَ ليعمَلُ فيما بينَ الناسِ بعمَلِ أهلِ النارِ، وإنَّه لمِن أهلِ الجنَّةِ، وإنَّما الأعمالُ بالخواتيم).**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

والسَّعيُ لحُسْنِ الخَاتِمَةِ غايةُ الصَّالحينِ، وهِمَّة العبادِ المتَّقينِ، ورجاءُ الأبرارِ الخائفينَ؛ قال الله- تعالى-: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة، آية: 132).

وقال تعالى في وصف أُولي الألباب: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران، آية: 193)، وقال تعالى عن التَّائبين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف، آية: 126).

وروى مسلم، عن عبدالله بن عمرٍو- رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) [5].

---

[5] . الراوي: عبدالله بن عمرو ، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2654، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري.

شرح الحديث.

اللهُ- عزَّ وجلَّ- مالِكُ كلِّ شَيءٍ، وبيَدِه أُمورُ القُلوبِ؛ فيَنْبغي على المُسلِمِ أنْ يَسألَ ربَّهُ الثَّباتَ على الحقِّ والهُدى.

وفي هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ «أنَّ قُلوبَ بَني آدمَ كُلَّها» أي: تَصرُّفُها وتَقلُّبُها، «بيْنَ إصبَعينِ مِن أَصابعِ الرَّحمنِ كقلبٍ واحدٍ؛ يُصرِّفُه حَيثُ يَشاءُ» فاللهُ- سُبحانَه وتَعالَى-، هو المُتمكِّنُ مِن قُلوبِ العِبادِ كُلِّهم؛ فالعَبدُ ليْس إليه شَيءٌ مِن أَمرِ سَعادتِه، أو شَقاوتِه، بلْ إنَّ الأمرَ كلَّه للهِ؛ فإنِ اهتَدَى فبِهدايةِ اللهِ-

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فمَنْ وفَّقه الله لحُسنِ الخَاتِمةِ؛ فقد سَعِد سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، ولا كربَ عليه بعد ذلك التوفيق، ومَنْ خُتِم له بسوءِ خاتمةٍ؛ فقد خَسِر في دنياه وأُخْراه.

والصَّالحون تعظُم عنايَتهم بالأعمال الصَّالحة السَّوابِق للخاتمة، كما أنهم يجتهدون في طلب التوفيق للخاتمة الحسنة؛ فيُحسنون الأعمالَ، ويُحسنون الرجاءَ والظنَّ بالله- تعالى-، ويُسيئون الظَّنَّ بأنفسهم.

كما قال الله- تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة، آية: 218).

تَعالَى- إيَّاه، وإنْ ضَلَّ فبِصَرْفِه له بحِكمَتِه وعَدلِه، وعِلمِه السَّابقِ، كما أنَّ ثُبوتَه على الإيمانِ فبتَثبيتِه عَزَّ وجَلَّ، كما قال اللهُ تَعالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 17].

ثُمَّ دَعا ﷺ: «اللَّهمَّ مُصرِّفَ القُلوبِ» والتَّصريفُ هو التَّغييرُ والتَّقليبُ، أي: يا ربِّ يا مُقلِّبَها إلى ما شاءَ مِن هِدايةٍ أو غِوايةٍ، «صَرِّفْ قُلوبَنا عَلى طاعتِك»، أي: ثَبِّت قُلوبَنا، واصْرِفْها إلى طاعتِك ومَرضاتِك في كُلِّ ما تُحبُّه منَ الأقوالِ، والأعمالِ والأخلاقِ، وهذا يُبيِّنُ شِدَّةَ خَوفِ النَّبيِّ ﷺ مِن ربِّه- عزَّ وجلَّ-؛ حيث يَدْعو أنْ يُصرِّفَ اللهُ قَلْبَه على طاعتِه، وذلك مِن شِدَّةِ حِرصِه على تَنبيهِ أُمَّتِه ألَّا يُصِيبَها ذُهولٌ ولا غَفلةٌ عن مُراقَبةِ أعمالِهِم وخَواتيمِها.

وفي الحديثِ: ثُبوتُ صِفةِ الأَصابعِ للهِ- عزَّ وجلَّ-، وفيهِ: ثُبوتُ قَدَرِ اللهِ السَّابقِ لخَلقِه، وهوَ عِلمُه الأَشياءَ قبلَ كَونِها وكتابتُه لَها قبلَ بَرئِها. وفيهِ: الافتِقارُ إلى اللهِ- عزَّ وجلَّ- في كُلِّ حينٍ بالدُّعاءِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومَنْ صَـــدَق اللهَ في نيَّته وعمل بســـنَّة رســـول الله ﷺ واتَّبع هَدْيَ أصـحابه البَرَرَة؛ فقد جَرَت ســنَّةُ الله- تعالى- أن يختِم له بخير، وأن يجعل عواقبَ أموره إلى خير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لاَ نُضِـــيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَـــنَ عَمَلاً﴾ (الكهف، آية: 30).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـــالحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْـــمًا﴾ (طه، آية: 112)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِـــيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة، آية: 143).

المؤمن بين الخوف والرجاء.

المؤمن يعيش متوازنًا بين الخوف من عذاب الله، الذي يمنعه من المعاصي ويحفزه على العمل الصـــالح، والرجاء في رحمته الواســـعة، الذي يدفعه إلى حســـن الظن به والأمل في مغفرته، وهذا المنهج ضروري للســـير إلى الله في اســـتقامة، تمامًا كجناحي الطائر يحتاجان لبعضـــهما للبقاء في مساره الصحيح.

يعيش الإنسان حياته دائمًا بين الخوف والرجاء، الخوف من أن يختم الله له بخاتمة سيئة يكون مصيره بعدها إلى الجحيم، والرجاء أن يديم الله عليه نعمة الطاعة ولا يفتنه في دينه؛ حتى يختم له بالجنة، والإنســـان الطائع لا ينظر إلى من هو دونه في الطاعة، ولا يستكثر ما فيه من العبادة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أما العاصي فليسارع بالتوبة، ولا يعتمد على أن الله ربما يُحسنُ له الخَاتِمةِ في نهاية حياته؛ لأنه لا يدري متى تكون هذه النهاية، فربما لم يَبْقَ عليها إلا ثوانٍ، فليبادر إلى طاعة الله ويستمر عليها، وبتوفيق الله تكون له الخَاتمةُ الحَسنةُ إن شاء الله [6].

إن حُسْنَ الخَاتِمَةِ شيء جميل ورائع أن يختم الله لعبده المؤمن بخاتمة السعادة؛ لكي يلقي ربًا كريمًا راضيًا عنه في الدنيا قبل أن يفارقها هذا العبد ساعة الموت، قال الله- تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة، آية:23) [7].

حُسْنُ الخَاتِمَةِ، هو المصيرُ الحسنُ الذي يختم العبد حياته في الدنيا، كأن يموت وهو على حال يرضى الله- عز وجل-، طاعة أو ذكر أو في سبيله،

---

[6]. علي الحذيفي، أسباب حُسْنُ الخَاتِمَةِ، وسوئها، 20 فبراير 2008، تاريخ الاطلاع: 22-2-2025، متاح على: (www.alukah.net)، ألقيت في المسجد النبوي يوم 1426/4/5هـ.

[7]. **تفسير السعدي:** ذكر الله- تعالى- ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح.

وقوله تعالى:﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرةً وعشياً، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فإزدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم، **تفسير السعدي:** قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة، آية:23).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقد اعتنى علماء المسلمون والدعاة بهذا المفهوم لما له من أثر على مصير الإنسان في الآخرة.

قال القرطبي- رحمه الله-: (**الخَاتِمةُ الحَسـنةُ لا تَكونُ إلا لِمَن كان مُسْتَقيماً في حَياتِه، مُحَافِظًا على حُدودِ اللهِ، مُبتَعِدًا عن مَحَارمَهُ، مُلَازِمًا للطَاعةِ**) ([8]).

التفاؤل من الإسلام.

لا شـك أن التفاؤل من الإسـلام وقد حث عليه خير الأنام ﷺ فقد **روى مسلم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ يَقُولُ (**لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**) ([9]).

---

[8]. أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي (2003). كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ت الصادق، المكتبة الشاملة (https://shamela.ws) (ط. الأولى). الرياض، السعودية: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع. ص. 29.

2. الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصـدر: صـحيح البخاري، الصـفحة أو الرقم: 5776، التخريج: أخرجه مسـلم (2224)، وأبو داود (3916)، والترمذي (1615) باختلاف يسـير. خلاصـة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

لو سمع إنسان كلمة طيبة أو بشرى طيبة فله أن يفرح بها ويستبشر، وهذا لا يعني أبدًا أن نجزم بأن إنسانًا يدخل الجنة أو يختم له بخير إن سمع أحد آية بعد وفاته، بل يعني أن ندعو له بالمغفرة والرحمة والدرجات العلا من الجنة، وأن نكثر من أعمال البر والإحسان والصدقة عنه؛ لعل الله يتقبل منه صالح عمله ويتجاوز عنه[10].

حكمة الله في إخفاء مصير المُتَوَفَي.

إن الله- سبحانه وتعالى- قد أخفى عنا مصير المتوفى لحكم لطيفة؛ منها أنه لو أيقن الشخص أنه ناج سَيَكْسَلُ عن العمل ويصاب بالعجب،

الكلِمةُ الطَّيِّبةُ الصَّالحةُ تَبعَثُ الاطمِئنانَ والرَّاحةَ للإنسانِ، لا سيَّما في أوقاتِ الكَرْبِ، فتُعطيهِ بُشرى لرَفعِ الكَرْبِ.وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**لا طِيرَةَ**» مِن التَّطيُّرِ، وهوَ التَّشاؤمُ، فلا يظُنَّ أحدٌ أنَّ ما جعَلَه سَببًا للتَّشاؤمِ، سَواءٌ كانَ مَخلوقًا، أو مَكانًا، أو زمانًا؛ هو السَّببُ فيما يَحدُثُ له، بلْ كلُّ شَيءٍ بقدَرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، «**وخَيرُها الفَألُ**»، أي: خَيرُ الطِّيَرةِ، وليسَ المعنى أنَّ في الطِّيرةِ خَيرًا.

ولكنَّ المرادَ أنَّ خَيرَ تلكِ الظُّنونِ التي يَظهَرُ آثارٌ لها في الواقعِ؛ هو الفَألُ، فاستفْسَرَ الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عَنهم مِن النَّبيِّ ﷺ عن مَعنى الفألِ، فقالَ لهم: «**الكلِمةُ الصالِحةُ يَسمَعُها أحدُكم**»، فتَجعَلُه يُحسِنُ الظَّنَّ بربِّهِ، وتَشرَحُ صَدرَهُ، وتُريحُ فؤادَه، فالفألُ يُساعِدُ الإنسانَ على السَّعيِ في قَضاءِ مُهمَّاتِه وإتمامِها. **وفي الحَديثِ:** النَّهيُ عن التَّشاؤمِ بالأحداثِ والزَّمانِ والمكانِ؛ لأنَّ كلَّ شَيءٍ بقدَرِ اللهِ. وفيه: التَّوجيهُ إلى التَّفاؤلِ والاستِبشارِ بالكلِمةِ الطَّيِّبةِ.

[10] . أبو اليزيد سلامة، ما هي علامات حسن الخاتمة؟ موقع دنيا الوطن، تاريخ الاطلاع: 23-3-2025م، متاح على رابط: (https://www.alwatanvoice.com).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وإن تأكد أنه معذب فإنه سيزداد بعدًا وذنوبًا، ولذلك كان من رحمة الله إخفاء الخواتيم.

يعيشُ الناسُ في هذه الحياة ما كَتب اللهُ لهم من الأعوام والشهور والأيام، ثم يرتحلون، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف، آية: 34).

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران، آية: 185).

ومِن أعظمِ ما ينبغي أن يَحرِصَ عليه المسلم: ختامُ حياتِه وحسنُ لقاءِ ربه، فمَن وفَّقه اللهُ للعملِ الصالحِ في آخر عُمُرِه وفي آخرِ ساعةٍ من الأجَل، فقد كَتبَ اللهُ له حُسنَ الخاتمة، ومن خُتِمَتْ ساعةُ أجلِه بعَمَلٍ سَيِّءٍ أو ذَنبٍ يُغْضِبُ اللهَ، فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سُوءٍ- والعياذُ باللهِ- وَقَد أمَرَنَا اللهُ بالحِرصِ عَلَى نَيلِ الخاتمةِ الحسَنةِ فقَالَ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، آية: 102).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الترغيب في حُسْنِ الاستعدادِ للموت.

كما أنه سبحانَه رَغَّبَ وحَثَّ في كتابه الكريم على حُسْنِ الاستعدادِ للقائِه- سبحانه وتعالى- بالعمل الصالحِ، فقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف، آية: 110).

ولِأهمِّيةِ هذه اللحظةِ الحاسمةِ في حياة الإنسانِ كان الأنبياءُ- عليهم الصلاةُ والسلامُ- يُوصُونَ مَنْ يَلونَهم بالحرص على نَيْل حُسْنِ الخاتمة، قال سبحانه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة، آية: 132).

وقال تعالى حكايةً عن يوسف- عليه السلام-: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف، آية: 101).

حُسْنُ الخَاتِمَةِ أمَلُ ودعاءُ الصالحين والأتقياء الذين قَصَّ علينا ربُّنا سبحانه وتعالى أخبارَهم، فقال الله- عز وجل- حكايةً عن دعاءهم: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران، آية: 193).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وكان من دعاء رسـولِ الله ﷺ، **كما روى الترمذي وأحمد، عن شـهر بن حوشـب- رضي الله عنه-، قال:** قُلتُ لأمِّ سـلمةَ: يا أمَّ المؤمنينَ ما كانَ أَكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا كانَ عندَكِ؟

قالَت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ: (يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِك قالَت: فقُلتُ: يا رسـولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سـلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصـبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ، فتلا معاذٌ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾) ([11]).

---

[11] . الراوي: أم سلمة أم المؤمنين، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 3522، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (3522) بلفظه، وأحمد (26679)، وأبو يعلى (6986) كلاهما بلفظه دون قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

شرح الحديث.

قُلوبُ العِبادِ بين يَدي الرَّحمنِ يُقلِّبُها كيفَ يَشـاءُ؛ ولذلك كان أكثرُ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: "**يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثَبِّتْ قلبي على دِينِك**"؛ وذلك طلَبًا للثَّباتِ على الدِّينِ خوفًا مِن الزَّيغِ أو الضَّلالِ، كما يَقولُ التَّابعيُّ شَـهْرُ بنُ حَوشَـبٍ في هذا الحديثِ: "**قلتُ لأمِّ سَـلمةَ: يا أمَّ المؤمنين، ما كان أكثَرُ دُعاءِ رسـولِ اللهِ ﷺ**"، أي: أيُّ دعاءٍ كان النَّبيُّ ﷺ يَدْعو به كثيرًا؟ "**إذا كان عِندَك**"، أي: وهو عِندَك في بيتِك.

"**قالت**"، أي: قالَت أمُّ سَـلمةَ: "**كان أكثَرُ دُعائِه**"، أي: كان أكثَرُ دُعاءٍ يَدْعو به النَّبيُّ ﷺ: "**يا مُقلِّبَ القلوبِ**"، أي: يا مَن بِيَدِك أمرُ القلوبِ، فأنت تُقلِّبُ أحوالَها كيفَما تَشـاءُ بينَ الإيمانِ والكفرِ، وبين الطَّاعةِ والمعصـيةِ، وبينَ التَّنبُّهِ والغفلةِ، "**ثبِّتْ قلبي على دينِك**"، أي: اجعَلْ قلبي ثابتًا على طاعتِك وعلى دينِك، ولا تجعَلْه يَنحَرِفُ عن طَريقِك، "قالت: فقلتُ"، أي: فقالت أمُّ سـلمةَ للنَّبيِّ ﷺ: "**يا رسـولَ اللهِ، ما أكثَرَ**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

كما أنه صلواتُ ربي وسلامُه عليه كان يتعوذُ بالله تعالى من شرِّ فِتنة المحيا والممات، وفِتنةُ المماتِ هي الساعةُ التي يكونُ فيها العبدُ في إدبارٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة، ويحاولُ الشيطانُ أن يفتنَهُ في دينِه ويَحُولَ بينه وبين الإيمانِ بالله.

فالاستعداد للموت هو تهذيب النفس وتهيئتها بذكر الله وطاعته، والتوبة من الذنوب، وردّ المظالم، والبرّ بالوالدين، وصلة الأرحام، لأن الموت حقّ قادم لا مفرّ منه، وهو هادم اللذات الذي يُنهي الحياة الدنيا ويُحاسب العبد على أعماله.

فعندها يُثبِّتُ اللهُ- عز وجل- المؤمنَ بالقول الثابت فيقولُ: (لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ محمدٌ رسولُ الله)، روى أبو داوود وأحمد، عن معاذ بن جبل-

---

دُعاءَك: يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثبِّت قلبي على دينِك!"، أي: كأنَّ أمَّ سلَمةَ تتعجَّبُ مِن إكثارِ النَّبيِّ ﷺ مِن هذا الدُّعاءِ.

فقالَت له: لِمَ تُكثِرُ مِن هذا الدُّعاءِ يا رسولَ اللهِ؟! "قال"، أي: النَّبيُّ ﷺ: يا أمَّ سلمةَ، "إنَّه ليس آدَميٌّ إلَّا وقَلبُه بين أُصبَعَينِ مِن أصابِعِ اللهِ"، أي: كلُّ أحدٍ مِن بَني آدمَ قَلبُه بيَدِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- يتَصرَّفُ فيه كيفَما يشاء، "فمن شاء أقام"، أي: فمن شاء اللهُ أقام قلبَه على الهدى، وثبَّتَه على الدِّينِ، "ومَن شاء أزاغ"، أي: ومَن شاء اللهُ صرَف قلبَه عن الهدى إلى الزَّيغِ والضَّلالِ، "فتَلا مُعاذٌ"، أي: قرَأ معاذُ بنُ معاذِ بنِ نصرِ بنِ حسَّانَ التَّميميُّ قولَ اللهِ- عزَّ وجلَّ-: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: 8]، أي: يا ربِّ ثبِّت قُلوبَنا على طاعتِك، ولا تَصرِفْها عن طَريقِك بعدَ هِدايَتِك لنا. **وفي الحديثِ:** الحَثُّ على الدُّعاءِ بالثَّباتِ على الدِّينِ والهدى. وفيه: بيانُ أنَّ جميعَ قُلوبِ بَني آدمَ بيَدِ اللهِ- عزَّ وجلَّ-؛ إنْ شاء هَداها، وإن شاء أزاغَها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

رضي الله عنه-، قال: قال رســـول الله ﷺ: (من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دَخلَ الجنَّةَ) ([12]).

خاتمة.

إن الله- تعالى- جعل لكل إنســـان عمراً واحداً من عمر هذا الزمن الدنيوي، وأبهم عنه مقدار نصـــيبه من هذه الحياة الموقوتة؛ ولهذا يظل المسلم اليقظ دائمَ الانتباه، حاضر الاستعداد لملاقاة أجله، واستيفاء عمره على هذه الدنيا فيما ينفعه حين رجوعه إلى ربه.

هذا الحس الســـاهر يبعده عن سِـــنة الغفلة، ونعاس الفتور، والقعود عن التهيؤ ليوم المعاد؛ فيكون عند ذلك من المســـارعين على الصـــراط المستقيم، فإذا بقي هذا الشعور حياً، ساق صاحبه إلى حسن الخاتمة.

---

[12] . الراوي: معاذ بن جبل، المحدث الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 3116، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه أبو داود (3116) واللفظ له، وأحمد (22034).

شرح الحديث.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) هي كَلِمةُ التَّوحيدِ، وهي كَلِمةُ النَّجاةِ، التي من قالَها مُخلِصًـــا، نَجَا مِن النَّارِ وفازَ بالجِنانِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "مَنْ كان آخِرُ كلامِهِ"، أي: عند احْتِضـــارِه وخروجِه مِنَ الدُّنيا: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ دَخَلَ الجَنَّةَ"، ومعنى "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ": لا معبودَ بحَقٍّ إلَّا اللهُ وحْدَه لا شَريكَ له.

قيل: والمرادُ أنْ يَقولَ الشَّـهادتَينِ، وليس كلمةَ التَّوحيدِ فقَطْ، وكلمةُ التَّوحيدِ عَلَمٌ على الشَّـهادتينِ؛ فتَشْـمَلَ الشَّـهادةَ للهِ بالتَّوحيدِ، والشَّـهادةَ لمُحمَّدٍ ﷺ بالرِّسـالةِ. **وفي الحَديثِ:** فضـيلةٌ عظيمةٌ لقولِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

إن الحديث عن الخاتمة حديث تشرئب إليه الأعناق المؤمنة، وتقف له القلوب الحية؛ لأنه حديث عن النهاية، وحديث عن المرحلة الأخيرة من سفر الدنيا، وحديث عن الحال التي سيقابل بها كل إنسان ربه، فهي الصفحة الأخيرة من دفتر الحياة، وعليها ختم السعادة أو الشقاوة.

وحُسن الخاتمة يراد به توفيقُ الله- سبحانه وتعالى- لعبده أن يعمل خيرًا في حياته، وأن ييسر له ويوفقه للدوام على العمل الصالح قبل موته حتى يقبضه عليه، حيث لا يبقى للإنسان بعد وفاته إلا إحسانٌ قَدَّمَه في حياته يرجو ثوابه، أو عصيانٌ اجتَرَحَهُ يخشى عقابه.

ويُستحَبُّ الإكثارُ مِن ذِكْر الموتِ، لأنَّ ذلك أزجَرُ عن المعصيَةِ، وأدعَى إلى الطَّاعةِ؛ فالإنسانُ إذا تفَكَّرَ في الموت قَصُر أملُه، وكَثُرَ عَمَلُه، ويُستحَبُّ الاستعدادُ للمَوتِ؛ بأن يبادِرَ بالتَّوبةِ ورَدِّ المَظالِم إلى أهلِها، والإقبالِ على الطَّاعاتِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الثَانِي.
أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

واشتمل على ما يلي:-

أولاً: مُقَدِمَةٌ.
ثانياً: أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

1. الإيمان بالله جل وعلا.
2. سلامة المعتقد، وصحة الإيمان.
3. إخلاصُ النيةِ لله، والصدقُ في عبادتِه.
4. الاستقامةُ والمداومة على العمل الصالح.
5. المحافظة على الصلوات.
6. فِعْلُ ما يوعظ به العبد.
7. حُسنَ الظنِّ بالله- تعالى-، والالتجاء إليه، والتوكل عليه.
8. كثرة ذكر الله.
9. تجنب ظلم الناس.
10. تعجيلُ التوبةِ والصدقُ فيها.
11. الإحسان إلى الناس.
12. التزامِ الأعمالِ الصالحةِ والاستمرارِ عليها.
13. الاهتمام بصلاح القلب.
14. فعل الطاعات وترك السيئات.
15. تقوى الله- تعالى- في السرّ والعلن.
16. اجتناب الكبائر والمعظّمات من الذنوب.
17. اتّباع هدي النبي ﷺ.
18. حسن اختيار الرفيق.
19. الابتعاد عن البدع.
20. كثرة ذكر الموت وزيارة القبور والعدة لذلك.
21. التضرع إلى الله، والإلحاح.

ثالثاً: خاتمة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الثَّانِي.

أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

مُقَدِمَةٌ.

إن الله- عزّ وجلّ- غني عن عباده، فمن أطاع الله فقد نفع نفسه، ومن عصاه فقد ضرّ نفسه، وإن الأعمال الصالحة هي السبب في كل خير في الدنيا والآخرة، وأفضل الأعمال وأعظمها عند الله هي أعمال القلوب؛ كالإيمان، والتوكل، والخوف، والرجاء [13].

وكل ما يصدر من الأعمال على الجوارح يكون تابعاً ونابعاً من القلب، ومن وفّقه الله للأعمال الصالحة في آخر حياته؛ فقد كُتِبَ له حسن الخاتمة، وهذه هي غاية الصالحين، فالتوفيق لحُسْنِ الخَاتِمَةِ يُسعد المؤمن سعادة لا شقاء بعدها.

من هنا قال العلماء: (**مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيءٍ فِي الدُنْيَا، فَإِنَّهُ يُخْتَمُ لهُ بِهِ**)، أي: في الغالب، فإن كان كَثِيرَ الطاعة لله- جل جلاله-، كَثِيرَ الصلاة، كَثِيرَ

[13] . علي الحذيفي، أسباب حُسْنُ الخَاتِمَةِ وسوئها، 20 فبراير 2008، تاريخ الاطلاع: 22-2-2025، متاح على: (www.alukah.net).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الصـيام، كَثِيرَ القربة؛ فإنه يأتيه الموت وهو سـاجد بين يدي الله أو راكعٌ أو صـائم، أو يأتيه وهو ذاكرٌ تال للقرآن، أو يأتيه وهو على تسـبيح أو على استغفار أو تهليلٍ أو تحميد، أو غير ذلك من الطاعات والقربات.

ومن أكثر من الصـلة والبر والإحسـان إلى الضـعفة والمسـاكين؛ ربما جاءه الموت وهو خارجٌ في صلةِ رحم، أو بر والدين، أو طاعةٍ لله- **سبحانه وتعالى**- على حسب ما استكثر.

وأما من استكثر من الحرام والفحش، فإن الله- **عز وجل**- يختم له بما كان له من غالب حاله، حتى لربما ذُكّر بلا إله إلا الله فامتنع عن قولها، ولربما تكلم بالحرام، ولربما تكلم بالغناء والفُحش والدعارة، وهو في آخر لحظاته من الدنيا فيختم له بخاتمة السوء، نسأل الله السلامة والعافية!

وفي حوادث الناس وأخبارهم ما تشيب له رءوس الولدان مما كان من حُسْنُ الخَاتِمَةِ وسوئها، فالإنسان إذا أكثر من الخير فإن الله يختم له بخير، ومن هنا قال بعض العلماء في قوله سـبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ**﴾ (آل عمران، آية: 102).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قالوا: الإنسان لا يملك أن يموت على الإسلام، بمعنى أنه لا يستطيع أن يقطع أن يموت مسلماً، ولكن المراد من الآية: وكونوا على الإسلام، حتى إذا جاءكم موت، جاءكم وأنتم على طاعة الله- **جل جلاله**- وعلى محبته ومرضاته؛ فيُختم للإنسان بالخاتمة الحسنة.

ومن علامات حُسْـنِ الخَاتِمَةِ التي تكون في الأفعال: أن يموت وهو في صلاة، أو يموت وهو في حج، أو يموت وهو في عمرة، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس- **رضي الله عنهما-**، قال: (**أَنَّ رَجُلًا كانَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحْرِمًا، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ فَمَاتَ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اغْسِلُوهُ بمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَمَسُّوهُ بطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فإنَّه يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَةِ مُلَبِّدًا**) [14].

---

[14] . الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1206، التخريج: أخرجه البخاري (1267)، ومسلم (1206). خلاصة حكم المحدث: [صحيح]. وفي رواية البخاري: (**كانَ رَجُلٌ واقِفٌ مع النبيِّ ﷺ بعَرَفَةَ، فَوَقَعَ عن رَاحِلَتِهِ- قالَ أَيُّوبُ: فَوَقَصَتْهُ، وقالَ عَمْرٌو: فأقْصَعَتْهُ-فَمَاتَ فَقالَ: اغْسِلُوهُ بمَاءٍ وسِدْرٍ، وكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْنِ، ولَا تُحَنِّطُوهُ، ولَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فإنَّه يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَةِ، قالَ أَيُّوبُ: يُلَبِّي، وقالَ عَمْرٌو: مُلَبِّيًا**).

شرح الحديث.

يومُ القِيامةِ يومُ الجَزاءِ على الأعْمالِ في هذه الدُّنيا، والجزاءُ يكونُ مِن جِنسِ العَملِ؛ فيَبعثُ اللهُ كلَّ إنسانٍ على ما ماتَ عليه مِن اعتقادٍ وعملٍ فيُجازِيه عليه.

وفي **هذا الحَديثِ يَروي عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ**- رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ رَجُلًا كان يَقِفُ مع النبيِّ ﷺ على جبلِ عرَفاتٍ في حجَّةِ الوَداعِ، وكان راكبًا دابَّتَه، فسقَطَ عنها، "**فَوَقَصَتْه**" أي: كَسَرَتْ عُنُقَه، وقيل: "**فأَقْصَعَتْه**" أي: فمات موتًا سريعًا، فأَمَر النبيُّ ﷺ أنْ يَغسِلوه بِماءٍ وسِدْرٍ، وهو ورقُ شجرِ النَّبْقِ، له رائحةٌ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فقوله: (**فإنَّه يُبْعَثُ يومَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**) أي: يبعث على هذه الحالة التي مات عليها من طاعة الله تبارك وتعالى.

ولذلك ينبغي للمسلم- كما قلنا- أن يكون على خصال البر حتى يختم الله- عز وجل- له بالخاتمة الحسنة، ومن هنا شدد العلماء في تعاطي المحرمات التي قد تفضي إلى الموت- كشرب الخمر- والعياذ بالله- فإن الإنسان إذا تعاطى مثل هذه المحرمات قد يُختمُ له بها، فقد يموت شارباً للخمر فيهوي في النار لزوال عقله، فيحرق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

وقد يكون شارباً للخمر فيتردى من فوق بيته أو من شاهق، أو يطعن نفسه أو ينتحر والعياذ بالله، فهذه من علامة سوء الخاتمة في الأفعال، فكما أن حُسْنُ الخَاتِمَةِ يكون في الأفعال كذلك- أيضاً- سوء الخاتمة يكون بهذه الأفعال [15].

طيِّبةٌ، ولكنْ لا يُستخدَمُ كطِيبٍ، وأن يُكفِّنوه في ثَوبَينِ، ولا يُحَنِّطوه بوضعِ الطِّيبِ الَّذي يُخلطُ ويوضَعُ للمَيتِ؛ لأنَّه قد مات متلبِّسًا بالحجِّ، والحاجُّ لا يَتطيَّبُ، ولا يُخمِّروا رَأْسَه، فلا يُغَطُّوه؛ لِأَنَّه مُحرِمٌ، وعلَّل ذلك بأنَّه يُبعَثُ يَومَ القيامةِ يُلَبِّي، وهي الصورةُ التي مات عليها.

وفي الحَديثِ: أنَّ المُحرِمَ إذا مات فإنَّه يَبقى في حَقِّه حُكمُ الإحْرامِ، فلا يُحَنَّطُ، ولا يُغَطَّى رَأْسُه، ولا يُكَفَّنُ في ثَلاثةِ أثْوابٍ كغَيرِه. وفيه: الكَفَنُ في ثَوبَيْنِ لِلمُحْرِمِ. وفيه: مَشروعيَّةُ تَكْفينِ المُحرِمِ في ثيابِ إحْرامِه. وفيه: مَشروعيَّةُ استِعْمالِ السِّدْرِ في غُسْلِ المَيِّتِ.

15 . محمد بن محمد المختار الشنقيطي، كتاب شرح زاد المستقنع، باب: (علامات حسن الخاتمة)، موقع المكتبة الشاملة، تاريخ الاطلاع: 5-4-2025م، متاح على رابط: (https://shamela.ws).

و تحريم كل ما يفضي ـ إلى الموت مبدأ عام في الشريعة الإسلامية، ويشمل ذلك الأفعال المحرمة التي تؤدي إلى الموت، كالانتحار أو إتلاف النفس عمدًا، يحرم على المسلم ارتكاب أي عمل يؤدي إلى الموت أو إلحاق الضرر بالنفس عمدًا، لأن النفس أمانة عند الإنسان.

أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

للخاتمة الحسنة علامات في الأقوال والأفعال، وظواهر الموتى، إن ساعة الاحتضار يا عباد الله ساعة رهيبة، يتمنى الإنسان أن يُثبته الله فيها، ويظن أحدٌ أنها سهلة، وأنه يستطيع أن يتكلَّم بما يريد، فكم مِن مَحتضَر حَضَر عنده الناس، وقالوا: قل: (**لا إلهَ إلَّا اللهُ**)، ولم يستطع أن يَنطِق بهذه الكلمة.

بل ربما تكلم بكلام محرَّم، وأفعال كان يفعلها في هذه الدنيا، فما الأسباب التي تساعد على حسن الختام؟ **ولِحُسْنُ الخَاتِمَةِأسباب، وفيما يلي بعض أسباب التوفيق لحسن الخاتمة** [16]:-

---

[16] . محمد بن حسن أبو عقيل، خطبة: حسن الخاتمة، موقع الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2021/12/23م،1443/5/19هـ، تاريخ الاطلاع: 4-5-2025، متاح على رابط: (https://www.alukah.net/s).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

1) الإيمان بالله جل وعلا.

ومن أسباب التَّوفيقِ لحسن الخاتمة: الإيمان والإصلاح؛ الإصلاح للنَّفس والإصلاح للغير، فالإيمان بالله هو سبب رئيسي في حسن الخاتمة، حيث إن الإيمان القوي بالله- تعالى- يدفع العبد إلى فعل الخيرات والبعد عن المعاصي، والتقرب إليه بالطاعات، وهذا يؤهله للموت على حال حسنة، أي: حسن الخاتمة.

وأن تأتيه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحب للناس ما يحب لنفسه: روى مسلم والنسائي، عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (**فمَنْ أحبَّ منكم أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النارِ، ويَدْخُلَ الجنةَ، فلْتَأْتِهِ منيتُهُ وهوَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأْتِ إلى الناسِ، الذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إليه**) [17].

وانظر: عبدالملك سعود الرفيق، خطبة مختصرة عن أسباب حُسْنُ الخَاتِمَةِ(خطبة)، موقع الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2021/3/23م، 1442/8/10هـ، تاريخ الاطلاع: 4-5-2025، متاح على رابط: (https://www.alukah.net/s).

[17] .الراوي: عبدالله بن عمرو، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 2403، التخريج: أخرجه مسلم (1844) مطولاً، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

وفي رواية النسائي عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (**بينا نحن مع رسولِ اللهِ ﷺ في سفرٍ، إذ نَزَلْنَا منزلًا، فمِنَّا مَن يَضْرِبُ خباءَه، ومِنَّا مَن يَنْتَضِلُ، ومِنَّا من هو في جَشْرَتِه، إذ نادى منادي النبيِّ ﷺ: الصلاةُ جامعةٌ، فاجتَمَعْنا فقام النبيُّ ﷺ فخَطَبَنَا فقال: إنه لم يَكُنْ نبيٌّ قبلي إلا كان حقًا عليه، أن يدلَ أمتَه على ما يَعْلَمَه خيرًا لهم، ويُنْذِرَهم ما يَعْلَمُه شرًا لهم، وإن أمتكم هذه**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

جُعِلَتْ عافيتُها في أولِها، وإن آخرَها سـيُصِـيبُهم بلاءٌ وأمورٌ يُنْكِرُونها، تَجِيءُ فتنٌ فيُدَقِّقُ بعضُـها لبعضٍ، فتَجِيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذه مُهْلِكَتي.

ثم تَنْكَشِـفُ، ثم تجيءُ فيقولُ: هذه مُهْلِكَتي. ثم تَنْكَشِـفُ، فمَن أحبَّ منكم أن يُزَحْزَحَ عن النارِ، ويُدْخَلَ الجنةَ فلتُدْرِكْه موتَتُه، وهو مؤمنٌ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليَأْتِ إلى الناسِ ما يُحِبُّ أن يُؤْتَى إليه، ومَن بايع إمامًا فأعطاه صـــفقةَ يدِه، وثمرةَ قلبِه، فلْيُطِعْه ما اســـتطاع، فإن جاء أحدٌ يُنازِعُه فاضربوا رقبةَ الآخرِ، وذكر الحديث) (أخرجه النســـائي (4191) بلفظه، ومســـلم (1844)، وابن ماجه (3956) كلاهما بألفاظ مقاربة).

شرح الحديث.

كان النَّبيُّ ﷺ يجمَعُ لأصحابِه- رضِيَ اللهُ عنهم- المواعِظَ وجوامِعَ الوصايا؛ ولا ريبَ فقدْ أُوتِيَ ﷺ جوامعَ الكَلِمِ، وكان كثيرًا ما يُحذِّرُهم فِتَنَ آخِرِ الزَّمانِ، ويُعدِّدُها لهم.

وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو- رضِيَ اللهُ عنه-: "**بيْنا نحنُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ، إذْ نزَلْنا منزِلًا**"، أي: موضِعًا ومكانًا، "**فمِنَّا مَن يَضرِبُ خِباءَه**"، أي: ينصِبُ خَيمتَه وينشُرُها ويُجهِّزُها، "**ومِنَّا مَن يَنتضِـــلُ**"، أي: يَرمي بالسِّـــهامِ تدرُّبًا، "**ومِنَّا مَن هو في جَشْرَـــتِه**"، أي: في رِعايةِ الدَّوابِّ، بإخراجِها إلى المَرْعى، والجَشرُ- هي الدَّوابُّ الَّتي تُرْعى، وتَبيتُ مكانَها، "**إذ نادَى مُنادِي النَّبيِّ ﷺ: الصَّـــلاةُ جامعةٌ**"، كأنَّه قال: اجتَمِعوا للصَّلاةِ، وكأنَّه كان وقتَ صَلاةٍ، فلمَّا جاؤوا صَلَّوا معه.

"**فاجتَمَعْنا، فقام النَّبيُّ ﷺ، فخطَبَنا فقال: إنَّه**"، أي: إنَّ الأمْرَ أو الشَّـــأنَ، "**لم يكُنْ نَبيٌّ قبْلي إلَّا كان حقًّا عليه**"، أي: واجبًا عليه؛ لأنَّ ذلك منْ طريقِ النَّصيحةِ والاجتهادِ في التَّبليغِ والبَيانِ، "**أنْ يدُلَّ أُمَّتَه على ما يَعلَمُه خيرًا لهم**"، أي: بما أعلَمَه اللهُ وعلَّمَه، "**ويُنذِرَهم ما يَعلَمُه شَرًّا لهم، وإنَّ أُمَّتَكم هذه جُعِلَت عافيتُها في أوَّلِها**"، أي: جُعِلَ خلاصُـها وتماسُكها وقُوَّتُها عمَّا يضُرُّ في الدِّينِ في أوَّلِها، وقيل: يعني بأوَّلِ الأُمَّةِ زمانَ النَّبيِّ ﷺ، وزَمانَ الخُلفاءِ الثَّلاثةِ إلى قَتْلِ عُثمانَ؛ فهذه الأزمنةُ كانتْ أزمنةَ اتِّفاقِ هذه الأُمَّةِ، واستِقامةِ أمْرِها، وعافيةِ دِينِها، فلمَّا قُتِلَ عُثمانُ رضِيَ اللهُ تعالى عنه ماجَتِ الفِتنُ كموجِ البحرِ، وتتابَعَت كقطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، ثمَّ لم تزَلْ، ولا تزالُ مُتواليةً إلى يَومِ القِيامةِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قال: "**وإنَّ آخِرَها سيُصيبُهم بَلاءٌ وأُمورٌ تُنكِرونها**"، أي: سيظهَرُ فيهم أُمورٌ مُستحدثَةٌ لو رأيتُموها لأنْكَرتموها، والخِطابُ لأصحابِه؛ فدَلَّ على أنَّ منهم منْ يُدرِكُ أوَّلَ ما سمَّاهُ آخِرًا، ولعلَّ بِدايةَ ذلك الفِتنةُ في زمنِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ رضِيَ اللهُ عنه، "**تَجيءُ فِتنٌ، فيُدقِّقُ بعضُها لبعضٍ**"، أي: يجعَلُ بعضُها بعضًا دقيقًا وخفيفًا، فكأنَّ كلَّ فِتنةٍ تكونُ أصعَبَ ممَّا قبْلَها، حتَّى يَرى النَّاسُ الفتنةَ الأُولى أنَّها خَفيفةٌ بالنِّسبةِ للَّتي بعدها. وهذه اللَّفظةُ رُوِيت على أوجُهٍ أُخرى غيرِ ما سبَقَ، وفُسِّرَت بتفسيراتٍ مُتعدِّدةٍ: أحدِها: "**يُرَقِّق**"، أي: يَصِيرُ بعضُها رقيقًا، أي: خفيفًا؛ لعِظَمِ ما بعدَه، فالثَّاني يجعَلُ الأوَّلَ رقيقًا.

وقيل: معناه: يُشبِهُ بعضُها بعضًا، وقيل: يدورُ بعضُها في بعضٍ، ويذهَبُ ويَجيءُ، وقيل: معناه: يسوقُ بعضُها إلى بعضٍ بتحسينِها وتَسويلِها. والوجْهُ الثَّاني: "**فيَرْفُقُ**"، والثَّالثُ: "فيَدْفِقُ"، أي: يدفَعُ، ويصُبُّ، والدَّفقُ: الصَّبُّ.

"**فتَجيءُ الفِتنةُ، فيقولُ المُؤمِنُ: هذه مُهْلِكتي**"، أي: هذه الفتنةُ مَحلُّ هَلاكي، أو زَمانُه، "**ثمَّ تنكشِفُ**"، أي: تزولُ تلك الفتنةُ عنه، "**ثمَّ تَجيءُ**"، أي: فِتنةٌ أُخرى، "**فيقولُ: هذه مُهْلِكتي، ثمَّ تنكشِفُ، فمَن أحَبَّ منكم أنْ يُزحزَحَ عن النَّارِ**"، أي: لا يَرْجو دُخولَها، "**ويدخُلَ الجنَّةَ**"، أي: وأرادَ أنْ يُدخِلَه اللهُ الجنَّةَ.

"**فلْتُدْرِكْه موتتُه وهو مُؤمِنٌ باللهِ واليومِ الآخِرِ، ولْيأْتِ إلى النَّاسِ ما يحِبُّ أنْ يُؤتَى إليه**"، أي: فلْيُؤدِّ إليهم، ويفعَلْ بهم ما يُحِبُّ أنْ يُفعَلَ به من الخيرِ، ولْيَأتِ إلى النَّاسِ بحُقوقِهم من النُّصحِ والنِّيَّةِ الحَسنةِ بمثْلِ الَّذي يُحِبُّ أنْ يُجاءَ إليه به، **وقيل: المقصودُ بالنَّاسِ هنا:** الأئمَّةُ والأُمراءُ، فيجِبُ عليه لهم من السَّمعِ والطَّاعةِ والنُّصرةِ والنَّصيحةِ، مثلُ ما لو كان هو الأميرَ لكان يُحِبُّ أنْ يُجاءَ له به.

"**ومَن بايَعَ إمامًا، فأعطاهُ صَفقةَ يَدِه**"، أي: صافحَه بيَدِه وبايعَه، وسُمِّيت بالصَّفقةِ لأنَّها تُعقَدُ باليدِ، "**وثَمرةَ قلْبِه**"، أي: وعقَدَ له البيعةَ بقلْبِه صادقًا ومُخلِصًا لها، "**فلْيُطِعْه ما استطاعَ**"، أي: ما استَطاع وقدَرَ على طاعتِه في المعروفِ؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، "**فإنْ جاء أحدٌ يُنازِعُه فاضْرِبوا رقبةَ الآخرِ**"، والمعنى: أنَّ الإمامَ إذا بايعَه النَّاسُ ورَضُوا به، ثمَّ جاء آخرُ يُنازِعُه في الحكمِ، فادْفَعوا الثَّانيَ؛ فإنَّه خارجٌ على الإمامِ، فإنْ لم يندفِعْ إلَّا بحرْبٍ وقتالٍ، فقاتِلُوه، فإنْ دعَتِ المُقاتَلةُ إلى قتْلِه، جاز قتْلُه، ولا ضمانَ فيه؛ لأنَّه ظالمٌ مُعتدٍ في قتالِه.

قال: "وذكَرَ الحديثَ"، **وباقي الحديثِ عندَ مُسلِمٍ،** وفيه: أنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عبْدِ ربِّ الكعبةِ، راوي الحديثِ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو- رضِيَ اللهُ عنهما- قال: (**فدنَوْتُ منه، فقلْتُ له: أنشدُكَ اللهَ، آنتَ سمِعْتَ هذا من رسولِ اللهِ ﷺ؟ فأهوى إلى أُذُنيْه وقلْبِه بيدَيْه، وقال: سمِعَتْه أُذنايَ، ووعاهُ قلْبي، فقلْتُ له: هذا ابنُ عمِّك مُعاويةُ يأمُرُنا أنْ نأكُلَ أموالَنا بيننا بالباطلِ، ونقتُلَ أنفُسَنا، واللهُ يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الإيمان بالله يدفع المسلم إلى الإلتزام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، مما يؤدي إلى الاستقامة على دينه والعمل الصالح، الإيمان الصادق يزرع في قلب العبد الخوف من الله وعقابه، مما يدفعه إلى تجنب المعاصي والتقصير في الطاعات.

والمؤمن الصادق يعلم أن الله غفور رحيم، ويتوب إليه من ذنوبه، ويستغفر الله على تقصيره، وهذا يجعله على استعداد دائم للقاء الله، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ (الأنعام، آية: 48).

أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه، ورأس ذلك وأساسه تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرمات، والمبادرة إلى التوبة مما تلطخ به المرء منها، وأعظم ذلك الشرك كبيره وصغيره ([18]).

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]؟ قال: فسكَتَ ساعةً، ثمَّ قال: أطِعْه في طاعةِ اللهِ، واعْصِه في معصيةِ اللهِ).

وفي الحديثِ: بَيانُ لُزومِ الطَّاعةِ للحُكَّامِ الَّذين تمَّتْ لهم البيعةُ ومُعاونتِهم في طاعةِ اللهِ. وفيه: بَيانُ ما أوجَبَ اللهُ تعالى على أنبيائِه تُجاهَ أُمَمِهم، وهو إخلاصُ النَّصيحةِ لهم. وفيه: بَيانُ كَمالِ شَفقةِ النَّبيِّ ﷺ على أُمَّتِه ببَيانِ الخيرِ والشَّرِّ لها. وفيه: أنَّ سَببَ النَّجاةِ من النَّارِ ودُخولِ الجنَّةِ التَّمسُّكُ بالإيمانِ باللهِ وباليومِ الآخرِ، إلى أنْ يأتِيَه الأجلُ

[18] . خالد بن عبدالرحمن الشايع، علامات و أسباب حُسْنُ الخَاتِمَةِو سوء الخاتمة، موقع صيد الفوائد، تاريخ الاطلاع: 4-2-2025، متاح على رابط: (https://saaid.org).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم، آية 27)[19]، فيُثبت الله عباده المؤمنين عند ساعة الاحتضار، ويثبت أولياءه في القبر عندما يُسألون، ويثبتهم عندما يقومون من قبورهم.

روى البخاري ومسلم، عن البراء بن عازب- رضي الله عنه **-، قال: قال رسول الله** ﷺ: [إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فَذلكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (إبراهيم، آية: 27)].

---

[19] . تفسير السعدي: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: "**من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**" هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: "**الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبي**".

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بهذا- وزَادَ-:[﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (إبراهيم، آية: 27) نَزَلَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ] ([20]).

---

[20]. الراوي: البراء بن عازب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 1369، التخريج: أخرجه البخاري (1369)، ومسلم (2871) خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

وفي رواية البخاري: (المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فَذلكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]) [الراوي: البراء بن عازب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 4699، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (4699)، ومسلم (2871) بنحوه].

شرح الحديث.

مِن رَحمةِ اللهِ بهذِه الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ أنَّه جعَلَ التَّوحيدَ بطاقةَ نَجاةٍ في الدُّنيا، وعندَ السُّؤالِ في القَبْرِ، وكذلك في الآخِرة؛ فإنَّه يكونُ أثقَلَ في الميزانِ مِن كلِّ الأعمالِ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أن المسلمَ إذا سَألَه المَلَكانِ بعْد مَوتِه ودَفْنِه في القبر، فإنَّه يَرُدُّ بالشَّهادتينِ: بالتَّوحيدِ للهِ، وللنَّبيِّ محمَّد ﷺ بالرِّسالةِ، فيكون ذلك سَببًا في نجاتِه، وقد جاء في الرِّواياتِ أنَّه يُسألُ عن رَبِّه، ودينِه، ورَسولِه الذي بُعِث فيه، فإذا أجاب العبْدُ المؤمنُ بهذا الرَّدِّ، كان كما قال اللهُ تعالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم، آية 27)، فيُحَقِّقُ اللهُ إيمانَهم وأعمالَهم بالقَولِ الثَّابتِ -وهو شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ- في الدُّنيا وفي الآخِرةِ.

وتثبيتُهم في الدُّنيا: أنَّهم إذا فُتِنوا في دينِهم لم يزالوا على الحَقِّ، ولم يرتابوا بالشُّبُهاتِ، وتثبيتُهم في الآخرةِ: أنَّهم إذا سُئِلوا في القبرِ لم يتوقَّفوا في الجوابِ، وإذا سُئِلوا في الحَشرِ- وعند موقِفِ الإشهادِ عن مُعتَقَدِهم ودينِهم؛ لم تُدهِشْهم أهوالُ القيامةِ.

والنُّطق بالشَّهادتين من توفيقِ الله وتَثْبيته للمؤمنين، وهذا هو القولُ الثَّابتُ الذي لا يَتغيَّر في الدنيا والآخرة؛ فقدْ ثَبَّت الله به المؤمنين في الحياةِ الدُّنيا كما حدَث مع الموحِّدين في كلِّ المِحنِ، ويُثبِّتهم بها في

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري ومسلم، عن أنسِ بن مالك- **رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله** ﷺ: (العَبْدُ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أصْحَابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ، فأقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النبيُّ ﷺ: فَيَرَاهُما جَمِيعًا.

وأَمَّا الكَافِرُ- أوِ المُنَافِقُ- فيَقولُ: لا أدْرِي، كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بمِطْرَقَةٍ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً بيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ) [21].

الآخرةِ؛ فتكون سببًا لنَجاتِهم وفوزِهم بالجَنَّةِ. **وفي الحديث:** فَضلُ شَهادةِ التَّوحيدِ. وفيه: بيانُ ابتلاءِ اللهِ للمؤمنين في القُبورِ. وفيه: إثباتُ سُؤالِ القبرِ.

[21] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 1338، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بنحوه.

شرح الحديث.

القبْرُ هو أوَّلُ منازِلِ الآخِرةِ، والعذابُ والنَّعيمُ فيه حقٌّ، وهو إمَّا رَوضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ، أو حُفرةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ، أعاذَنا اللهُ منها.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ ﷺ بما يَتعرَّضُ له الإنسانُ عندَ موتِه ووضْعِه في قَبرِه؛ مِن أنَّه يَسمعُ قَرْعَ نِعالِ مَن أتى لِدفنِه، فيَسمَعُ صَوتَ أرجُلِهم وهم مُنصرِفون، فإذا انصَرفوا جاءَه مَلَكانِ فيُقْعِدانِه فيَسألانِه: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ محمَّدٍ ﷺ؟ فإذا كان مؤمنًا يقولُ: أَشهدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه، فيُقالُ له: انظُرْ إلى

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

2) سلامة المعتقد، وصحة الإيمان.

أن يكون الإنسان سليم العقيدة، صحيح الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشره؛ فمن صح إيمانه وسلمت عقيدته حسنت خاتمته بإذن الله- تبارك وتعالى-، يقول ربنا- تبارك وتعالى- في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(الأنعام، آية:82) ([22]).

مَقعدِكَ مِنَ النَّارِ، الَّذي كان مُعَدًّا لك في جهنَّمَ لو لم تكُنْ مؤمنًا، أبدَلَك اللهُ به مَقعدًا في الجنَّةِ، فَيَرى كِلا المَقعدَينِ.

فإنْ كان المَيتُ كافرًا أو مُنافقًا فإنَّه لا يتمكَّنُ مِن الإجابةِ عن سُؤالِ الملَكَينِ، فيَقولُ: لا أدري! كنتُ أقولُ ما يقولُ النَّاسُ! فيُقالُ له: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، وهو دُعاءٌ عليه، ومعناه: لا كنتَ دَاريًا ولا تاليًا؛ فلا تُوفَّقُ في هذا الموقفِ، ولا تَنتفعُ بما كنتَ تسمعُ أو تقرأُ، ثُمَّ يُضرَبُ بِمِطْرَقةٍ مِن حَديدٍ ضرْبةً بيْنَ أُذُنَيْه، فَيصيحُ صَيْحةً يَسمعُه مَن يكونُ قريبًا منه مِن الخلائقِ إلَّا الثَّقَلَينِ، وهُما الإنسُ والجنُّ؛ فإنَّ السَّمعَ مَحجوبٌ عنهما؛ وذلك رحمةً بهم، وإبقاءً على حياتِهم؛ لأنَّهم لو سَمِعوها لصَعِقوا، وسُمُّوا الثَّقَلَينِ لثقلِهم على الأرضِ، فاللَّهمَّ قِنَا فِتنةَ القبرِ وعذابَه بِمَنِّك وفضْلِك يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ. **وفي الحديثِ:** إثباتُ سؤالِ الملَكينِ للمَيتِ في القبرِ. وفيه: إثباتُ عذابِ القبرِ.

[22] . **تفسير السعدي:** قال الله- تعالى- فاصلاً بين الفريقين:﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم﴾أي: يخلطوا:﴿إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة.

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء. **تفسير السعدي:** قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(سورة الأنعام، آية:82)

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وكم من عامل يشـــقى وينصـــب ويتعب جســـده يتقرب إلى الله- تبارك وتعالى- بأنواع من القربات وهو على انحراف في العقيدة؛ فيذهب عمله هذا كله، ويحبط ولا ينتفع منه بشيء!

قال الله- تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَـعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِـنُونَ صُـنْعًا أُولَـٰئِكَ الَّـذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف، آية:103-105)([23])، يظنون أنهم على خير، وهم

[23] . **تفسير السعدي**: أي: قل يا محمد، للناس- على وجه التحذير والإنذار-: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالاً على الإطلاق؟ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسـنون في صـنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادة لله ورسـله ومعاداة؟ فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، فـــ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر، آية:15).

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسـله، وكتبه، واليوم الآخر ﴿فَحَبِطَتْ﴾ بسـبب ذلك ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسـنات بالسـيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان.

كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّـالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْـمًا﴾ (طه، آية: 112)، لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها، **تفسير السـعدي**: قوله الله- تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَـلَّ سَـعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (تفسير سورة الكهف، آية:103-104).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ليســـوا على خير؛ فقد انحرفت عقيدتهم، ولم يخلص إيمانهم بالله تبارك وتعالى([24]).

وهذا وصـف للأشـخاص الذين يعتقدون أن أعمالهم صـالحة ومفيدة، بينما هي في الحقيقة باطلة وضائعة.

وليس أضر على العبد من أن ينحرف اعتقاده ويفســـد إيمانه، والواقع يشـهد أن أهل الزيـغ والضـلال هم أكثر الناس شـكاً واضـطراباً وقلقاً وخوفاً عند الموت، وتسوء خاتمتهم، والعياذ بالله.

يذكر الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في كتابه البداية والنهاية: أن رجلاً رافضـياً كان يسـب صـحابة رسـول الله ﷺ في شِـعره، وكان شـاعراً يدعى بإسماعيل بن محمد.

يذكر ابن كثير- رحمه الله- أنه عندما حضرــته الوفاة اســودّ وجهه، واشتد عليه الكرب جداً، ومات، فلما مات أبى المسلمون أن يصلوا عليه أو أن يدفنوه؛ لأنه كان يسـب صـحابة رسـول الله ﷺ، خاتمة سـيئة والعياذ بالله! والقصص في هذا والأخبار كثيرة جداً.

[24] . علي باوزير، أسـباب حسـن الخاتمة، موقع الخطباء، تاريخ النشر10-10-2022م، 14-3-1444هـ، تاريخ الاطلاع: 4-4-2025م، متاح على رابط: (https://khutabaa.com).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

3) إخلاصُ النيةِ للهِ، والصدقُ في عبادتِه.

إخلاصُ النيةِ للهِ، والصـــدقُ في عبادتِه وتَقْواه، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـــدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّـــادِقِينَ بِصِـــدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَـــاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب، آية:23-24)[25].

---

[25] . **تفسير السعدي:** ولما ذكر أن المنافقين، عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء المؤمنين به، فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـــدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ســـاع في ذلك، مجد.﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّـادِقِينَ بِصِـدْقِهِمْ﴾ أي: بسـبب صـدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾الآية. أي: قدرنا ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه.

﴿إِن شَـــاء﴾ تعذيبهم، بأن لم يشـــأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسـمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: (عمِّي أنسُ بنُ النَّضرِ- سُمِّيتُ بهِ، لم يشهد بدرًا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَكبرَ عليهِ، فقال: أوَّلُ مشهدٍ قد شَهدَه رسولُ اللَّهِ ﷺ غبتُ عنهُ، أما واللَّهِ لئن أراني اللَّهُ مشهدًا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليرينَّ اللَّهُ ما أصنعُ.

قال: فَهابَ أن يقولَ غيرَها، فشَهِدَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ منَ العامِ القابلِ، فاستقبَلَه سعدُ بنُ معاذٍ، فقال: يا أبا عمرٍو أينَ؟ قال: واهًا لريحِ الجنَّةِ أجدُها دونَ أحدٍ، فقاتلَ حتَّى قُتِلَ.

فوجدَ في جسدِه بضعٌ وثمانونَ من بينِ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت عمَّتي الرُّبيِّعُ بنتُ النَّضرِ:فما عَرفتُ أخي إلَّا ببنانِه، ونزلت هذِه الآيةَ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾) [26].

تفسير السعدي: قوله تعالى:﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تفسير السعدي: (سورة الأحزاب، آية:23-24)

[26] .الراوي: أنس بن مالك، المحدث: ابن العربي، المصدر: عارضة الأحوذي الصفحة أو الرقم: 286/6، التخريج: أخرجه الترمذي (3200) واللفظ له، وأخرجه البخاري (2805)، ومسلم (1903) باختلاف يسير. خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فإنْ صَدَقَ العبدُ مع الله بالطاعة سلَكَ به طريقَ المُصلحين، وختمَ له بالحُسْنى، فالنية الصالحة والإخلاص لله- تعالى-، فهما سبب قبول الأعمال عند الله.

وصدق النية مع الله؛ يعني أن تكون الأعمال والأقوال خالصة لوجه الله تعالى، ابتغاء مرضاته، دون أي حظوظ دنيوية أو رغبات شخصية، فالصدق في النية هو أن يُبطن القلب ما يُظهر اللسان، وأن تكون حركات العبد وسكناته لله وحده، وعلى قدر صدق هذه النية تأتي العطايا والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

فمن أسبابُ التَّوفيق إلى حُسْن الخاتمة: النيَّةُ الصَّالحة والإخلاصُ لله؛ لأنَّ النيَّةَ والإخلاص شرطان للأعمال المقبولة.

أخرج النسائي والحاكم عن شدَّاد بن الهادِ الليثي- رضي الله عنه-، قال: (كان الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم أكثرَ المُسلِمينَ إخلاصًا وصِدقًا مع اللهِ سبحانَه، وأحْرَصَهم على الشهادةِ في سَبيلِ اللهِ تعالى؛ لِمَا في قُلوبِهم من الإيمانِ بوعدِ اللهِ تعالى.

وقد كان النبيُّ ﷺ يَرعَى حديثي الإسلامِ ويُوجِّههم إلى ما فيه الصَّلاحُ. أنَّ رجلًا مِنَ الأعرابِ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فآمنَ بِهِ واتَّبعَهُ، ثمَّ قالَ: أُهاجرُ معَكَ، فأوصى بِهِ النَّبيُّ ﷺ بعضَ أصحابِهِ، فلمَّا كانَت غزوةٌ غنمَ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

النَّبيُّ ﷺ سبيًا، فقسمَ وقسمَ لَهُ، فأعطى ما قسمَ لَهُ، وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم، فلمَّا جاءَ دفعوهُ إليهِ، فقالَ: ما هذا؟

قالوا: قَســمٌ قَســمَهُ لَكَ النَّبيُّ ﷺ، فأخذَهُ فجاءَ بِهِ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: ما هذا؟ قالَ: قَسمتُهُ لَكَ، قالَ: ما علَى هذا اتَّبعتُكَ، ولَكِنِّي اتَّبعتُكَ على أن أرمى إلى ههُنا، وأشارَ إلى حَلقِهِ بسَهْمٍ، فأموتَ فأدخلَ الجنَّةَ.

فقالَ: إن تَصــدقِ اللَّهَ يَصــدقكَ، فلبِثوا قليلًا ثمَّ نَهَضــوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بِهِ النَّبيُّ يحملُ قَد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ، فقالَ النَّبيُّ: أَهوَ هوَ؟

قالوا: نعَم، قالَ: صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ، ثمَّ كفَّنَهُ النَّبيُّ في جبَّةِ النَّبيِّ، ثمَّ قدَّمَهُ فصلَّى علَيهِ، فَكانَ فيما ظَهَرَ من صلاتِهِ: اللَّهمَّ هذا عبدُكَ خرجَ مُهاجِرًا في سبيلِكَ فقُتلَ شَهيدًا أَنا شَهيدٌ على ذلِكَ) [27].

---

[27] . الراوي: شداد بن الهاد الليثي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: 1952، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه النسائي (60/4)، وعبد الرزاق في ((المصنف)) (545/3)، والطبراني في ((الكبير)) (271/7) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

كان الصَّحابةُ- رضِيَ اللهُ عنهم- أكثرَ المُسلِمينَ إخلاصًا وصِدقًا مع اللهِ سبحانَه، وأحْرَصَهم على الشهادةِ في سَبيلِ اللهِ تعالى؛ لِمَا في قُلوبِهم من الإيمانِ بوعدِ اللهِ تعالى، وقد كان النبيُّ ﷺ يَرعَى حديثي الإسلامِ ويُوجِّههم إلى ما فيه الصَّلاحُ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وفي هذا الحديثِ يخبرُ شـــدَّادُ بنُ الهادِ- رضِيَ اللهُ عنه-: "أنَّ رجُلًا مِن الأعرابِ"، والأعرابُ هم سُكَّانُ الباديةِ مِن العرَبِ، **"جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فآمَن به واتَّبَعه"**، أي: إنَّ هذا الرَّجُلَ قَدِم مِن الباديةِ إلى النَّبيِّ ﷺ فأسْلَمَ وآمَنَ بالنبي ﷺ، واتَّبَعه على الهُدَى ودِينِ الحَقِّ، ثمَّ قال الرَّجلُ للنَّبيِّ ﷺ: **"أُهاجِرُ معَك"**، أي: أَترُكُ بادِيَتي وأذهَبُ معَك إلى المدينةِ، وطلَب الرَّجُلُ هذا لِمَا عَلِمَه مِن الثَّوابِ الَّذي أعَدَّه اللهُ للمُهاجِرين.

"فأوصى به النَّبيُّ ﷺ بعْضَ أصـــحابِه"، فأذِن له النَّبيُّ ﷺ في الهِجرةِ، وأمَر أصـــحابَه به خيرًا؛ لِيُساعِدوه ويَهتمُّوا لأمرِه؛ لِمَا رآه النَّبيُّ ﷺ مِن الرَّجلِ مِن استِعْدادٍ للهجرةِ، وتحَمُّلِ المشاقِّ في سَبيلِ اللهِ.

وقد ورَد في حديثٍ آخَرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يأذَنْ لرَجلٍ مِن الأعرابِ بالهِجرةِ؛ وهذا محمولٌ على أنَّه ﷺ كانَ يُعامِلُ كلَّ واحدٍ بما يُناسِبُ حالَه؛ فلَعلَّه عَلِمَ أنَّه لا يتَحمَّلُ مشَـقَّةَ الهِجرةِ، فلم يأذَنْ له، وأذِنَ لهذا الذي عَلِمَ أنَّه يَتحمَّلُ، **"فلمَّا كانتْ غزوةٌ غَنِم النَّبيُّ ﷺ سَـــبْيًا"**، أي: فلمَّا جاءتْ غزوةٌ، وخرَج النَّبيُّ ﷺ للقِتالِ فيها وأصاب غَنيمةً فيها أُسارى.

"فقَسَـم وقسَـم له، فأعْطَى ما قسَـم له"، أي: قسَـم النَّبيُّ ﷺ الغَنيمةَ إلى أجزاءٍ؛ لِيُعطيَ كلَّ واحدٍ نصـــيبَه، وقسَـــم للرَّجلِ حقَّه مِن الغنيمةِ، وأعطى النَّبيُّ ﷺ لأصـــحابِه نَصـــيبَه لِيُعْطوه له، **"وكان يَرْعى ظَهْرَهم"**، أي: وكان الرَّجلُ يَعمَلُ على رعْيِ الإبلِ، **"فلمَّا جاء دَفَعوه إليه"**، أي: فلمَّا جاء مِن رَعْيِه وعمَلِه أعطَوْه حظَّه ونَصـيبَه مِن الغَنيمةِ، **"فقال: ما هذا؟"**، أي: سـأَلهم ما هذا الَّذي أعطَيتُموني، **"قالوا: قَسْـمٌ قسَمه لك النَّبيُّ ﷺ"**، أي: هذا نَصيبُك وحقُّك الَّذي قسَمه لك النَّبيُّ ﷺ مِن الغَنيمةِ.

"فأخَذه، فجاء به إلى النَّبيِّ ﷺ"، أي: إنَّ الرَّجلَ أخَذ نَصـــيبَه مِن الغَنيمةِ، وأتى به النَّبيَّ ﷺ، **"فقال: ما هذا؟"**، أي: سأَل النَّبيَّ ﷺ: ما هذا؟ قال النَّبيُّ ﷺ: **"قسَمتُه لك"**، أي: هذا نَصيبُك مِن الغَنائمِ الَّتي قُسِـــمَت، قال الرَّجلُ: **"ما على هذا اتَّبعتُك"**، أي: ما اتَّبعتُك، وآمنتُ بك، وهاجرتُ معَك مِن أجْلِ الحُصولِ على الغنائمِ.

"ولكنِّي اتَّبعتُك على أن أُرْمى إلى هَاهنا- وأشـــار إلى حَلْقِه- بسَـــهمٍ، فأموتَ فأَدخُلَ الجنَّةَ"، أي: إنَّما اتَّبعتُك على أن أُجاهِدَ معَك، وأُقاتِلَ أعداءَ اللهِ فأُرْمَى بسَـهمٍ، وأشـار الرَّجلُ إلى مكانِ حَلْقِه، واسـتُشـهِد فأُدخِلَ الجنَّةَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: **"إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ"**، أي: إنْ كنتَ صادِقًا في قولِك ونيَّتِك هذه، فإنَّ اللهَ يُجازيك على هذا الصِّدْقِ ما تتَمنَّاه مِن الموتِ في سَبيلِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

4) الاستقامةُ والمداومة على العمل الصالح.

الاستقامة على طاعة الله وأمر رسوله، وهي أن يَلزم الإنسانُ طاعةَ اللهِ في كلِّ أحوالِه، فمن عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه، قال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم، آية: 27).

قال الرَّواي: "**فلَبِثوا قليلًا**"، أي: مكَث النبيُّ ﷺ والصَّحابةُ مُدَّةً قليلةً، "**ثمَّ نهَضوا في قِتالِ العَدوِّ**"، أي: قاموا للخروجِ لقتالِ العدوِّ مُسرِعين، "**فأُتِي به النَّبيُّ ﷺ يُحمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار**"، أي: جيءَ بهذا الرَّجلِ إلى النَّبيِّ ﷺ مَحمولًا مَقتولًا بسَهمٍ في حَلْقِه، وهو المكانُ الَّذي كان يُشيرُ إليه للنَّبيِّ ﷺ وتمنَّى أن يُرْمى فيه بسَهمٍ؛ لِيَكون شهيدًا ويَدخُلَ الجنَّةَ، فقال النَّبيُّ ﷺ لأصحابِه: "**أهو هو؟!**"، أي: أهو هو هذا الرَّجلُ الَّذي قال ما قال؟ "**قالوا: نعَم**" هو هو الرَّجلُ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "**صَدَق اللهَ فصَدَقه**"، أي: كان فيما قال صادقًا مخلِصًا؛ ولذا صدقَه اللهُ وأنجَز له ما تَمنَّاه من الاستشهادِ في سَبيلِه.

قال: "**ثمَّ كفَّنه النَّبيُّ ﷺ في جُبَّةِ النَّبيِّ ﷺ**"، أي: جعَل النَّبيُّ ﷺ كفَنَه الَّذي كفَّنه فيه جُبَّتَه ﷺ، ويَحتمِلُ أن يكونَ تَكفينُه فيه لالْتِماسِ برَكةِ النَّبيِّ ﷺ، وإلَّا فإنَّ تَكفينَ الشُّهداءِ يكونُ في ثِيابِهم، "**ثمَّ قدَّمه فصلَّى عليه**"، أي: إنَّ النَّبيَّ ﷺ وضَع جُثْمانَ الرَّجلِ قُدَّامَه، وبينَ يدَيْه؛ لِيُصلِّيَ عليه صَلاةَ الجنازةِ، "**فكان فيما ظهَر مِن صَلاتِه**"، أي: كان فيما ظهَر في دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ في صَلاتِه: "**اللَّهمَّ هذا عبدُك، خرَج مُهاجِرًا في سَبيلِك**"، أي: يا ربِّ هذا عبدُك، ترَك أهْلَه ومالَه، وهاجَر ابتِغاءَ وجْهِك ومَرْضاتِك.

"**فقُتِل شَهيدًا**"، أي: خرَج للقِتالِ فقُتِل شَهيدًا؛ "**أنا شهيدٌ على ذلك**"، وفي هذا فضلٌ عظيمٌ ومنقبةٌ جليلةٌ لهذا الرجُلِ- رضِيَ اللهُ عنه-، وقد استُدلَّ بهذا الحديثِ على مَشروعيَّةِ الصَّلاةِ على الشَّهيدِ. وفي الحديثِ: فَضلُ الصِّدقِ مع اللهِ تعالى، وأنَّه سببٌ لتحقيقِ ما يُرجَى من الخيرِ. وفيه: بيانُ شِدَّةِ عِنايةِ النبيِّ ﷺ بأصحابِه، خصوصًا الغُرباءَ، حيثُ أمَرَ بعضَ أصحابِه بالقِيامِ على شأنِ هذا الأعرابيِّ؛ تهوينًا عليه مِن أمْرِ الغُربةِ، وتقويةً لدِينِه .

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقد بَشَّرَ اللهُ تعالى أهلَ الاستقامة بتأييد الملائكةِ وتثبيتِهم لهم عند الممات، قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت، آية: 30- 32) ([28]).

روى مسلم، عن سُفيانُ بنُ عبدِ اللهِ الثَّقَفيُّ- رضي الله عنه، قال: (قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ)، وفي حَديثِ أبِي أُسامَةَ: (غَيْرَكَ)، (قالَ: قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، فَاسْتَقِمْ)([29]).

---

[28] وقوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال مجاهد والسدي، وزيد بن أسلم، وابنه: يعني عند الموت قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: **قال مجاهد، وعكرمة، وزيد بن أسلم:** أي مما تقدمون عليه من أمرِ الآخرة. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾؛ [أي]: على ما خلَّفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دَين، فإنا نخلفكم فيه. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، فيُبشِّرونهم بذَهابِ الشر، وحصولِ الخير.

[29] . الراوي: سفيان بن عبدالله الثقفي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 38، التخريج: أخرجه أحمد (15416)، وابن حبان (942)، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (1584)، بلفظ: (ثم استقم). خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

الإيمانُ باللهِ إيمانًا صادقًا، والاستِقامةُ على شَرعِه قَدرَ الوُسعِ والطَّاقةِ: هما طَريقُ الفَلاحِ والنَّجاحِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وقد كان الصَّحابةُ من أحرَصِ النَّاسِ على سُؤالِ النَّبيِّ ﷺ عمَّا يَنفَعُهم في دُنياهم وآخِرتِهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

والمداومة على عبادة الله: لقوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر، آية: 99). وعن مجاهد- رضي الله عنه- في قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، قال: الموت ([30]).

وقال أبو إســحاق: مجازُ هذا الكلام مجازٌ أبدًا؛ المعنى: اعبُدْ ربك أبدًا؛ لأنه لو قيل: اعبُدْ ربك- بغير توقيتٍ- لجاز إذا عبد الإنســان مرةً أن

وفي هذا الحديثِ يَسـألُ الصَّـحابيُّ سُـفيانُ بنُ عبدِ اللهِ الثَّقَفيُّ- رَضِيَ اللهُ عنه- النَّبيَّ ﷺ عن عَمَلٍ يُنجيه ويَكفيه عن الأعمالِ الأُخرى، وأن يُعَلِّمه بقولٍ جامِعٍ وشامِلٍ في مَبادِئ الإسلامِ وغاياتِه، فيكون كَلامًا جامِعًا لأمرِ الإسلامِ، يَكمُلُ به دينُه ويُرشِدُه إلى الحقِّ، ويَكفيه عن غَيرِه منَ الأعمالِ، ويَكون سببًا في نَجاتِه منَ النَّارِ يومَ القيامةِ. وقَولُه: «في الإسلامِ»، أي: فيما يَكمُلُ به الإسلامُ، ويُراعَى به حُقوقُه، ويُستَدَلُّ به على تَوابِعِه، أوِ المَعنَى: علِّمني قولًا جامِعًا لِمَعاني الإسلامِ.

فقال له النَّبيُّ ﷺ: «قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثُمَّ اسْـتَقِمْ»، أي: قُل وأنتَ مُوقِنٌ بقَلبِكَ: آمنتُ باللهِ، ثُمَّ داوِم على هذا الإيمانِ وأنت مُسـتَقيمٌ على هَديه ومُقتَضـاهُ، والاسـتِقامةُ جامِعَةٌ للإتيانِ بجَميعِ الأوامِرِ، والانتِهاءِ عن جَميعِ المَناهي، فالمُعوَّلُ عليه هو الثَّباتُ على الإيمانِ مع الاسـتِمرارِ على العَملِ الصَّـالِحِ الذي يَهدي صاحِبَه إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

ومن بُشرَياتِ الاستِقامةِ ما جاء في قَولِ اللهِ- تَعالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: 13-14].

[30] . **تفسير السعدي:** ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائباً في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ. **تفسير السعدي:** قوله تعالى:﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر، آية: 99).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

يكون مطيعًا، فإذا قال: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾؛ أي: أبدًا، وما دمتَ حيًّا، فقد أمر بالإقامة على العبادة [31].

وقال تعالى عن نبيِّه عيسى ـ عليه السلام- وهو في المهد: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم، آية: 31).

5) **المحافظة على الصلوات.**

المحافظة على الصلوات، **روى البخاري ومسلم، عن عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ علَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بهِنَّ، فإنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهُنَّ مَن سُنَنَ الهُدَى، ولو أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، ولو تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ.**

[31] معاني القرآن وإعرابه: (3/ 187)، بنصه، وفي هذا ردٌّ على أهل الضلال الذين جعَلوا للعبادة أجلًا تنتهي عنده؛ لذلك فسَّروا اليقين بالمعرفة، فإذا وصل أحدهم إلى مقام المعرفة، سقط عنه التكليف!، انظر: تفسير ابن كثير: (2/ 617)، والألوسي: (14/ 87)، والقاسمي: (10/ 75).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وَما مِن رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ مِن هذِه المَسَـــاجِدِ، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ له بكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَـــنَةً، وَيَرْفَعُهُ بهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنْه بهَا سَـــيِّئَةً، وَلقَدْ رَأَيْتُنَا وَما يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلقَدْ كانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى به يُهَادَى بيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ) ([32]).

---

[32] . الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 654، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري.

شرح الحديث.

المُحافَظةُ على الصَّلواتِ أَمْرٌ شرعيٌّ واجبٌ على كلِّ مسلم، وقد أَمَر الله وأوصى بالمحافظةِ عليها وعلى الجَماعة، وفي ذلك أجرٌ وفَضْلٌ للمُسلم، وفي الجَماعة مُضاعَفة الأجر لسبعةٍ وعِشرين ضِعْفًا، وقد حضَّ النَّبيُّ ﷺ جميعَ مَن يسمع النِّداءَ على إتيان المسجدِ.

وهذا الحديثُ يُوضِّحُ أهميَّة صلاةِ الجَماعة؛ فقوله: "**مَن سرَّه**"، أي: مَن يُفرِحه، ومَن يُحِبُّ "**أنْ يَلقى اللهَ غدًا مسلمًا**"، أي: كاملَ الإسلام، "**فليُحافِظ على هؤلاء الصَّلواتِ حيث يُنادى بهنَّ**"، أي: فليُحافِظ على صلواتِ الفرائضِ الخَمْس في وقتِها وفي المسجد؛ "**فإنَّ الله شَرَع لنبيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدى، وإنَّهنَّ مِن سُنَنِ الهُدى**"؛ وسُنَن الهُدى: هي طُرُق الوصول إلى الهداية والرَّشاد.

قوله: "**ولو أنَّكم صلَّيتُم في بُيُوتكم كما يُصلِّي هذا المتخلِّف في بيتِه لتَرَكتُم سُنَّة نبيِّكم، ولو تَرَكتُم سُنَّة نبيِّكم لَضللتُم**"، وهذا تحذيرٌ شديدٌ مِن تَرْك صلاةِ الجَماعة والاكتفاءِ بالصَّلاة في البيت مُنفرِدًا؛ إذ إنَّ صلاةَ الجماعةِ في المساجِدِ مِن سُنَّة النَّبيِّ ﷺ، وفي صلاةِ الجَماعةِ فوائدُ عظيمةٌ، مِثْل: التَّلاقي بين المسلمين، وإظْهارُ اتِّحادهم وقوَّتهم، وغير ذلك.

وقوله: "**وما مِن رَجل يتطهَّر فيُحسِن الطَّهُورَ**"، أي: يُحسِن الوضوءَ بإسْباغه، "**ثمَّ يَعمِدُ إلى مَسجدٍ مِن هذه المساجِدِ**"، أي: يَقصِدَ ويتَّجِهَ إلى الصَّلاةِ في المساجد، "**إلا كتَب اللهُ له بكلِّ خُطوةٍ**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الشاهد من الحديث: (مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ).

كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- ، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ) (33).

يَخْطوها حسنةً، ويَرفَعُه بها درجةً، ويَحُطُّ عنه بها سيئةً"، وهذا مِن حُسْن الجزاءِ والمَثوبة من الله، وللحضِّ على فِعْل ذلك.

ثم قال ابنُ مَسعودٍ- رضِي اللهُ عنه-: "ولقد رأيتُنا وما يَتخلَّف عنها إلَّا مُنافِقٌ مَعلومُ النِّفاق"، أي: عَلمتُ من أَمْر أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنَّه لا يَتْرُكُ صلاةَ الجَماعة إلَّا المُنافِقُ حقيقةً، أو مَن يُخاف عليه الوقوعُ في النِّفاقِ، "ولقد كان الرَّجلُ يُؤتَى به يُهادى بين الرَّجُلين حتى يُقام في الصَّفِّ"، أي: يُؤتَى به، وهو مُستنِدٌ بين رَجُلين حتى يَقِف في الصَّفِّ وهو مُستنِدٌ أيضًا، وذلك مِن شدَّة حِرْصهم على صلاةِ الجَماعة.

وفي الحديث: الحثُّ على المُحافَظة على أداءِ صلاةِ الجماعة في المساجدِ. وفيه: بيانُ حِرْصِ الصَّحابةِ على أداءِ الصَّلواتِ في الجماعةِ.

33 . الراوي: أبو موسى الأشعري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 574، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (635).

شرح الحديث.

فضَّلَ الله عزَّ وجلَّ بحِكمتِه بعضَ العِباداتِ على بعضٍ؛ لِما تتميَّزُ به، وجعَلَها سَببًا لدُخولِ الجنَّةِ، ومِن تِلك الأعمالِ ما ذَكَرَه النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ عن فَضلِ صَلاتَيِ البَرْدَيْنِ، وهُما الفَجرُ والعَصرُ، وسُمِّيَتا بهذا الاسمِ؛ لأنَّهما يَقعانِ في وقتِ إبرادِ الجَوِّ وتلَطُّفِه في الصَّباحِ حيثُ تَظهرُ رُطوبةُ الهواءِ وبُرودَتُه، وعندَ العصرِ حيثُ يَظهرُ انكِسارُ حرارةِ النَّهارِ والدُّخولُ في وقتِ اعتدالِ الجَوِّ.

حيثُ بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ مَن صلَّى هاتَينِ الصَّلاتَينِ بِحقِّهما دخَلَ الجنَّةَ.وخصَّ هنا الفَجرَ والعصرَ؛ لأنَّ الفَجرَ يكونُ عندَ لذَّةِ النَّومِ، والعصرَ يكونُ عندَ اشتِغالِ الإنسانِ بعَملِه، فمَن حافَظَ عليهِما كان مِن بابِ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

والبردان؛ هما: (صلاة الفجر، وصلاة العصر)، فمن حافَظ على صلاة الفجر وعلى صلاة العصر، فإنه سيحافظ على بقية الصلاة، وربما يموت بين عبادتين، ربما يموت بعد أداء العبادة مباشرة، كم مِن شخصٍ لَقِيَ ربَّه وهو ساجد بين يديه! كم من شخص فاضت رُوحه وهو منكسرٌ بين يدي خالقه مُقبل على الله بقلبه وبدنه!

6) **فِعْلُ ما يوعظ به العبد.**

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

أَوْلى أنْ يُحافِظَ على بقيَّةِ الصَّلواتِ. وقيل: إنَّما خُصَّتا بالذِّكْرِ والتأكيدِ؛ لفَضْلِهما باجتِماعِ مَلائكةِ اللَّيلِ وملائكةِ النَّهارِ فيهما، وتعاقُبِهم وصُعودِهم إلى السَّماءِ فيُخبِرون اللهَ بأحوالِ العِبادِ وهو أعلَمُ بهم.

فالأَولى أن يَكونَ العبدُ على طاعةٍ في هذَينِ الوقتَينِ لِيَفوزَ بالجَنَّةِ، وقد قال تعالى مِصْداقًا لذلك: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39]، **وفي الحديث:** فَضلُ المحافَظةِ على صَلاتَيِ الفَجرِ والعصرِ.وفيه: عِظَمُ أجرِ العِبادةِ وقْتَ التَّشاغُلِ والغَفلةِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء، آية: 66- 70) ([34]).

---

[34] . **تفسير السعدي:** يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمدًا وشكرًا لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به؛ أي: ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. **ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:-**

أ) **(أحدها) الخيرية** في قوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

ب) **(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته**، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضيه النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد.
فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر، فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

ج) **(الثالث) قوله:** ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبُدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

د) **(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم:** وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُدِيَ إلى صراط مستقيم، فقد وُفِّقَ لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. **تفسير السعدي: قوله تعالى:**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الثبات على الحق يختلف؛ منه الشديد القوي، ومنه الضعيف، ومنه المتوسط؛ لقوله: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى عظيم ما يحصل في المستقبل، وأن الإنسان يُخشى عليه من الزلل إلا أن يثبِّته الله؛ لقوله: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾؛ لأن التثبيت على غير مواطن الزلل لا يُذكر، إنما يُذكر التثبيت في حال مواطن الزلل.

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل، آية: 94)[35]، وهذا مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد عافية، ومحنة بعد نعمة، فإن من نقض عهد الإسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في مثل هذه الضلالة.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (تفسير السعدي، سورة النساء، آية: 66).

[35] . **تفسير السعدي:** أي: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وعهودكم ومواثيقكم تبعاً لأهوائكم متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حيث ضللتم وأضللتم غيركم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مضاعف. **تفسير السعدي:** لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النحل، آية: 94).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

عبارة في القرآن تحتاج منا لتركيز وانتباه: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ لم يقل لعدم ثبوتها، بل قال: ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ لندرك أن الحياة فتن، والثبات عزيز، فلا يغرنك ثباتك اليوم، فما تدري ما يفعل بك غداً! فلا تستصغر الزلات، رب زلة سقط صاحبها فانكسر.

لم يقل بعد تذبذبها، بل بعد ثبوتها، الحياة فتن، والثبات صعب (الثبات) لا يكون بكثرة الاستماع للمواعظ، إنما يكون بفعل هذه المواعظ، فلا تغترّ بنفسك، ولا تأمن زلّة القدم، وإن كانت قد رسَت على شاطئ الثبات.

فلا يغب عن ذهنك أنّها كانت ثابتة وزلّت، لم يكن صاحبها يتأرجح، ولم يكن يتعذّر، ولم يكن يتردّد، بل كان ثابتاً ورغم هذا زلّ! ولهذا كان ﷺ يدعو: (**يا مثبِّتَ القلوبِ، ثبِّت قلوبَنا على دينِكَ**) اللَّهُمّ ثبّت قلوبنا على طاعتك.

ومعلوم أن الإنسان يَرِد عليه في حياته شبهات ويَرِد عليه شهوات، فالشبهات تدك العلم وتُذهب العلم، والشهوات تدك الإرادة، حتى يصبح الإنسان لا يريد إلا ما يهواه فقط، وهذه آفة؛ فالإنسان يحيط به شيئان:

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

شـــبهة يزول بها العلم، شـــهوة تزول بها الإرادة، فإذا لم يثبِّته الله بالعلم والإرادة الصادقة والعزيمة الجازمة؛ فإنه يهلك([36]).

7) حُسنَ الظنِّ بالله- تعالى-، والالتجاء إليه، والتوكل عليه.

إحســـان الظن بالله، والالتجاء إليه، والتوكل عليه حق التوكل، ولا يكون التوكل على الله فقط في أمور الدنيا من كسب الرزق ونحوه فحسب، وإنما في الثبات على الدين، والتوفيق إلى الطريق المستقيم.

من أسباب حسن الختام: إحسان الظن بالله مع العمل الصالح؛ روى ابن حبان، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رســـول الله: قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**أنا عند ظنِّ عبدِي بي إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ**) ([37]).

---

[36] . الباحث القرآني، تفسير ابن عثيمين، موقع الباحث القرآني، تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَـــدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْـــتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُـــولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاءِ وَالصَّـالِحِينَ وَحَسُـنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْـلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النســاء، آية: 66- 70) تاريخ الاطلاع: 5-4-2025م، متاح على رابط: (https://tafsir.app/ibn-uthaymeen/4/66).

[37] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 4315، التخريج: أخرجه ابن حبان (639) واللفظ له. وأصـله في صـحيح البخاري (7405)، ومسـلم (2675) مطولاً دون قوله: (إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ) خلاصة حكم المحدث: صحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فمن صلى وصام وتصدَّق، وحجَّ وبرَّ والديه، ودعا ربَّه، فإنه يُحسن الظن بخالقه أنه سيُحسن خاتمته.

من أهم الأسباب التي يُوَفَّقُ بها العبدُ لحُسْن الخاتمة، وهو أن يرجوَ الإنسانُ سعةَ رحمةِ الله تعالى، وكرمِه في مغفرة ذنوبه، **روى مسلم عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-، قال: (سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يقولُ: لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)** (38).

---

[38] . الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2877، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2877).

شرح الحديث.

إنَّ اللهَ- عزَّ وجلَّ- بالِغُ المَغفِرةِ لذُنوبِ عِبادِه، عَظيمُ الرَّحمةِ بهم، والقُنوطُ مِن رَحمتِه فيه ظَنٌّ ما لا يَليقُ باللهِ جلَّ وعلا؛ فإنَّ اللَّائقَ أنَّ مَن لَجَأ إليه لا يُخَيِّبُه ولا يَرُدُّه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ الصَّحابيُّ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ- رَضيَ اللهُ عنهما-، أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرَ قبلَ وَفاتِه بثلاثة أيَّام بقولِه: «**لا يَموتَنَّ أحدُكم**» أي: لا يَنْبغي أنْ يَموتَ المؤمنُ وهو قانطٌ مِن رَحمةِ اللهِ، بلْ عليْه أنْ يُحسِنَ الظَّنَّ باللهِ ويَرجو ذلكَ بتَدبُّرِ الآياتِ والأَحاديثِ الواردَةِ في كَرمِ اللهِ- تعالَى- وعَفوِه وما وَعَدَ به أَهلَ التَّوحيدِ، وما سيُبدِّلُهم منَ الرَّحمةِ يومَ القِيامةِ.

وذلك لئلَّا يَغلِبَ عليه الخوفُ حينئذٍ، فيغلبَ عليهِ اليأسُ والقُنوطُ فيَهلِكَ، ومِن حُسنِ ظنِّ المُؤمنِ باللهِ تعالَى أنْ يَعمَلَ الصَّالحاتِ، ويَجتنِبَ السيِّئاتِ، ويَرجوَ الثَّوابَ والأجرَ مِنَ اللهِ. **وفي الحَديثِ:** التَّحذيرُ منَ القُنوطِ وحَثٌّ على الرَّجاءِ عندَ الخاتِمَةِ. **وفيه:** الحثُّ على العملِ الصَّالحِ المُفْضي إلى حُسنِ الظَّنِّ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومن حســـن الظن بالله، أن يرجوَ اللهَ عند الموت وأن يخافَ ذنوبه: روى الترمذي وابن ماجه، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: (**أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على شابٍّ وَهوَ في الموتِ، فقالَ: كيفَ تجدُكَ؟ قالَ: واللَّهِ يا رســولَ اللَّهِ إنِّي أرجو اللَّهَ، وإنِّي أخافُ ذنوبي، فقالَ رســولُ اللَّهِ ﷺ: لا يجتَمِعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطِنِ إلَّا أعطاهُ اللَّهُ ما يرجو وآمنَهُ ممَّا يخافُ**)[39].

الخوف من الذنوب دليل على الإيمان، يجب على المســـلم أن يجمع بين الخوف من عواقـب الـذنوب والرجـاء في رحمـة الله، وأن يكثر من الطاعات ويسـتغفر الله على تقصيره، ولا يتكل على عمله في دخول الجنة، بل يتغمد الله به رحمته.

8) كثرة ذكر الله.

أن يلح المرء في دعاء الله- تعالى- أن يتوفاه على الإيمان والتقوى، كثرة ذِكر الله، فغالبًا أن الإنسان عند ساعة الاحتضار ينطق بما كان يُكثر منه في حياة الدنيا، فالذي يذكر ربَّه، ويُكثر من ذلك، يُثبته الله، وينطق بشـــهادة التوحيد عند ساعة الاحتضار.

---

[39] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 983، خلاصة حكم المحدث: حسن، التخريج: أخرجه الترمذي (983) واللفظ له، وابن ماجه (4261) باختلاف يسير.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

من أفضل العبادات والطاعات، ذكر الله جل في علاه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت، آية: 45)، الذكر وسكينة النفس واطمئنان القلب، يقول الله- تعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد، آية: 28).

وأولى هذه الثمار سكينة النفس وطمأنينة القلب التي يشعر بها الذاكر ويحس بها تملأ أقطار نفسه، فلا يحس إلا الأمن إذا خاف الناس، والسكون إذا اضطرب الناس، واليقين إذا شك الناس، والثبات إذا قلق الناس، والأمل إذا يئس الناس، والرضا إذا سخط الناس.

روى مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال رسول الله ﷺ: (قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، واللَّهِ لَلَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلاةِ، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ) [40].

---

[40] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2675، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675).

شرح الحديث.

على المؤمنِ أن يُحسِنَ الظَّنَّ باللهِ- تعالى-، ومع ذلك لا يَأمَنُ مَكْرَه، بل يَسْعى في الجَمعِ بينَ الاثنَين حتَّى يَلْقى اللهَ تعالى، وألَّا يَغُرَّه عمَلُه، بل ينبغي الخوفُ مِن عقابِ اللهِ مع رجاءِ ثوابِه وعفْوِه وفَضلِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ذكر الله- تعالى- يُورث طُمأنينةَ القلب، وراحةَ النفس، وانشراحَ الصدر ، وهي غايةٌ يسعى إليها الكثير من الناس، ومن أجل تحقيقها قد ينفق عليها البعض أموالًا، ويقطع من أجلها المسافات؛ بحثًا عن أي وسيلة للسعادة في عالم تسيطر عليه الجاهلية وقيمها وثقافتها ووسائل إعلامها، فلا تكاد تسمع ذكر الله [41].

يتعب نفسه من يبحث عن الطمأنينة وراحة القلب، وهو غارق في الماديات، ليس له من يدله على المعنى الحقيقي لسعادة القلب وراحة

وفي هذا الحديثِ يَحكِي أنسُ بنُ مالكٍ- رَضِي اللهُ عَنْه-: "**أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخَل على شابٍّ وهو في الموتِ**"، أي: في سَكراتِه، فقال له النَّبيُّ ﷺ: "**كيف تَجِدُك؟**"، أي: كيف حالُ قلبِك ونفْسِك؟ فقال الشَّابُّ: "**واللهِ، يا رسولَ اللهِ، إنِّي**"، أي: حالَ قَلْبي: "**أَرْجو اللهَ**"، أي: أسألُه رحمتَه وعظيمَ عفوِه، "**وإنِّي أخافُ ذُنوبي**"، أي: ومعَ تلك الحالةِ أجِدُ نفسي أخافُ ما قدَّمتُ مِن الذُّنوبِ والسَّيِّئاتِ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "**لا يَجتمِعان**"، أي: الرَّجاءُ والخوفُ مِن اللهِ، "**في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ**"، أي: عندَ قُربِ موتِه، "**إلَّا أعطاه اللهُ ما يَرْجو وآمَنه ممَّا يَخافُ**"، أي: إنَّ اللهَ يُعطيه ما يَرْجوه مِن عَفْوِه ودخولِ الجنَّةِ، ويُؤمِّنُه ممَّا يَخافُه؛ مِن النَّارِ.

وفي الحديث: بيانُ فَضلِ الخوفِ والرَّجاءِ مِن اللهِ تعالى، وأنَّهما سببٌ للنَّجاةِ من النارِ ودُخولِ الجنَّةِ؛ لأنَّهما يحثَّانِ الإنسانِ على حُسنِ العَملِ مع حُسنِ الاعتقادِ في اللهِ.

41 . السيد مراد سلامة، خطبة: خطبة عن ذكر الله وآثاره على النفس، موقع الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2019/10/14م، 1441/2/15هـ، تاريخ الاطلاع: 4-5-2025، متاح على رابط: (https://www.alukah.net/s).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

النفس، والعلاج هو ذكر الله- تعالى- قولًا وفعلًا وتأســـيًا، ذكر يؤتي ثمارًا طيبة في النفس وفي الحياة؛ حياة الفرد، وحياة الجماعة.

وأولى هذه الثمار: ســكينة النفس، وطمأنينة القلب، التي يشــعر بها الذاكر، ويحس بها تملأ أقطار نفســه، فلا يحس إلا الأمن إذا خاف الناس، والســكون إذا اضــطرب الناس، واليقين إذا شــك الناس، والثبات إذا قلق الناس، والأمل إذا يئس الناس، والرضا إذا سخط الناس.

روى البخاري ومســلم، عن أبي موسى- رضي الله عنه-، قال: قال النبي ﷺ: (مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ) [42] فالحياة حياة القلب بذكر الله، والموت موت القلب بالغفلة عن الله.

---

[42] . الراوي: أبو موسى الأشعري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6407، التخريج: أخرجه البخاري (6407)، ومسلم (779) خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

ذِكرُ اللهِ- سُبحانَه وتعالَى- ممَّا يُؤنِسُ الرُّوحَ والقلبَ، ويَرزُقُ النَّفْسَ الطُّمأنينةَ، ويُثقِّلُ مَوازينَ العَبدِ بالحَسَناتِ، ويُنَجِّي اللهُ- تعالَى- به صاحِبَه مِنَ الهَمِّ والغَمِّ، فيَكشِفُ ضُرَّه ويُذهِبُ غَمَّه.

وفي هذا الحديثِ بَيَّن النَّبيُّ ﷺ الفَرْقَ بيْن المؤمِنِ الَّذي يَذكُرُ اللهَ- تعالَى- وبيْن مَن لا يَذكُرُه وأنَّه مِثلُ الفَرْقِ بيْن الحَيِّ والميِّتِ في نَفْعِه وحُســنِ ظاهِرِه وباطِنِه؛ فشَــبَّه الذَّاكِرَ بالحَيِّ الذي تزَيَّن ظاهِرُه بنُورِ الحياةِ، وإشراقِها فيه، وبالتصَرُّفِ التَّامِّ فيما يريدُ، وباطِنُه مُنَوَّرٌ بنُورِ العِلمِ والفَهمِ والإدراكِ.

كذلك الذَّاكِرُ مُزَيَّنٌ ظاهِرُه بنُورِ العَمَلِ والطَّاعةِ، وباطِنُه بنُورِ العِلمِ والمعرفةِ؛ فقَلْبُه مُســتَقِرٌّ، وهو إنســانٌ ســليمٌ مُعافًى؛ فهو يَنْفَعُ مَن حَولَه، ومَن يَذكُرُ اللهَ يَحْيَا قَلْبُه، ويَظهَرُ أثَرُ ذلك فيه، فيكونُ ذلك نافعًا له في الدُّنيا والآخِرةِ، بخِلافِ مَن لا يَذكُرُ اللهَ- سُبحانَه-، فهو كالجِيفةِ؛ لا أحَدَ يَقْرَبُها، ولا خَيْرَ فيها، ولا نَفْعَ عِندَها، باطلٌ ظاهرُه وباطِنُه. **وفي الحَديثِ:** الحَثُّ على ذِكرِ اللهِ والتحذيرُ مِنَ الغَفلةِ عنه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

9) تجنب ظلم الناس.

ومن أسباب التوفيق لحسن الخاتمة: البُعْدُ عن ظلم النَّاس، وعدمُ البغي والعدوان عليهم في نفسٍ أو مالٍ أو عِرضٍ؛ **روى البخاري ومسلم، عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه-، قال: قال النبي ﷺ: (المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه)** ([43]).

---

[43] .الراوي: عبدالله بن عمرو ، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6484، التخريج: أخرجه البخاري (10)، ومسلم (40) مختصراً. خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

هذا الحديثُ مِن جَوامعِ كَلِمِه ﷺ، وفيه يُرشِدُنا النبيُّ ﷺ إلى التَّحَلِّي بالآدابِ والأخْلاقِ الإسلاميَّةِ، الَّتي تَزيدُ الأُلفةَ والمودَّةَ بيْن المُسلِمينَ. ومعْناه: أنَّ المسلِمَ الكامِلَ الجامعَ لخِصالِ الإسلامِ: هو مَن لم يُؤْذِ مُسلِمًا بقَولٍ ولا فِعلٍ، وخصَّ اللِّسانَ واليدَ؛ لكَثرةِ أخطائِهما وأضرارِهما؛ فإنَّ مُعظَمَ الشُّرورِ تَصدُرُ عنهما؛ فاللِّسانُ يَكذِبُ، ويَغتابُ، ويسُبُّ، ويَشهَدُ بالزُّورِ، واليدُ تَضرِبُ، وتَقتُلُ، وتَسرِقُ، إلى غيرِ ذلك، وقدَّم اللِّسانَ؛ لأنَّ الإيذاءَ به أكثرُ وأسهلُ، وأشدُّ نِكايةً، ويعُمُّ الأحياءَ والأمواتَ جميعًا.

وبيَّن أنَّ المُهاجرَ الكاملَ هو مَن هجَرَ ما نهى اللهُ عنه؛ فالمُهاجرُ الممدوحُ هو الَّذي جمَعَ إلى هِجرانِ وَطَنِه وعَشيرتِه هِجرانَ ما حرَّم اللهُ- تعالَى- عليه؛ فمُجرَّدُ هِجرةِ بلَدِ الشِّركِ مع الإصرارِ على المعاصي ليست بهِجرةٍ تامَّةٍ كاملةٍ؛ فالمُهاجرُ بحقٍّ هو الَّذي لم يَقِفْ عند الهجرةِ الظَّاهرةِ، مِن تَرْكِ دارِ الحربِ إلى دار الأمنِ، بل هُو مَن هجَرَ كلَّ ما نَهَى اللهُ عنه. **وفي الحديثِ**: الحثُّ على تَركِ أذَى المسلِمين بكلِّ ما يُؤذِي. وفيه: أنَّ الظَّواهرَ لا يَعبَأُ اللهُ- تعالَى- بها إذا لم تُؤيِّدْها الأعمالُ الدَّالَّةُ على صِدقِها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس- رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: (واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) (44).

44 .الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 1496، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (1496) واللفظ له، ومسلم (19).

و نص الحديث كاملاً: (قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: إنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).

شرح الحديث.

مِن فِقهِ الدَّاعيةِ إلى اللهِ- تعالَى- مُراعاةُ الأولويَّاتِ، والتَّدرُّجُ في دَعوتِه؛ حتَّى يَصِلَ بمَن يَدْعوهم إلى الالْتزامِ التَّامِّ بأوامِرِ اللهِ- عزَّ وجلَّ-، وهذا ما قام به رَسولُ اللهِ ﷺ، وربَّى عليه أصحابَه.

وهذا الحديثُ أصْلٌ عظيمٌ في هذا البابِ، حيثُ يَروي عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا بعَثَ مَعاذَ بنَ جَبَلٍ- رَضِيَ اللهُ عنه- إلى اليمنِ- وكان قد أرْسَلَه سَنَةَ تِسعٍ، وقيل: سَنَةَ عَشْرٍ- مِن الهِجرةِ- يُعلِّمُهم القُرآنَ وشَرائعَ الإسلامِ، ويَقضي بيْنهم، ويَقبِضُ الصَّدقاتِ؛ قال له: «إنَّكَ سَتَأْتِي قَومًا أهلَ كتابٍ»، وكانوا على النَّصرانيَّةِ حِينئذٍ، وأوصاهُ أنْ يَبدَأَ دَعوتَه إيَّاهم بأنْ يَشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ؛ لأنَّ بها يَدخُلُ المرءُ في الإسلامِ، وبِدونِها يَظَلُّ على الكُفْرِ، فلا يُخاطَبُ بِغيرِها مِن شَرائعِ الإسلامِ.

ثمَّ بيَّنَ له رَسولُ اللهِ ﷺ ما عليه بعْدَ ذلك فقال: «فإنْ هم أطاعوا لكَ بذلك» ودَخَلوا الإسلامَ بنُطْقِهم الشَّهادتَينِ، فأخْبِرْهم أنَّ اللهَ قدْ فَرَضَ عليهم خمْسَ صَلواتٍ (الفجْر، والظُّهر، والعَصر، والمغرِب، والعِشاء) في كلِّ يَومٍ ولَيلةٍ؛ وذلك لأنَّ الصَّلاةَ آكَدُ أركانِ الإسلامِ بعْدَ الشَّهادةِ، وأوَّلُ ما يُحاسَبُ عليه المسلِمُ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى أبو داوود والترمـذي وابن مـاجـه، عن أبي بكرة نفيع بن الحارث- رضي الله عنهما-، قال: قال رسـول الله ﷺ: (ما ذَنْبٌ أَحْرَى أنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصـاحِبِه العُقُوبَةَ في الدنيا ، مع ما يَدَّخِرُ لهُ في الآخرةِ من قَطِيعَةِ الرَّحِمِ و البَغْيِ) [45].

ثمَّ قال: «**فإنْ هم أطاعوا لك بذلك، فَأَخْبِرْهم أنَّ اللهَ قد فرَضَ عليهم صَدقةً**»، والمَقصودُ بها هنا زَكاةُ المالِ؛ وهي عِبادةٌ ماليَّةٌ واجِبةٌ في كُلِّ مالٍ بلَغَ النِّصـابَ وحالَ عليه الحَولُ- وهو العامُ القَمريُّ (الهِجريُّ)- فيُخرَجُ منه رُبُعُ العُشرِ، وأيضًا يَدخُلُ فيها زَكاةُ الأنعامِ والماشيةِ، وزَكاةُ الزُّروعِ والثِّمارِ، وعُروضِ التِّجارةِ، وزَكاةُ الرِّكازِ، بحسَبِ أوقاتِها وأنصبتِها المُقدَّرةِ شرعًا.

ومَصـارفُ الزَّكاةِ قدْ بيَّنَها القُرآنُ في قولِه تعالَى: ﴿**إِنَّمَا الصَّـدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَـاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّـبِيلِ فَرِيضَـةً مِنَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: 60]، قال ﷺ: فإنْ هُمْ أطاعوا لك بذلك «**فإيَّاك وكَرائمَ أموالِهم**»، أي: فيَنْبغي ألَّا يَأخُذَ في الزَّكاةِ نَفائسَ الأموالِ وأفضَلَها عِندَهم، بلْ يَأخُذُ مِن أواسطِ المالِ؛ حتَّى تَطِيبَ نفْسُ المُزكِّي لذلك، والنُّكتةُ فيه أنَّ الزَّكاةَ لِمُواساةِ الفُقراءِ، فلا يُناسِبُ ذلك الإجحافُ بمالِ الأغنياءِ إلَّا إنْ رَضُوا بذلك.

ثمَّ أوصـاهُ رَسـولُ اللهِ ﷺ بأنْ يَتجنَّبَ الظُّلمَ؛ لِئلَّا يَدْعوَ عليه المَظلومُ، وفيه تَنبيهٌ على المنْعِ مِن جَميعِ أنواعِ الظُّلمِ، والعِلَّةُ في ذِكرِه عَقِبَ المنْعِ مِنْ أخْذِ الكرائمِ الإشارةُ إلى أنَّ أخذَها ظُلْمٌ، ثُمَّ بيَّنَ له رَسولُ اللهِ ﷺ خَطَرَ دَعوةِ المَظلومِ بقولِه: «**فإنَّه ليس بيْنه وبيْنَ اللهِ حِجابٌ**»، يعني: إنَّها مَسموعةٌ مُستَجابةٌ لا تُردُّ. **وفي الحديثِ:** الدُّعاءُ إلى التَّوحيدِ قَبْلَ القِتالِ. وفيه: تَوصـيةُ الإمامِ عاملَه فيما يَحتاجُ إليه مِنَ الأحكامِ وغيرِها. وفيه: التَّحذيرُ مِن الظُّلمِ.

[45] . الراوي: أبو بكرة نفيع بن الحارث، المحدث: الألباني، المصـدر: صـحيح أبي داود، الصـفحة أو الرقم: 4902 ، خلاصـة حكم المحدث: صـحيح، التخريج: أخرجه أبو داود (4902) واللفظ له، والترمذي (2511)، وابن ماجه (4211)، وأحمد(20374) .

شرح الحديث

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومن الأسباب المعينة على توقِّي الظلم؛ ما يلي:-

أ) التفقه في الدين والالتزام بالأحكام الشرعية.

ب) تذكر الآثار والعقوبات التي تحل بالظالمين في الدنيا والآخرة.

ج) الابتعاد عن الظالمين ومجالسهم ومصاحبة الصالحين المقسطين.

د) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى.

10) تعجيلُ التوبةِ والصدقُ فيها.

ومن أعظم ما يُورِثُ حُسـنَ الخاتمة: تعجيلُ التوبةِ والصـدقُ فيها، فقد كانت سببًا في نجاة رجلٍ قتل مائةَ نفسٍ، لكنَّه صدَقَ في التوبة مع الله-تعالى-، فأكرمه اللهُ بحُسْنِ الخاتمة.

حَذَّرَ اللهُ سُـبحانه وتَعالى منَ الظُّلمِ في كتابِه العزيزِ في أكْثَرَ من موْضِـعٍ، وأكَّد النَّبيُّ ﷺ على هذا التَّحذيرِ في أحاديثَ كثيرةٍ، وكذلك حَذَّرَ من قَطيعَةِ الرَّحِمِ وأمَرَ بالعدْلِ والقِسْطِ والصِّلَةِ. **وفي هذا الحَديثِ** يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**ما مِن ذَنبٍ أجْدَرُ أن يُعجِّلَ اللهُ تعالى لصـاحبِه العُقوبةَ في الدُّنيا**"، أي: ليس هناك منَ الذُّنوبِ ذنبًا أوْلى بتَعجيلِ العُقوبةِ لصاحِبِ الذَّنبِ في الدُّنيا.

"**مع ما يُدَّخَرُ له في الآخِرَةِ**"، أي: مع ما يكونُ له مِن عُقوبةٍ في الآخِرَةِ على هذا الذَّنبِ، والمرادُ: أنَّ عُقوبةَ الدُّنيا لا تَرْفَعُ عنه عُقوبةَ الآخِرَةِ، بل هي مِن بابِ مَزيدِ العذابِ والوعيدِ لصـاحبِه، "**مِثلُ البَغْيِ**"، أي: مِثلُ ذَنبِ البَغي وهو الظُّلمُ والجَوْرُ، "**وقَطيعَةِ الرَّحِمِ**"، أي: وكذلك ذنْبُ قَطيعةِ الرَّحِمِ، والرَّحِمُ هي الصِّـلةُ التي تكونُ بين الشَّـخْصِ وغيرِه، والمرادُ بها هنا: الأَقارِبُ، ويُطلَق عليهم: أُولُو الأرحامِ. **وفي الحَديثِ**: التَّحْذيرُ منَ الظُّلْمِ وقطْعِ الرَّحِمِ. وفيه: الحَثُّ على العَدْلِ وصِلَةِ الرَّحِمِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه، وأن تكون نيته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك، فقد جرت سنة الكريم سبحانه أن يوفق طالب الحق إليه، وأن يثبته عليه وأن يختم له به.

وينبغي تجديد التوبة لكل ذنب: لقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران، آية: 135- 136).

ولقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان، آية: 70)، **قال العلامة القرطبي- رحمه الله- في تفسيره: (فلا يبعد في كرمِ الله- تعالى- إذا صحَّت توبة العبد أن يضع مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً).**

روى الترمذي وأحمد، عن أبي ذر- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (**اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ**) [46].

[46] .الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: 2655، التخريج: أخرجه الترمذي (1987)، وأحمد (21392) خلاصة حكم المحدث: حسن لغيره.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فالواجب على كل مسلم أن يبادر بالتوبة النصوح من جميع الذنوب، والتوبة واجبة على الفور، فلا يجوز تسـويفها ولا تأخيرها، بل قال العلماء: إن تأخير التوبة ذنب يستوجب التوبة، فمن فعل الذنب وسَوَفَ التوبة منه قائلا سـوف أتوب، فقد أسـاء مرتين، مرة بفعل الذنب، والأخرى بتسـويف التوبة منه.

شرح الحديث.

تَقوَى اللهِ- سـبحانَه وتعالى-، ودَوامُ المراقبةِ، ومُعامَلةُ النَّاسِ بأخلاقٍ حسَـنةٍ مِن عَلاماتِ الصَّـلاحِ الَّتي يَنبَغي تَوافُرُها في المسلِمِ حتَّى يُحسِّنَ عمَلَه، ويكونَ أقرَبَ إلى الجنَّةِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ الرَّسولُ ﷺ: "**اتَّقِ اللهَ**"، والتَّقوى هي الخوفُ مِن اللهِ ومُراقبتُه وأنْ تَجعَلَ بينَك وبينَ عَذابِ اللهِ وِقايةً، وتَكونُ بالإتيانِ بالواجباتِ، والامتِناعِ عَن المُحرَّماتِ "**حيث ما كُنتَ**"، أي: في كلِّ مكانٍ وجِهَةٍ، وفي سِرِّك وعَلانِيَتِك، وفي بَلائِك ورَخائِك، وفي كلِّ أحوالِك، "**وأَتبِعِ السَّـيِّئةَ الحسَـنةَ تَمحُها**"، أي: إن وقَعتَ في سيِّئةٍ، فافعَلْ وَراءَها حسَنةً مِن صلاةٍ وصَدقةٍ، وسائرِ ما يُوصَفُ بالحسَنةِ؛ فإنَّ ذلك يَرفَعُ، ويَمْحو تلك السَّيِّئةَ.

"**وخالِقِ النَّاسَ بخُلقٍ حسَنٍ**"، أي: خالِطِ النَّاسَ بأخلاقٍ حسَنةٍ، فأحسِنْ مُعامَلاتِهم، مِن تَبسُّمٍ في وُجوهِهم، ورِفقٍ ولينٍ في التَّعامُلِ معَهم؛ فمَن فعَل ذلك حاز الدُّنيا والآخِرةَ. **وفي الحديثِ:** الأمرُ بتَقْوى اللهِ على كلِّ حالٍ. وفيه: أنَّ مُخالطةَ النَّاسِ لا تَعْني فِعْلَ المنهيَّاتِ معَهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وتعجيل التوبة يعني المبادرة إلى فعلها فورًا، وعدم تأجيلها بسبب الخوف من الموت المفاجيء، أو العودة إلى الذنب، وهي واجبة شرعًا لتحقيق الفلاح.

ففي صحيح البخاري من حديث عبدُ اللهِ ابنُ مسعودٍ- رضي الله عنه-: قال: (إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به: هكذا، فطار)[47].

---

[47] . الراوي: الحارث بن سويد، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2497، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (2497) واللفظ له، وأخرجه البخاري (6308) باختلاف يسير فتح الباري (507/3).

شرح الحديث.

الإيمان الحقيقيُّ يُعرِّفُ صاحِبَه بعَظَمةِ اللهِ تعالى، فيُبعِدُهُ عن التَّجاوُزِ في معصيتِهِ أو الاسْتِمرارِ في ذلك. **وفي هذا الأَثرِ يَقولُ عبدُ اللهِ بنِ مسعودٍ**: إنَّ المؤمِنَ "**يرى ذُنوبَهُ**"، أي: ما اقْتَرَفَ مِنْ معاصٍ كأنَّه في "**أَصَلِ جَبَلٍ**"، أي: كأنَّ المؤمنَ واقفٌ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ ويرى ذُنوبَهُ مِثْلَ ذلك الجَبَلِ "**يَخافُ أنْ يَقَعَ عليه**"، أي: يَخافُ أنْ يَقَعَ هذا الجبلُ عليه، وهو في أَسْفلِهِ؛ وذلك لاسْتِعظامِ المؤمنِ أَمْرَ معصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

"**وإنَّ الفاجِرَ**"، أي: الفاسِقَ "**يرى ذُنوبَهُ كذُبابٍ**"، أي: مِثْلَ تِلْكَ الحَشَرةِ الصَّغيرةِ في حَجْمِها وأذاها؛ فذنبُه سَهلٌ عِندَه لا يعتقدُ أنَّه يَحصُل له بسببِه كبيرُ ضررٍ، كما أنَّ ضررَ الذُّبابِ عنده سهلٌ، "**وقَعَ على أَنْفِهِ قال بِهِ هكذا، فطار**"، أي: عِنْدما يَقَعُ على أَنْفِهِ فيتأذَّى منه أزاحَه بيدِهِ ليَطيرَ؛ وذلك لضَعْفِ هَيبةِ مَعصيةِ اللهِ سُبحانَه وتعالى في قَلْبِ الفاجِرِ.

وفي معنى هذا الأثر: أنَّ على المؤمنِ أنْ يَخشَى ذُنوبَه، ويَعظُمَ خَوفُه منها، ولا يأمَنَ عِقابَ اللهِ عليها فيَستصغِرَها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قال العلامة ابن بطَّال- رحمه الله- في شرحه لصحيح البخاري:

(**فينبغي لمن أراد أن يكونَ مِن جملة المؤمنين أن يخشى ذنوبه، ويعظُم خوفُه منها، ولا يأمَن عقاب الله عليها فيستصغرها؛ فإن الله تعالى يعذِّب على القليل وله الحجة البالغة في ذلك**).

واستمع لخبر ذاك الرجل من بني إسرائيل، قتل تسعة وتسعين نفساً، وانظر ماذا فعل لما أراد أن يتوب!.

كما روى البخاري ومسلم، عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: ﷺ (**كانَ في بَنِي إسْرائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ إنْسانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْألُ، فأتَى راهِبًا فَسَألَهُ فقالَ له: هلْ مِن تَوْبَةٍ؟**

تنبيه: (**إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه**) هذا من كلام ابن مسعود وليس من كلام النبي ﷺ، وذلك أن المؤمن يخاف من ذنوبه لأن الذنوب مخوّفة، الذنوب كشرة الجمر ربما تولّد السعير، لأن الإنسان إذا استهان بالمعصية استهان بالصغيرة ثم بأخرى ثم بثالثة، ثم برابعة حتى يتدرّج إلى الكبائر، وربما يصل إلى الكفر، ولهذا قال أهل العلم إن المعاصي بريد الكفر يعني ينزلها الإنسان مرحلة مرحلة حتى يصل إلى الكفر، فالمؤمن يخاف من الذنوب.

يخاف من الذنوب كما يخاف الإنسان الذي تحت جبل أن يقع عليه هذا الجبل وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا هكذا، هذا سهل يعين الفاجر يذنب ويذنب ويذنب ولا يبالي كأنه ذباب مر على أنفه فقال به هكذا، وهذا معناه التساهل، فإذا رأيت من نفسك أنك تتساهل بالذنوب، ولا تتعاظمها، فاعلم أن بك مرضاً فصحّح الخطأ وصحح القلب.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَجعَلَ يَسْـــأَلُ، فقالَ له رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذا وكَذا، فأدْرَكَهُ المَوْتُ، فَناءَ بصَـــدْرِهِ نَحْوَها، فاخْتَصَـــمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فأوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَقَرَّبِي، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَباعَدِي، وقالَ: قِيسُـــوا ما بيْنَهُما، فَوُجِدَ إلى هذِه أقْرَبَ بشِـــبْرٍ، فَغُفِرَ له) (48).

---

48. الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3470، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2766) باختلاف يسير

شرح الحديث.

رَحمةُ اللهِ وَسِـــعَتْ كُلَّ شَيءٍ، ومِن رَحمَتِه أنَّه فَتَحَ بابَ التَّوبةِ لِعِبادِه باللَّيلِ والنَّهارِ، وحرَّمَ القُنوطَ واليأسَ مِن رَحمتِه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ ﷺ أنَّ رجُلًا مِن بَني إسرائيلَ كان قدْ قتَلَ تِسـعًا وتِسـعينَ إنسـانًا بغَيرِ حقٍّ، فأراد التَّوبةَ، فجاء إلى راهبٍ، أي: عابدٍ مِن النَّصـارى- وفي ذلك إشـعارٌ بأنَّ ذلك وَقَعَ بعْدَ رفْعِ عِيسى- عليه السَّلامُ؛ فإنَّ الرَّهبانيَّةَ إنَّما ابتَدَعها أتباعُه- فسَـأَلَه عن التَّوبةِ، فقال له: لَيس لك توبةٌ، وقد وَقَعَ هذا الرَّاهبُ في خَطأَينِ: **الأوَّلُ:** أنَّه ضيَّقَ رَحمةَ اللهِ، **والثَّاني:** أنَّه أفْتى بغَيرِ عِلمٍ. فقتَلَه الرَّجلُ وأكمَلَ بقَتْلِه المئةَ نفْسٍ.

فلمْ يَيئَسْ، بلْ جَعَلَ يَسـأَلُ مرَّةً أُخرى، إلى أنْ جاء إلى عالِمٍ مِن العُلماءِ، فسَـأَلَه عن التَّوبةِ، فقال له العالِمُ: لا يَمنَعُك مِن التَّوبةِ شَيءٌ، وأمَرَه أنْ يَذهَبَ إلى قَريةٍ مُعيَّنةٍ، يُعبَدُ فيها اللهُ- عزَّ وجلَّ-، وكانت قَريتُه قَريةَ سَـوْءٍ، فمات الرَّجُلُ في طَريقِه، ومِن رَحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ به أنَّه عِندما حَضَرَته الوفاةُ ناءَ بصَـدْرِه، أي: مالَ بصَدْرِه مُقتربًا مِن القَريةِ الصَّالحةِ التي تَوجَّهَ إليها للتَّوبةِ، ومُبتعِدًا عن قَريةِ السَّوءِ التي خَرَجَ منها.

فلمَّا مات تَخاصَـمَتْ فيه- أي: تَنازَعَتْ- مَلائكةُ الرَّحمةِ ومَلائكةُ العذابِ، **وزاد في رِوايةِ مُسـلِمٍ**: أنَّ مَلائكةَ العَذابِ قالت: إنَّه لم يَفعَلْ خَيرًا قطُّ، ومَلائكةَ الرَّحمةِ قالت: إنَّه أقبَل على اللهِ تائبًا، فحَكَّموا بيْنهما واحدًا، وهو مَلَكٌ أرْسَـلَه اللهُ- عزَّ وجلَّ- إليهم في صُـورةِ آدميٍّ، فقال لهم: قِيسُـوا بيْن الأرْضَـينِ؛ القَريةِ الَّتي خَرَج منها، والقريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها؛ فإنْ كان أقرَبَ للَّتي خرَج منها أخَذَتْه مَلائكةُ العذابِ، وإنْ كان أقرَبَ للقريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها أخَذَتْه مَلائكةُ الرَّحمةِ.

فأَوحَى اللهُ إلى أرضِ القَريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها: أنْ تَقرَّبي، فتَقارَبَتْ، وأَوحَى إلى الأُخرى: أنْ تَباعَدي، فتباعَدَتْ، وهذا مِن سَـعةِ رَحمةِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- بعِبادِه، فوَجَدوه أقرَبَ إلى القريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها بشِـبرٍ واحدٍ فقطْ، فأخَذَتْه مَلائكةُ الرَّحمةِ، ولا يُعارَضُ هذا بما هو مُقرَّرٌ مِن أنَّ حُقوقَ العبادِ لا تَسـقُطُ إلَّا باستيفائِها؛ فاللهُ- تعالَى- إذا رَضيَ عن المذنِبِ وقَبِل تَوبتَه، يُرْضِي عنه خَصْمَه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ختم الله له بالحسنى؛ لأنه تاب إلى الله وأقبل عليه- سبحانه-، والإنسان لا يدري متى يموت؟ فلهذا كان لزاماً عليه أن يجدد توبته باستمرار، وأن يرجع إلى ربه- تبارك وتعالى- على الدوام.

11) **الإحسان إلى الناس.**

ومِن أسباب التَّوفيق لحسن الخاتمة: الإحسانُ إلى الخَلْق، وكفُّ الشرِّ عنهم؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، آية: 274).

وصفةُ السَّخاء وسماحةُ النَّفس مع الإسلام سببٌ للتَّوفيق لحسن الخاتمة؛ روى الحاكم والبيهقي، عن أنس بن مالك- رضي الله عنهما-، **قال: قال رسول الله ﷺ: (صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ و الآفاتِ والهلكاتِ، و أهلُ المعروفِ في الدنيا همْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ)** [49].

وفي الحديثِ: حثُّ المُذْنبينَ على التَّوبةِ، ومَنْعُهم مِن اليَأسِ مِن رَحمةِ اللهِ تعالَى. وفيه: بَيانُ فضْلِ العالِمِ على العابِدِ. وفيه: أنَّ مِن أعظمِ أسبابِ المعصيةِ الصُّحبةَ السَّيِّئةَ وخُلطةَ أهلِ السُّوءِ، وأنَّ مِن أعظمِ أسبابِ الطاعةِ صُحبةَ المُطِيعينَ وخُلْطتَهم. وفيه: سَعةُ فَضلِ اللهِ- تعالَى- وعَظيمُ رَحمتِه بالتَّائبِ.

[49] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: السيوطي، المصدر: الجامع الصغير، الصفحة أو الرقم: 5023، التخريج: أخرجه الحاكم (434)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (7704) كلاهما مطولاً بلفظه، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

وفي رواية الطبراني: (صَنائعُ المعروفِ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ، والصَّدَقةُ خَفِيًّا تُطفئُ غضبَ الرَّبِّ، وصِلةُ الرَّحِمِ زيادةٌ في العُمُرِ، وكلُّ معروفٍ صدَقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدُّنيا هُمْ أهلُ المعروفِ في الآخِرةِ، وأهلُ المُنكَرِ في الدُّنيا هُمْ أهلُ المُنكَرِ في الآخِرةِ...) [الراوي: أم سلمة أم المؤمنين، المحدث:

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

12) التزامِ الأعمالِ الصالحةِ والاستمرارِ عليها.

أن يُوفِّقِ اللهُ العبدَ ويُلهمَه لِعملِ صـــالح، والتزامِ الأعمالِ الصـــالحةِ

الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 3796، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (6086)].

شرح الحديث.

أمَرَ الإســـلامُ بالتَّعاوُنِ والبِرِّ والتَّقْوى بيْنَ النَّاسِ، وحثَّ على عَمَلِ ما أمَرَ اللهُ- تَعالى-، وشـــدَّدَ على الانتِهاءِ عمَّا نَهى اللهُ عنه.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**صَنائِعُ المَعْروفِ**"، وهي ما اصْطَنَعتَهُ من خَيرٍ وأسْدَيتَهُ لِغَيرِكَ، "**تَقي مَصارِعَ السُّوءِ**"، أي: يُجازيهم اللهُ تَعالى على مَعْروفِهم، فيُنجِّيهم من السُّقوطِ في الهَلَكاتِ، ومَواطِنِ الزَّلَلِ، "**والصَّـدَقةُ خُفْيا**" في السِّرِّ- دونَ العَلَنِ، وهي أفضَـلُ من صَـدَقةِ العَلَنِ؛ وذلِكَ لِسَـلامَتِها من الرِّياءِ والسُّـمْعةِ؛ فهي "**تُطفِئُ غَضَـبَ الرَّبِّ**"؛ لأنَّها تكونُ سـببًا لذلِكَ، فيَحتَمِلُ ممَّن أغضَـبَ ربَّهُ بمَعْصـيةٍ أنْ يَتَدارَكَ ذلِكَ بصَـدَقةِ السِّرِّ-؛ لأنَّ الْحَسَـنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ؛ فإنَّ المَرءَ قد يَسـتحِقُّ بالذُّنوبِ قَضـاءً من العُقوبةِ، فإذا هو تَصَدَّقَ دفَعَ عن نَفسِهِ ما قدِ استحَقَّ من ذلِكَ، وإطْلاقُ لَفظِ (**الصَّدَقةِ**) يَشمَلُ الفَرْضَ مِن الزَّكاةِ، والمُستحبَّ من مُطلَقِ الصَّدَقاتِ.

قالَ ﷺ: "**وصِـلةُ الرَّحِمِ زيادةٌ في العُمْرِ**" وَصـلُ الأقارِبِ الفُقَراءِ، ذُكورًا وإناثًا بالمالِ والنَّفَقةِ، أمَّا الأغنياءُ منهم فصِلتُهُم تكونُ بالهَدايا، والتَّزاوُرِ، وبَشاشـةِ الوجهِ، والنُّصحِ للجميعِ، ومَعْنى زيادةِ العُمرِ، هو الزِّيادةُ بِالبَرَكةِ فيه، والتَّوفيقِ لِلطَّاعاتِ، وعِمارةِ أوقاتِهِ بما يَنفَعُهُ في الآخِرةِ، وصـــيانتِهِ عَنِ الضَّـــياعِ في غَيرِ ذلِكَ.

"**وكُلُّ مَعْروفٍ صَـدَقةٌ**"، والمَعْروفُ هو ما تَقبَلُهُ الأنفُسُ، ولا تَجِدُ منه نَكيرًا من كُلِّ عَمَلٍ صـالِحٍ، فهو صَـدَقةٌ على فاعِلِهِ وله أجْرُهُ، ولكِنَّه ليس من صَـدَقةِ الأمْوالِ، ولكِنَّه من صَـدَقةِ الأفْعالِ الصَّـالحةِ، "**وأهْلُ المَعْروفِ في الدُّنيا هُم أهْلُ المَعْروفِ في الآخِرةِ**"، وهذا تَنْويهٌ عَظيمٌ بفَضلِ المَعْروفِ وأهْلِهِ، فأهْلُ المَعْروفِ، وأهْلُ الإحْسـانِ في الدُّنيا هُم أهْلُ الجَزاءِ الحَسَـنِ الَّذي يُعرَفُ لهم عِندَ اللهِ تَعالى، "**وأهْلُ المُنكَرِ في الدُّنيا هُم أهْلُ المُنكَرِ في الآخِرةِ**"، والمَعْنى أنَّ أصْـحابَ الأعْمالِ المُنكَرةِ في الدُّنيا، وأهْلَ التَّكْذيبِ باللهِ ورُسُلِهِ في الدُّنيا يكونون هُم أهْلُ العَذابِ المُنكَرِ والوَبالِ في الآخِرةِ. **وفي الحَديثِ:** الحثُّ على عَمَلِ المَعْروفِ مُطلَقًا، وتَجنُّبُ المُنكَرِ. وفيه: بيانُ فضْلِ صُنعِ المعروفِ وعمَلِ البِرِّ في وِقايةِ صاحبِه مِن الآفاتِ والهَلَكاتِ المستقبليَّةِ، ومَصارِعِ السُّوءِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

والاســتمرارِ عليها حتى يلقى اللهَ- عز وجل- وهو على ذلك، فيزيدُ اللهُ له الحسناتِ، ويمْحو عنه الزلاتِ، ويرفعُ له الدرجاتِ.

إن حُسْـنَ الخَاتِمَةِ هاجسٌ لكل مسـلم أن يُحسـن الله خاتمته، وأن يُثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، حُسْــنُ الخَاتِمَةِ؛ هو أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضــب الرب ســبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

روى أحمد والترمذي، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال رسول الله ﷺ: (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا استعملَه، فقيل: كيف يستعملُه يا رسولَ اللهِ؟ قال: يوفِّقُه لعمَلٍ صالحٍ قبلَ الموتِ) [50].

---

50. الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصــدر: صــحيح الترمذي، الصــفحة أو الرقم: 2142، خلاصــة حكم المحدث: صــحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (2142)، وأحمد (12055)، وابن حبان (341)، والحاكم (1257).

شرح الحديث.

حُسْنُ الخَاتِمَةِ من تَوفيقِ اللهِ- سبحانه وتعالى- للعبدِ، وإلهامُ العَبدِ أن يَعمَلَ صالِحًا قبلَ موتِه مِن البشائرِ له ومِن إرادةِ اللهِ الخيرَ به، كما يقولُ النبيُّ ﷺ **في هذا الحديثِ: "إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا استَعمَله"**، أي: إذا أراد أن يَزيدَ في حَسَناتِه، فيُدخِلَه الجنَّةَ.

فاستَفسَرَ الصَّحابةُ عن معنى **"استعمَله"**، **"فقيل: كيف يَستعمِلُه يا رسولَ اللهِ؟"**، أي: ما كيفيَّةُ استعمالِه الَّتي سيَنالُ بها الخيريَّةَ، فأجابهم النَّبيُّ ﷺ بقولِه: **"يُوفِّقُه لعمَلٍ صالحٍ قبلَ الموتِ"**، أي: يَجعَلُه

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ولنعلم أن الخاتمةَ الحسـنةَ؛ هي أولُ الثِّمارِ التي يجنيها المؤمنُ وهو في طريقه إلى عالم الآخرة؛ حيث تَحْسُـنُ خاتمتُه ويموتُ مِيتَةً حسـنة، وتحصُـلُ له جملةً من الثمار، من نزول الملائكة بالبشـارة لهم بالأمن وعدمِ الخوف، والبشارةِ بالجنة، والنعيمِ المقيم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَـلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل، آية:32) ([51]).

13) **الاهتمام بصلاح القلب.**

روى البخاري ومسـلم، عن النعمان بن بشـير- رضي الله عنهما- قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: (الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَـبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَـبَّهَاتِ اسْـتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِـهِ، ومَن وقَعَ في الشُّـبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِـكُ أنْ يُوَاقِعَهُ.

يَقومُ بعمَلٍ صـالحٍ قبلَ موتِه، ويَقبِضُ رُوحَه، وهو يُقيمُ هذا العملَ، أو عَقِبَ فِعْلِه له، كأنْ يُوفِّقَه للصَّـلاةِ، ويَقبِضَه وهو يُصلِّي، أو الصِّيامِ، ونحوِ ذلك مِن أعمالٍ صالحةٍ، ويَقبِضَه وهو يَفعَلُها أو عَقِب فِعْلِها.

[51] . **قال ابن كثير رحمه الله-:** أخبر اللهُ تعالى عن حال المؤمنين عند الاحتضـار أنهم طيبون أي مُخلصـون من الشرك والدَّنَس وكُلِّ سُـوء، وأنَّ الملائكةَ تُسـلِّمُ عليهم وتُبشِّرُهم بالجنة، (الرفاعي، تيسـير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير 2/ 581، مكتبة المعارف 1410هـ).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أَلَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إنَّ حِمَى اللَّهِ في أَرْضِـهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإنَّ في الجَسَـدِ مُضْـغَةً: إذَا صَـلَحَتْ صَـلَحَ الجَسَـدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَـدَتْ فَسَـدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ)[52].

---

[52] .الراوي: النعمان بن بشير، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 52، خلاصة حكم المحدث:[صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1599) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

هذا الحديثُ الجليلُ هو أحدُ الأحاديثِ الَّتي عليها مَدارُ الإسـلامِ؛ فهو حَديثٌ عظيمٌ، وأصـلٌ مِن أُصولِ الشَّريعةِ، وهو مِن جَوامعِ كَلِمِه ﷺ، حثَّ فيه النبيُّ ﷺ على الورَعِ، وتَرْكِ المُتشابهاتِ في الدِّينِ، وبيَّنَ أنَّ الحَلالَ ظاهرٌ واضحٌ، وهو كلُّ شَيءٍ لا يُوجدُ دَليلٌ على تَحريمِه؛ مِن كتابٍ أو سُنَّةٍ، أو إجماعٍ أو قياسٍ.

وذلك لأنَّ الأصـلَ في الأشـياءِ الإباحةُ، وكذلك الحرامُ ظاهرٌ واضـحٌ، وهو ما دلَّ دَليلٌ على تَحريمِه، سـواءٌ كان هذا الدَّليلُ مِن الكِتابِ، أو مِن السُّـنَّةِ، أو مِن الإجماعِ. وبيَّنَ أنَّ بيْنَ الحلالِ والحرامِ قِسـمًا ثالثًا، وهو المُشـتبِهاتُ، وهي الأمورُ الَّتي تكونُ غيرَ واضـحةِ الحُكمِ مِن حيثُ الحِلُّ والحُرمةُ، فلا يَعلَمُ الكثيرُ هل هي حَلالٌ أو حَرامٌ، ويَدخُلُ في ذلك جَميعُ الأُمورِ المشكوكِ فيها؛ مِثل: المالِ المَشبوهِ أو المَخلوطِ بالرِّبا، أو غيرِه مِن الأموالِ المُحرَّمةِ، أمَّا إنْ تأكَّدَ أنَّ هذا مِن عَينِ المالِ الرِّبويِّ، فإنَّه حَرامٌ صِرفٌ دونَ شـكٍّ، ولا يُعَدُّ مِن المُشتبِهاتِ.

ثمَّ أوضَـحَ ﷺ أنَّ مَن اجتنَبَ المُشـتبِهاتِ فقدْ طلَبَ البَراءةَ لنفْسِـه، فيَسـلَمُ له دِينُه مِن النَّقصِ، وعِرضُه مِن القدْحِ والذَّمِّ والسُّمعةِ السَّيِّئةِ، أمَّا مَن وقَع في الشُّبهاتِ واجترَأَ عليها، فقد عرَّض نفْسَه للخطَرِ، وأوشَـكَ على الوُقوعِ في الحرامِ، كراعٍ يَرعَى حولَ الحِمَى، وهو: المكانُ الَّذي جَعَله المِلكُ لرَعْيِ مَواشِـيه، وتوعَّدَ مَن رعَى فيه بغيرِ إذنِه بالعُقوبةِ الشَّـديدةِ؛ فالرَّاعي حولَ الأرضِ الَّتي حَماها المِلكُ لنفْسِـه، وجعَلَها خاصَّةً له، قد تَدخُلُ ماشيتُه في الحِمى، فيَستحِقُّ عُقوبةَ السُّلطانِ.

كذلك مَن يَتهاونُ بالشُّـبهاتِ، فإنَّه على خَطَرٍ؛ لأنَّها ربَّما كانت حَرامًا، فيقَعُ فيه، وأنَّه ربَّما تَسـاهَلَ في الشُّـبهاتِ فأدَّى به ذلك إلى الاسـتهتارِ واللَّامبالاةِ، فيَقَعُ في الحرامِ عمْدًا؛ فإنَّ الشُّـبهةَ تجُرُّ إلى الصَّـغيرةِ، والصَّغيرةُ تجُرُّ إلى الكبيرةِ، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ.

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم) ([53]).

ثمَّ قال ﷺ: «ألَا وإنَّ لكلِّ ملِكٍ حِمًى، ألَا وإنَّ حِمى اللهِ مَحارمُه»، أي: إنَّ حِمَى اللهِ هي المعاصي الَّتي حرَّمها على عِبادِه، فمَن دخَلَ حِماهُ بارتكابِ شَيءٍ مِن المعاصي هلَكَ، ومَن قارَبَه بفِعلِ الشُّبهاتِ كان على خطَرٍ.ثم ذكَر النبيُّ ﷺ كَلمةً جامعةً لصَلاحِ حرَكاتِ بَني آدَمَ وفَسادِها، وهي أنَّ أساسَ صلاحِ الجَسدِ كُلِّه وأساسَ فسادِه مبنيٌّ على صلاحِ القَلْبِ وفَسادِه.

فإذا صلَحَ القلبُ صلَحَت إرادتُه، وصلَحَت جَميعُ الجوارِحِ، فلم تَنبعِثْ إلَّا إلى طاعةِ اللهِ، واجتنابِ سَخَطِه، فقَنِعَتْ بالحلالِ عن الحرامِ، وإذا فسَد القلبُ فسَدَت إرادتُه، ففسَدَتِ الجوارحُ كلُّها، وانبعثَتْ في مَعاصي اللهِ عزَّ وجلَّ، وما فيه سَخَطُه، ولم تَقنَعْ بالحلالِ، بلْ أسرَعَتْ في الحرامِ بحسَبِ هَوى القلبِ ومَيلِه عنِ الحقِّ.

[53] .الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 1862 خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

علَّمَنا النبيُّ ﷺ أنَّ الناسَ لا تَتفاضَلُ بحُسْنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعيِ في الأعمالِ الصالحةِ، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يقولُ النبيُّ ﷺ: "إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم، وأموالِكم"، أي: إنَّ اللهَ- سبحانه وتعالى- لا يَنظُرُ إلى أجسامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَغيرةٌ، أو صَحيحةٌ أو سَقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ؛ فلا يُؤاخِذُ اللهُ- عزَّ وجلَّ- عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها.

"ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم"، أي: إلى ما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصدقِ والإخلاصِ، وقصدِ الرياءِ والسُّمعةِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ، "وأعمالِكم"، أي: وينظُرُ إلى أعمالِكم من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها؛ فلَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلْقِه صِلةٌ إلَّا بالتَّقْوى؛ فمَنْ كان للهِ أتْقَى كان من اللهِ أقربَ، وكان عندَ اللهِ أكرمَ؛ إذَنْ فعلى المَرْءِ ألَّا يَفخرَ بمالِه ولا بجَمالِه ولا ببدنِه ولا بأولادِه ولا بقُصورِه، ولا

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

14) **فعل الطاعات وترك السيئات.**

والدليل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية، آية: 21) ([54]).

عن قتادة- رضي الله عنه-: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ... ﴾ الآية، لَعَمْري لقد تفرَّق القوم في الدنيا، وتفرَّقوا عند الموت، فتباينوا في المصير.

بِشيءٍ من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنَّما إذا وفَّقه اللهُ لِلتَّقوى؛ فهذا من فَضلِ اللهِ عليه؛ فَلْيحمدِ اللهَ عليه، وإنْ خُذِلَ فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الاعتمادِ على النيةِ وحُسنِ القصدِ، والتَّحذيرُ من الركونِ إلى الظاهرِ دُونَ إصلاحِ الباطِنِ. وفي الحديث: بيانُ أثرِ القَلبِ في صَلاحِ الجَوارِحِ وفَسادِها.

[54] . **تفسير الطبري:** وقوله ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

وعن مجاهد، قوله ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر. **تفسير الطبري:** قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (تفسير الطبري، سورة الجاثية، آية: 21).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

15) **تقوى الله- تعالى- في السرّ والعلن.**

ومِن أســباب توفيق الله لحســن الخاتمة: تقوى الله في السرِّ والعلن، بامتثالِ أمره واجتناب نَهْيِه والدَّوام على ذلك، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَـادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص، آية: 83).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه، آية: 132)، وتكون التقوى بفعل كل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه.

ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران، آية: 102) ([55]).

---

[55] . **وعن سـفيان وشـعبة، عن زبيد اليامي، عن مُرة،** عن عبدالله- هو ابن مسـعود-: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، قال: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكَرَ فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفَر، وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابع مُرةً عليه عمرُو بن ميمون عن ابن مسعود. وقد ذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، والسدي وغيرهم- إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، قال: لم تُنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخُذهم في الله لومةُ لائمٍ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: حافِظُوا على الإسلام في حال صحَّتِكم وسلامتكم لتموتوا عليه؛ فإن الكريم قد أجرى عادتَه بكرمه أنه مَن عاش على شيءٍ مات عليه، ومَن مات على شيء بُعِث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقال قتادة في قول الله- عز وجل-: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق، آية: 2)، قال: مِن الكرب عند الموت، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (الطلاق، آية: 4-5) [56].

16) **اجتناب الكبائر والمعظّمات من الذنوب.**

اجتناب الكبائر هو عامل مهم في تحقيق حسن الخاتمة، حيث إن الإصرار على المعاصي الكبيرة قد يؤدي إلى سوء الخاتمة، بينما المداومة على الطاعات والتقوى واجتناب الكبائر يقرب العبد من الله ويزيد من فرص حسن الخاتمة.

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء، آية: 31) [57]، الإصرار على الكبائر قد

---

[56] . صلاح عامر، التذكرة بأسباب حسن الخاتمة، موقع طريق الإسلام، تاريخ النشر 18-1-2021م، تاريخ الاطلاع: 21-5-2025م، متاح على رابط: (https://ar.islamway.net).

[57] . **تفسير السعدي:** وهذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلاً كريماً كثير الخير وهو الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكباً كبيرة، كالصلوات الخمس، والجمعة، وصوم رمضان.

كما روى مسلم، عن أبي هريرة- **رضي الله عنه-**، قال: قال رسول الله ﷺ: (**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**) (الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 233، خلاصة حكم المحدث: [صحيح])

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

يؤدي إلى قسـوة القلب وانشـغاله بالمعاصي، مما قد يعيق التوبة ويجعل العبد يواجه الموت وهو على معصية، وهذا ما يخشى منه كأسباب لسوء الخاتمة، **ومن ثمرات اجتناب الكبائر، ما يلي:**

أ) **تطهير القلب:** يسـاعد على تطهير القلب من أدران الذنوب والمعاصي، مما يجعله أكثر استعدادًا لقبول الخير والطاعات.

ب) **القرب من الله:** يجعل العبد أقرب إلى الله، حيث إن اجتناب المعاصي دليل على محبة الله وخوفه.

ج) **زيادة الثبات:** يعين على الثبات على الطاعة، ويزيد من قوة الإيمان، ويجعل العبد أكثر قدرة على مواجهة الفتن والمغريات.

د) **تيسـير التوبة:** يسـهل على العبد التوبة والاسـتغفار إذا وقع في ذنب، حيث إن القلب النقي يكون أكثر استعدادًا للندم والرجوع إلى الله.

هـ) **تحقيق حسـن الخاتمة:** حيث إن اجتناب الكبائر هو أحد الأسـباب الرئيسية التي تجعل العبد يموت على طاعة الله وحسن عمل.

وأحسن ما حُدت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضـب عليه. **تفسـير السـعدي:** قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (تفسير سورة النساء، آية: 31)

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

اجتناب الكبائر هو سبيل المؤمن للتقرب إلى الله، وتطهير قلبه، والثبات على الحق، وهو من أهم أسباب تحقيق حسن الخاتمة.

17) **اتّباع هدي النبي ﷺ.**

من أســـباب التَّوفيق لحســـن الخاتمة: لزومُ هَدْي النبيِّ ﷺ واتِّباعُ طريق المهاجرين والأنصـــار والتَّابعينَ لهم- رضي الله تعالى عنهم- والابتعاد عن ظلم الناس والبغي والعدوان عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـــولِ اللَّهِ أُسْـــوَةٌ حَسَـــنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب، آية: 21).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَـــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـــانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـــوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، آية: 100).

18) **حسن اختيار الرفيق.**

من أسباب حسن الخاتمة الرفقة الصالحة، أصدقاء الخير، الذين إذا أخطأت نصـحوك، وإذا غفلت ذكروك، وإذا ذكرت أعانوك، فهم خير رفيق في الدنيا وفي الآخرة، وهم خير عون على حسن الخاتمة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

والدليل ما رواه **أحمد وأبو داود والترمذي، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-** قال: قال رسول الله ﷺ: (**المرءُ على دينِ خليلِه، فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ**) ([58]).

[58] . الراوي: [أبو هريرة]، المحدث: ابن باز، المصدر: مجموع فتاوى ابن باز، الصفحة أو الرقم: 6/306، التخريج: أخرجه أبو داود (4833)، والترمذي (2378)، وأحمد (8398) واللفظ له، **وفي رواية أبي داود:** (**الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ**).

شرح الحديث.

كانَ النبيُّ ﷺ حريصًا على تَعليمِ أُمَّتِه ما ينفعُها في دِينِها ودُنياها، وما يحفظُ عليهم علاقاتِهم الطَّيِّبةَ، وكانَ يحضُّ على التواصُلِ والتَّوادِّ والتصاحُبِ بينَ المسلمينَ، وهذا الحديثُ تَوجيهٌ وإرشادٌ نَبويٌّ لِمَن أرادَ سلامةَ نفسِه وبيتِه وعلاقاتِه معَ الناسِ.

وفيه يقولُ النبيُّ ﷺ: "**الرجُلُ على دِينِ خَليلِه؛ فَلْينظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلْ**"، أي: المرءُ يشابِهُ صَديقَه وصاحِبَه في سِيرتِه وعادتِه؛ فهوَ مؤثِّرٌ في الأخلاقِ والسلوكِ والتصرُّفاتِ، ونظرةِ الناسِ إلى كلٍّ مِنهما من خلالِ مَعرفتِهم بأحوالِ الصَّاحبِ؛ ولهذا أرشدَ النبيُّ ﷺ إلى حُسنِ اختِيارِ الصدِيقِ.

و في حديثٍ آخرَ قال ﷺ: "**لا تصاحِبْ إلَّا مُؤمنًا**"، أي: لا تتَّخِذْ صاحبًا ولا صَديقًا إلَّا مِن المؤمنينَ؛ لأن المؤمنَ يدلُّ صديقَه على الإيمانِ والهدى والخيرِ، ويكونُ عونًا لصاحبِه. **وفي الحديثِ:** الحثُّ على انتِقاءِ الأصحابِ والأصدقاءِ مِن الأتقياءِ المؤمنينَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقوله (**مَن يُخالِل**): من المخالَّة، وهي المصـــادقة والإخاء، فمَن رضي دينَه وخُلُقه خالَلَه، ومَن لا (من لا ترضى دينَه وخُلُقه)، تجنَّبَه؛ فإن الطباع سرَّاقة، والصُّحبة مؤثِّرة في إصلاح الحال وإفساده (59).

قال الغزالي: مجالســة الحريص ومخالطته تُحرِّك الحرص، ومجالســة الزاهد ومخاللته تزهد في الدنيا؛ لأن الطباع مجبولةٌ على التشـبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري (60).

روى البخاري ومســـلم، عن أبي موسى - **رضي الله عنه**- قال: قال رســـول الله ﷺ: (**إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّـــالِحِ، وجَلِيسِ السُّـــوءِ ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ، إِمَّا أنْ يَحْذِيَكَ، وإِمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإِمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ، إِمَّا أنْ يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**) (61).

---

59 . المباركفوري- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي، كتاب: (**الزهد عن رســول الله ﷺ**) باب: (**ما جاء في أخذ المال بحقه**)، الجزء: (7) ص: 41(41)، موقع إسـلام ويب، تاريخ الاطلاع: 6-4-2025م، متاح على رابط: (https://www.islamweb.netD).

60 . المرجع السـابق: الجزء: (7) ص: 41(41)، موقع إسـلام ويب، تاريخ الاطلاع: 6-4-2025م، متاح على رابط: (https://www.islamweb.netD).

61 . الراوي: أبو موسى الأشـعري، المحدث: الألباني، المصـدر: صـحيح الجامع، الصـفحة أو الرقم: 2368، التخريج: أخرجه البخاري (2101)، ومسلم (2628) باختلاف يسير، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فالجليس الصـــالح ضروري لحياة المســـلم، لما له من تأثير إيجابي عميق على دينه ودنياه، فهو يحث على الخير، ويرشـــد للحق، وينصـــح بالمعروف، ويبصر ـ بالعور، ويحذر من المنكرات والمعاصي، ويورث طباعًا سليمة، وينقلك من الغفلة إلى اليقظة، كما أن بركته تشمل جليسه حتى في تقصيره، مما يجعله نعمة عظيمة في الحياة.

شرح الحديث.

مُصاحبةُ الصَّالحينَ ومُجالستُهم مِن شِيَمِ الأخيارِ، وهو طَريقٌ لنَيلِ السَّعادةِ في الدَّارَيْنِ، أمَّا مُصاحبةُ الأشرارِ الطَّالِحين فمِن شِيَمِ ضِعافِ النُّفوسِ، وطَريقٌ للخَسارةِ والبَوارِ. وفي هذا الحديثِ يَضْرِبُ النَّبيُّ ﷺ مِثالَين لِصِنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وهُمَا الجليسُ الصَّالِحُ والجليسُ السَّوءُ؛ وذلك ليُقرِّبَ لنا المعانيَ، ويَحُثَّنا على الْتزامِ الخيرِ والابتعادِ عن السُّوءِ والشَّرِّ.

المثالُ الأوَّلُ للجليسِ الصَّالحِ، والجَلِيسُ هو الَّذي يُجَالِسُ غيرَهُ مِنَ النَّاسِ، والصَّالحُ هو مَنْ يَدُلُّ جَليسَهُ على اللهِ تعالَى وما يُقَرِّبُ إليه؛ مِن قَولٍ، أو عَمَلٍ؛ فيُخبِرُ ﷺ أنَّ هذا الجَليسَ الصَّالحَ مِثلُ صاحِبِ المِسكِ، لن تَفْقِدَ منه أَحَدَ أمرَيْنِ: «**إمَّا تَشْتَرِيهِ، أو تَجِدُ رِيحَهُ**»، أي: إمَّا أنْ تَشتريَ مِن مِسكِهِ وعُطُورِهِ، أو تَجِدَ وَتَشَـــمَّ مِن رِيحِهِ الطَّيِّبَةِ، وكذلك الجليسُ الصَّـــالحُ؛ إمَّا أنْ تَأخُذَ منه خَيرًا، وتَنتفِعَ به، أو أنْ تَجِدَ مِن مُجالَستِهِ رَوْحًا وطِيبًا.

والمثالُ الثاني للجَليسِ السَّـوءِ، وهو مَنْ يُجالِسُ غيرَه ويَصُـدُّه عن سَـبيلِ اللهِ، ومَا يُقَرِّبُ إليه، مِن قَولٍ وعمَلٍ؛ فشَبَّهَه رَسولُ اللهِ ﷺ بـــ«**كِيرِ الحدَّادِ**»، أي: إنَّه كصاحبِ الكِيرِ، وهو زِقٌّ أو جِلدٌ غَليظٌ تُنْفَخُ به النَّارُ. فنافخُ الكيرِ هذا إمَّا أنْ يُحرِقَ بدَنَك أو ثِيابَك مِن شرَرِه المُتطايرِ، أو تَجِدَ مِن مُجالَسـتِه رِيحًا خَبيثةً، فيَجلِبَ لك كَرْبًا وضِيقًا، وتَشَمَّ منه ما يُؤذِيك، وهكذا الجليسُ السَّـوءُ إمَّا أنْ تَطالَك شُرورُ أفعالِه، فتُشارِكَه أوزارَه، وتَحترِقا بنارِها، وإمَّا أنْ تَرى القبيحَ وسُوءَ الفعلِ أمامَك، فتُذمَّ لمُصاحبةِ ومُجالَسةِ مَن هذا حالُه.

وفي الحديثِ: الحَثُّ والتَّرغيبُ على مُجالَســةِ أهلِ الطاعةِ والصَّــلاحِ، ومُجانَبةِ أهلِ الفَســادِ وأصحابِ الخُلقِ السَّيِّئِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: (كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) [62].

هذا الغلام اليهودي انتفع بصحبته لرسول الله ﷺ فكانت هذه الصحبة سبباً لإسلامه؛ بل لأن يكون في منزلة عالية، أن يكون صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ، ويختم له بالحسنى.

---

[62] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 1356، خلاصة حكم المحدث:[صحيح]، التخريج: أخرجه أحمد (13375)، وابن حبان (4884)، باختلاف يسير، وأبو يعلى (3350)، بلفظ مقارب.

شرح الحديث.

لقدْ ضرَب النبيُّ ﷺ أروعَ الأمثلةِ في الرَّحمةِ بخدَمِه، وإنْ كانوا مِن أهلِ الكِتابِ، والحِرصِ على هِدايتِهم إلى الإسلامِ. **وفي هذا الحَديثِ يَروي أَنَسُ بنُ مالكٍ** رَضيَ- اللهُ عنه- أنَّ غلامًا يهوديًّا -ويُطلَقُ الغلامُ على الصبيِّ مِن وقتِ ولادتِه إلى أن يَشِبَّ أو يُقارِبَ سِنَّ البُلوغِ- كان يخدُمُ النبيَّ ﷺ، فمرِض هذا الغلامُ، فأتاه النبيُّ ﷺ يَعُودُه ويزُورُه، فقعَد عندَ رأسِه، وطلَب منه أن يُسلِمَ.

فنظَر الغلامُ إلى أبيه وهو عندَه، وكأنَّه تَردَّد في الأمرِ، أو أنَّه كان مُريدًا للإسلامِ وإنَّما كان يَخافُ مِن أبيه؛ فلذلك الْتَفَتَ إليه، فأجابه أبوه أنْ أَطِعْ أبا القاسِمِ، وتلك كُنْيةُ النبيِّ ﷺ، فأسلَمَ الغلامُ، والإسلامُ يَقتضي النُّطقَ بالشَّهادتَينِ، وهو قولُ: «**أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ**» كما جاء في رِوايةِ النَّسائيِّ في الكُبرَى، فخرَج النبيُّ ﷺ مِن عندِه وهو يقولُ: الحمدُ للهِ الَّذي أنقَذَه، فخلَّصه ونجَّاه بي مِن النَّار.

وفي الحَديثِ: استِخدامُ الكافرِ لخِدمةِ المسلِمِ في الأعمالِ التي تُناسِبُه، بشَرطِ أن يأمَنَ مَكْرَهم وخِداعَهم. وفيه: عِيادةُ المريضِ ولو كان كافرًا، عسى أنْ يكونَ ذلك سببًا في إسلامِه. وفيه: حُسْنُ العهدِ. وفيه: عَرْضُ الإسلامِ على الصَّبيِّ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وفي المقابل، الرفقة السيئة من أسباب سوء الخاتمة، هذا أبو طالب عم النبي ﷺ لما حضرته الوفاة جاءه النبي ﷺ وجاءه أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فكان رسول الله ﷺ يقول له: (أيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ).

روى البخاري ومسلم، عن المُسيِّبُ بنُ حَزْنٍ- رضي الله عنه-، قال: (أنَّ أبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عليه النَّبيُّ ﷺ وعِنْدَهُ أبو جَهْلٍ، فَقَالَ: أيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: يا أبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ! فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حتَّى قَالَ آخِرَ شَيءٍ كَلَّمَهُمْ بهِ: علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عنْه. فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة، آية: 113)، ونَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص، آية: 56))[63].

[63] . الراوي: المسيب بن حزن، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3884، خلاصة حكم المحدث:[صحيح]،التخريج: أخرجه مسلم (24)، والنسائي (2035)، وأحمد (23674) باختلاف يسير.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

كل ذلك بسبب من؟ بسبب أصدقاء السوء ورفقاء السوء، فاختر لنفسك رفيقاً إذا حضرتك الوفاة لقنك لا إله إلا الله، وذكرك بالله- تبارك

شرح الحديث.

أمرُ الهِدايةِ بيَدِ اللهِ- عزَّ وجلَّ-، وواجِبُ المُسلِمِ أنْ يَبذُلَ جُهدَه في دَعْوةِ العِبادِ إلى اللهِ- عزَّ وجلَّ-، وتَعريفِهم بالإسْلامِ، ويَدَعَ أمرَ الهِدايةِ له سُبحانَه وتعالَى؛ فهو وَحْدَه مُقلِّبُ القُلوبِ، والهادي إلى سَواءِ السَّبيلِ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ الصَّحابيُّ المُسيِّبُ بنُ حَزْنٍ- رَضِيَ اللهُ عنه- أنَّ أبا طالِبٍ عمَّ النَّبيِّ ﷺ لَمَّا حضَرَتْه عَلاماتُ الوَفاةِ قبْلَ نَزْعِ الرُّوحِ، دخَل عليه النَّبيُّ ﷺ، وكان عندَه أبو جَهلٍ، فقال له ﷺ: يا عَمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، كَلِمةً أشهَدُ لكَ بها عندَ اللهِ، فقال أبو جَهلٍ عَمْرُو بنُ هِشامِ بنِ المُغيرةِ عَدوُّ اللهِ ورَسولِه، وعبدُ اللهِ بنُ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغيرةِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قبْلَ إسْلامِه يومَ الفَتحِ، واستُشهِدَ في غَزْوةِ حُنَينٍ-: يا أبا طَالِبٍ، تَترُكُ مِلَّةَ عبدِ المُطَّلِبِ؟!

والمُرادُ بها عِبادةُ الأصْنامِ والأوْثانِ، فلم يَزالَا يُكلِّمانِه حتَّى قال آخِرَ شَيءٍ كلَّمَهم به: أنا على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَأستَغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنه**»، أي: ما لم يَنْهَني ربِّي عن الاستِغْفارِ لكَ، فنزَل قولُ اللهِ تعالَى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: 113].

أي: ما كان يَنْبَغي للنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ والَّذين آمَنوا به أنْ يَدْعوا بالمَغفِرةِ للمُشرِكينَ، ولو كان هؤلاء المُشرِكونَ الَّذين يَستَغْفِرونَ لهم ذَوي قَرابةٍ لهم، مِن بعْدِ ما ظهَر لهم أنَّهم ماتوا على الشِّركِ، واستَحَقُّوا بذلك عذابَ النَّارِ، ونزَلَ في أبي طَالِبٍ قولُ اللهِ- تعالَى-: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص: 56]، أي: أحبَبْتَ هِدايَتَه، أو أحبَبْتَه لقَرابَتِه، أي: ليس ذلك إليكَ؛ إنَّما عليكَ البَلاغُ، واللهُ يَهْدي مَن يشاءُ، وله الحِكْمةُ البالِغةُ، والحُجَّةُ الدَّامِغةُ.

وفي الحَديثِ: كَمالُ شَفَقةِ النَّبيِّ ﷺ ورَحمتِه، وحِرصُه على هِدايةِ النَّاسِ أجْمَعينَ، لا سيَّما عمُّه أبو طالِبٍ. وفيه: أنَّ على المَرءِ أنْ يَتخيَّرَ أصْحابَه وأهلَ مَجلِسِه؛ فإنَّ شُؤمَ صاحِبِ السُّوءِ يضُرُّ بالدُّنْيا والآخِرةِ جَميعًا.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وتعالى-؛ واحذر كل الحذر من رفيق إذا حضرتك الوفاة كان عوناً للشيطان عليك، والعياذ بالله!.

والعاقل من اختار لنفسه رفيقاً يصحبه في الدنيا والآخرة، قال- تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف، آية:67).

19) **الابتعاد عن البدع.**

الابتعاد عن البدع من علامات حسن الخاتمة؛ لأنه يدل على توفيق العبد للاستقامة على السنة النبوية والبعد عن ما يخالفها من الأهواء والضلالات، حسن الخاتمة هو أن يختم للإنسان بحال حسنة، والبعد عن البدع من أهم مظاهر هذه الحال الحسنة.

وحسن الخاتمة؛ يشير إلى أن يوفق العبد قبل موته لفعل الخير والتقرب إلى الله تعالى، والابتعاد عن المعاصي والذنوب، المؤمن الذي يبتعد عن البدع ويسير على هدي النبي ﷺ، يكون أقرب إلى حسن الخاتمة، لأن ذلك يدل على استقامته وصلاحه.

ومن أسباب حُسن الخاتمة: العافيةُ من البِدَع؛ فإنَّ ضررها كبيرٌ، وفسادها خطيرٌ، والبِدَعُ هي التي تُفسدُ القلوبَ، وتهدِم الدِّينَ، وتنقُضُ الإسلام عُروةً عروةً.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالحينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء، آية: 69)، وهؤلاء المنعَمُ عليهم مبرَّؤونَ من البِدَع كلِّها.

الابتعاد عن البدع من أسباب التوفيق في الدنيا والآخرة، وسبب في حفظ الدين من التحريف والضلال، والابتعاد عن البدع يعتبر من أعظم أسباب التوفيق في الحياة وفي الممات، وسبب في نيل رضا الله تعالى.

20) **كثرة ذكر الموت وزيارة القبور والعدة لذلك.**

كثرة ذكر الموت وزيارة القبور من الأمور التي تحث على الزهد في الدنيا، وتدفع إلى العمل الصالح، وتجعل القلب يخشع، وتعين على حسن الخاتمة .

عند زيارة القبور، يتذكر المسلم زوال الدنيا وفناء أهلها، فيعتبر بحال من صاروا تحت التراب، وكيف انقطعت آمالهم وأعمالهم؟، وكيف أصبحوا أثراً بعد عين؟، وهذا يدفع إلى الإقبال على الآخرة والعمل الصالح.

تذكر الموت يذكّر المسلم بزوال الدنيا وفنائها، فيزهد فيها ويقبل على الآخرة، ويجعل قلبه يخشع، ويحثه على العمل الصالح.

زيارة القبور تذكّر المسلم بحقيقة الموت، وبنهاية المطاف، وأن كل حي سيموت، وأن هذه الدنيا زائلة، وهذا يعين على الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى الترمذي والنســـائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (أكثِرُوا ذكرَ هادِمِ اللذَّاتِ، يعني: الموتَ) (64).

روى ابن ماجة، عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه-، قال:(كُنتُ معَ رسـولِ اللَّهِ ﷺ، فجاءَهُ رجلٌ منَ الأنصـارِ، فَسـلَّمَ على النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ قالَ: يا رسـولَ اللَّهِ أيُّ المؤمنينَ أفضـلُ؟ قالَ: أَحسـنُهُم خُلقًا، قالَ: فأيُّ المؤمنينَ أَكْيَسُ؟ قـالَ: أَكْثرُهُم للمَوتِ ذِكْرًا، وأحســنُهُم لمـا بعـدَهُ استِعدادًا، أولئِكَ الأَكْياسُ)(65).

---

64 . الراوي: أبو هريرة، المحدث:الألباني، المصـدر: صـحيح الترمذي، الصـفحة أو الرقم: 2307، خلاصـة حكم المحدث: حسـن صـحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (2307)، والنسـائي (4/ 4) مع اختلاف يسـير عنده، وابن ماجه (4258).

شرح الحديث.

تَذكُّرُ الموتِ والآخرةِ مِن البواعثِ الحقيقيَّةِ على تَحسـينِ الصِّـلةِ بين العبدِ وربِّه، وإزالةِ شـواغلِ الدُّنيا مِن الفِكرِ والعقلِ، **وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ**: "أكثِروا ذِكْرَ هاذِمِ"، أي: قاطِعِ "اللَّذَّاتِ"، أي: الشَّـهواتِ العاجلةِ، "يَعني الموتَ"، أي: إنَّ الموتَ هو سَـببٌ يمنَعُ المتوغِّلَ في الشَّـهواتِ والمعاصي الاسـتمرارَ في ذلك، وذِكرُه والوقوفُ على حقيقتِه يُعدِّلُ مسـارَ هذا العاصي إلى الزِّيادةِ في أفعالِ الجنَّة، والابتعادِ عن كلِّ ما يُقرِّبُ مِن النَّارِ، كما يُنبِّهُ على عدمِ تركِ النَّفسِ لمشاغِلِ الدُّنيا.

65 . الراوي: عبدالله بن عمر ، المحدث: الألباني، المصـدر: صـحيح ابن ماجه، الصـفحة أو الرقم: 3454، خلاصـة حكم المحدث: حسـن، التخريج: أخرجه ابن ماجه (4259) واللفظ له، والحاكم (8623) مطولاً باختلاف يسير، والطبراني (417/12) (13536) بنحوه.

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

عند زيارة القبور، يجب على المسلم أن يعتبر بحال الموتى، وكيف كانت حالهم قبل الموت، وكيف أصبحت بعده، وأن يتذكر أن مصيره سيكون مثل مصيرهم، وهذا يعينه على الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

والعبرة الأساسية من زيارة المقابر للأحياء هي تذكر الموت، والآخرة، والاتعاظ بحال من سبق، مما يدفعهم إلى العودة إلى طريق الله والتفكّر في مصيرهم، بالإضافة إلى الدعاء للأموات وتخفيف العبء عنهم، والسلام عليهم والدعاء لهم بالعفو والعافية.

العاقِلُ هو مَن يَسيرُ في حياتِه وعَينُه على آخِرَتِه؛ لأنَّ مَن صحَّت بِدايتُه استَقامَتْ نِهايتُه، ومَن تَذكَّرَ الموتَ ومُصيبتَه هانَت عليه جميعُ المصائبِ وأحسَنَ العملَ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عُمرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما-: "كنتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءَه رجلٌ مِن الأنصارِ، فسَلَّم على النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ قال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ المؤمِنينَ أفضَلُ؟ قال: أحسَنُهم خُلقًا"، أي: أفضَلُهم خُلقًا هو أفضَلُ النَّاسِ، وهذا ليس على الإطلاقِ، ولكنَّه نوعٌ مِن التَّفضيلاتِ الَّتي ذكَرَها النَّبيُّ ﷺ في أحاديثَ مُتعدِّدةٍ يتَناسَبُ كلٌّ مِنها مع الحالِ والمقامِ.

قال الرَّجلُ: "فأيُّ المؤمِنين أكيَسُ؟"، والكَيْسُ: العَقْلُ والفِطْنةُ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "أكثَرُهم للمَوتِ ذِكْرًا، وأحسَنُهم لِمَا بعْدَه استِعْدادًا؛ أولئكَ الأَكْياسُ"، والأكياسُ: العُقَلاءُ، جمعُ كَيِّسٍ وهو الرَّجُلُ الفَطِنُ، حسَنُ الفَهْمِ والسُّلوكِ؛ فأعقَلُ النَّاسِ هو الَّذي يَرى الأمورَ على حَقيقتِها، فلا تَخدَعُه المظاهِرُ ولا تُلْهيه السَّفاسِفُ عن إدراكِ الحقائقِ، فهو يَرى الدُّنيا على حقيقتِها، دارَ ابتِلاءٍ وامْتِحانٍ.

كما قال تَعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، وغايَتُها أن تَكونَ قَنْطَرةً يَعبُرُ عليها إلى الدَّارِ الآخِرةِ، ومَرحَلةً يتَزوَّدُ الإنسانُ منها إلى الآخِرَةِ، ولأنَّ مَن صدَقَ في ذِكْرِه للمَوتِ فرَّ إلى اللهِ ومَن صدَقَ فِرارُه إلى اللهِ، صدَقَت توبتُه وإنابتُه إلى ربِّه، وصدَق في سَيرِه وهَدْيِه على صراطِ اللهِ حتَّى يَلْقى اللهَ تبارك وتعالى.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ ويَبْقَى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أهْلُهُ ومالُهُ، ويَبْقَى عَمَلُهُ)[66].

روى النسائي وابن ماجة، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (زوروا القبورَ فإنَّها تذَكِّرُكمُ الآخرةَ)[67].

---

66 . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: أبو نعيم، المصدر: حلية الأولياء، الصفحة أو الرقم: 408/9، التخريج: أخرجه البخاري (6514)، ومسلم (2960)، والترمذي (2379) واللفظ له، والنسائي (1937)، وأحمد (12080)، خلاصة حكم المحدث: ثابت صحيح

شرح الحديث.

الآخِرةُ هي الدَّارُ الباقيةُ، والسَّعيدُ هو مَن أكثَرَ مِنَ الأعمالِ الصَّالِحةِ في دُنياه؛ لِتَكونَ نَجاةً له في قَبرِه ويَومَ تَقومُ السَّاعةُ، والشَّقيُّ مَن ضَيَّعَ دُنياه في جَمْعِ المالِ، والانشغالِ بالأهلِ والأبناءِ فيما لا يَنفَعُ في الآخرةِ؛ فهذا كُلُّه يُفارِقُ الإنسانَ عِندَ مَوتِه، ولا يَبقى له سِوى عَمَلِه.

وفي هذا الحَديثِ يخبرُنا رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّه يَتْبَعُ الميِّتَ إلى قَبْرِه ثَلاثةٌ، فيَرجِعُ اثنانِ منْها إلى مَكانِهما، ويَبقَى معه واحدٌ؛ يَتْبَعُه أهْلُه حَقيقةً مِن وَلَدِه وأقاربِه، ومالُه كرَقيقِه، فيَرجِعُ أهلُه ومالُه إذا انْقَضى أمْرُ الحزْنِ عليه، سَواءٌ أقاموا بعْدَ الدَّفنِ أمْ لا، ويَبقى عمَلُه فيَدخُلُ معه القبْرَ، ويُحاسَبُ عليه وَحْدَه، وفي هذا المَعنى تَرغيبٌ وتَرهيبٌ؛ تَرغيبٌ في أنْ يَسعَى الإنسانُ في دُنياه لاكتِسابِ كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ يَبقى له في قَبرِه، ويَنفَعُه في آخِرَتِه، فيَكونُ سَبَبًا لِدُخولِ الجَنَّةِ، وتَرهيبٌ وتَخويفٌ أنْ يَأتيَ الإنسانَ المَوتُ وقدْ فَرَّط في الأعمالِ الصَّالِحةِ، وأكثَرَ مِنَ المَعاصي والذُّنوبِ؛ فتَكونُ سَبَبًا في عَذابِه.

وفي الحَديثِ: زَوالُ الدُّنيا مُتمثِّلةً في الأهلِ والمالِ، وبَقاءُ العملِ. وفيه: الحثُّ على كَثرةِ الأعمالِ الصَّالحةِ التي تَبْقى بعْدَ الموتِ.

67 . الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: 1285، التخريج: أخرجه النسائي (2034) بمعناه، وابن ماجه (1569) واللفظ له، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

وفي رواية مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: (زَارَ النبيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَن حَوْلَهُ، فَقالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ؛ فإنَّها تُذَكِّرُ المَوْتَ) (الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 976، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري).

شرح الحديث.

ذِكْرُ المَوتِ وزِيارةُ المَوتَى والقُبورِ تُذَكِّرُ بِالآخِرةِ وَبالنِّهايةِ المَحتومةِ لكُلِّ إنْسانٍ، وذَلك يُحفِّزُ عَلى العَملِ، وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَزورُ أَهلَ البَقيعِ.

وَفي هذا الحَديثِ يَرْوي أبو هُريرةَ- رَضيَ اللهُ عنه- قِصَّةَ زِيارةِ النَّبيِّ ﷺ لقَبرِ أُمِّه وما فيها مِن عِبَرٍ، وكان قَبرُ أُمِّه ﷺ بِالأَبْواءِ بيْنَ مكَّةَ والمدينةِ، وتبعُدُ عن رابغَ (67 كم) شَمالَ مِنطقةِ مكَّةَ المكرَّمةِ، وكانتْ في الجاهليَّةِ وصَدرِ الإسْلامِ من ديارِ بَني ضَمْرةَ من قَبيلةِ كِنانةَ، واليومَ من ديارِ بَني عَمرِو بنِ حَربٍ.

وكانت هذه الزِّيارةُ عامَ الفَتحِ سنةَ ثمانٍ منَ الهجرةِ، وسَببُ زِيارتِه ﷺ قَبْرَها أنَّه قصَدَ قُوَّةَ المَوْعظةِ والذِّكْرى بمُشاهَدةِ قَبرِها، ويُؤيِّدُه قولُه ﷺ **في آخرِ الحَديثِ:** «**فزُوروا القُبورَ؛ فإنَّها تُذكِّرُ الموتَ**»، وقيلَ: كانت زِيارتُه ﷺ قَبرَها معَ أنَّها كافرةٌ تَعليمًا منه للأمَّةِ حقوقَ الوالِدَينِ والأقارِبِ؛ فإنَّه لم يَترُكْ قَضاءَ حقِّها معَ كُفرِها، فلمَّا رَأى النَّبيُّ ﷺ قبْرَ أُمِّه بَكى وبَكى مَن حَولَه لبُكائِه.

فقال النَّبيُّ ﷺ مُبيِّنًا سببَ بُكائِه: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتغفِرَ لَها**»؛ وذلك بالدُّعاءِ بغُفرانِ الذُّنوبِ ومَحوِها، «**فَلم يُؤذَنْ لي**»؛ لأنَّها كافِرةٌ، وَالاستِغفارُ للكافِرينَ لا يَجوزُ؛ لأنَّ اللهَ لا يَغفِرُ لَهم أَبدًا، كما في قولِه تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: 48].

وأخبَرَ ﷺ أنَّه اسْتأذَنَ في زِيارةِ قَبرِ أُمِّه، فأَذِنَ اللهُ- عزَّ وجلَّ- له في ذَلكَ، ثُمَّ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**فَزُوروا القُبورَ؛ فإنَّها**»، أي: القُبورَ أو زِيارَتَها «**تُذَكِّرُ الموتَ**»، وذِكْرُ الموتِ يرقِّقُ القُلوبَ المُؤمِنةَ، وخاصَّةً إذا حَضَرها مَعاني الفَناءِ، والبعثِ والنُّشورِ، والسُّؤالِ والوُقوفِ بينَ يدَيِ اللهِ.

وفي الحَديثِ: النَّهيُ عن الاستِغفارِ لِمَن ماتَ عَلى غيرِ مِلَّةِ الإسْلامِ. وفيهِ: زِيارةُ قُبورِ الوَالِدَينِ غيرِ المُسلمَينِ. وفيهِ: أنَّ زِيارةَ القُبورِ تُذَكِّرُ بالموتِ وبالآخِرةِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقال الســـدي في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَـــنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملـك، آيـة: 2]؛ أي: أكثرُكم للموت ذكرًا، وله أحسن استعدادًا، ومنه أشد خوفًا وحذرًا.

قال الإمام القرطبي في التذكرة: "قال الدقاق: **مَن أكثَرَ من ذكرِ الموت، أُكرِم بثلاثة أشـياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشـاط العبادة، ومَن نسي الموت، عُوقِب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة**" (68).

روى ابن ماجه وأحمد، عن البراء- رضي الله عنه-، قال: (كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ في جِنازةٍ، فجلس على شـفيرِ القبرِ، فبكَى حتَّى بلَّ الثَّرَى، ثمَّ قال: يا إخواني لمثلِ هذا فأعِدُّوا) (69).

---

68 . أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي (ت671 هـ)، الكتاب: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراســة: د. الصــادق بن محمد بن إبراهيم، أصــل التحقيق: أطروحة دكتوراة من الجامعة الاســلامية، 1423هـ، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياضالسعودية، الطبعة: الأولى، 1425 هـ، ص14.

69 . الراوي: البراء بن عازب، المحدث: المنذري، المصــدر: الترغيب والترهيب الصــفحة أو الرقم: 198/4، التخريج: أخرجه ابن ماجه (4195) بلفظه، وأحمد(18601) خلاصــة حكم المحدث: إســناده حســن، وأخرجه ابن ماجه (4195) [تعليق محمد فؤاد عبدالباقي: في الزوائد إســناده ضــعيف، قال ابن حبان في الثقات: محمد بن مالك لم يسمع من البراء، ثم ذكره في الضعفاء]، وحسَّنه الألباني.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

21) التضرع إلى الله، والإلحاح.

التضرع إلى الله، والإلحاح في الدعاء بصدق وإخلاص أن يختم الله للعبد على خير، وأن يرزقه حسن الخاتمة.

التضرع إلى الله والإلحاح في الدعاء من علامات حسن الخاتمة، فالتضرع هو إظهار الخضوع والخشوع لله- تعالى-، والإلحاح هو المبالغة في الدعاء والطلب منه، وهما يدلان على صدق الإيمان والتوكل على الله.

من أسباب حسن الخاتمة: الدُّعاءُ بذلك للنَّفس؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر، آية: 60).

معرفة العبد لربه- عز وجل- في حال الرخاء، **روى الترمذي، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ**: (**مَن سَرَّهُ أن يستجيبَ اللهُ له عندَ الشدائدِ؛ فلْيُكْثِرِ الدعاءَ في الرَّخاءِ**)[70].

قوله: (**تعرَّف إليه**)، **قال السندي:** هو بتشديد الراء؛ أي: تحبَّب إليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته؛ لأن المعرفة سبب المحبة، والرخاء

---

[70] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: هداية الرواة الصفحة أو الرقم: 2180، التخريج: أخرجه الترمذي (3382)، وأبو يعلى (6396)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (2004) باختلاف يسير، خلاصة حكم المحدث: قوي بغيره.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

مقابل الشـــدة، ويعرِفْك (بالجزم) على أنه جواب الأمر؛ أي: يُعِنْك في الشدة([71]).

روى الترمذي وأحمد، عن ابن عباس- رضي الله عنهما-، أنه قال: كنتُ رديفَ رســول الله ﷺ، فقال: (يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا ســألتَ فاســألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ.

واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ) ([72]).

---

[71] . السندي؛ محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرح حديث: (**كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام أو يا غليم، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**) تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ، 2008م.

[72] . الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2516، التخريج: أخرجه الترمذي (2516) واللفظ له، وأحمد (2669) خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

أُوتِيَ النَّبيُّ ﷺ جَوامِعَ الكَلِمِ، فكان ﷺ يَجمَعُ المواعِظَ الجمَّةَ والوصايا الجامِعةَ، والحِكَمَ البالِغةَ في الكلامِ القليلِ، وكان مِن هَدْيِه ﷺ تَربيةُ الصِّغارِ وتَعليمُهم أمورَ دِينِهم؛ مِن العقيدةِ الصَّحيحةِ وحُسْنِ التَّوكُّلِ على اللهِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ لِعَبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ: "**يا غلامُ**"، والغُلامُ هو الصَّبيُّ الصَّغيرُ الَّذي لم يَبلُغِ الحُلُمَ بَعدُ، "**إنِّي أُعلِّمُك كَلِماتٍ**"، أي: أُعلِّمُك أُمورًا وأشياءَ يَنفَعُك اللهُ بها، "**احفَظِ اللهَ**"، أي:

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

احْفَظْ حُدودَه وحُقوقَه وأوامَرَه ونواهيَه، فاتَّقِ اللهَ في أوامِرِه ونَواهيه بحيثُ يَجِدُك في الطَّاعاتِ والقُرباتِ، ولا يَجِدُك في المعاصي والآثامِ، ومِن أعظمِ ما يُحافَظُ عليه الصَّلاةُ والطَّهارةُ التي هي مِفتاحُ الصَّلاةِ، وحِفظُ الرأسِ وما وعَى وهو يَتضمَّنُ حِفظَ السَّمعِ والبَصرِ واللِّسانِ مِن المُحرَّماتِ، وحفظُ البَطنِ وما حوَى، ويتَضمَّن حِفظَ القلبِ عن الإصرارِ على المحرَّماتِ.

وكذلك مِنْ أعظمِ ما يَنبغي حِفْظُه مِن نواهي الله عزَّ وجلَّ: الفَرْجُ وأنْ يُحفَظ ولا يُوضَعُ إلَّا في حلالٍ، "**يَحْفَظْك**"، أي: إذا اتَّقيتَه وحَفِظتَه كان جَزاؤُك أن يَصونَك مِن الشُّرورِ والموبِقاتِ ويَحفَظَك في نَفسِك وأهلِك ومالِك ودِينِك ودُنياك، ويَحفظَك مِن مكارِهِ الدُّنيا والآخِرَة؛ فحِفظُ اللهِ لعَبدِه نوعان؛ أحَدُهما: حِفظُه له في مَصالِحِ دُنياه، كحِفْظِه في بدَنِه وولَدِه، وأهلِه ومالِه؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللَّهِ**﴾[الرعد: 11].

فمَن حَفِظ اللهَ في صِباه وقوَّتِه، حَفِظه اللهُ في حالِ كِبَرِه وضَعْفِ قوَّتِه، ومتَّعه بسَمعِه وبصَرِه وحَوْلِه وقوَّتِه وعقلِه. النَّوعُ الثَّاني: حِفظُ اللهِ للعبدِ في دِينِه وإيمانِه، فيَحفَظُه في حَياتِه مِن الشُّبهاتِ المضلَّةِ، ومِن الشَّهَواتِ المحرَّمةِ، ويَحفَظُ عليه دِينَه عندَ موتِه، فيتوفَّاه على الإيمانِ، وعلى العكسِ من هذا؛ فمَن ضيَّع اللهَ ضيَّعه اللهُ، فضاع بينَ خلقِه، حتَّى يَدخُلَ عليه الضَّررُ والأذى ممَّن كان يَرْجو نفْعَه مِن أهلِه وغيرِهم.

"**احفَظِ اللهَ**"، أي: اتَّقِ اللهَ في الأوامِرِ والنَّواهي، والْزَمِ الطَّاعاتِ، ولا تَقرَبِ المعاصيَ، "**تَجِدْه تُجاهَك**"، والمعنى: أنَّك تَجِدُه حينَئذٍ كأنّه حاضرٌ تِلقاءَك وقُدَّامَك في مقام إحسانك وإيقانك وكمال إيمانك، كأنَّك تراه بحيثُ تُغْنَى بالكُلِّيَّةِ عن نظَرِك ما سِواه، وقيل: المعنى: إذا حَفِظْتَ طاعةَ اللهِ وجَدتَه يَحفَظُك ويَنصُرُك في مُهِمَّاتِك أينَما توجَّهتَ، ويُسهِّلُ لك الأمورَ الَّتي قصَدتَ، **وقيل المعنى:** تجِدُ عِنايتَه ورَأفتَه قَريبًا منك؛ يُراعيك في جَميعِ الحالاتِ، ويُنقِذُك مِن جميعِ المضَرَّاتِ.

"**إذا سألتَ فاسأَلِ اللهَ**"، أي: إذا أرَدتَ أن تَطلُبَ شيئًا، فلا تَطلُبْ إلَّا مِن اللهِ، "**وإذا استَعنتَ فاستَعِنْ باللهِ**"، أي: وإذا أردتَ العونَ فلا تَطلُبِ العونَ إلَّا مِن اللهِ ولا تَستَعِنْ إلَّا باللهِ، "**واعْلَمْ**"، كرَّرَ فِعلَ الأمْرِ زِيَادَةً في الحَثِّ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ- تعالى-، "**أنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمَعَت**"، أَيْ: اتَّفَقَتْ فَرْضًا وَتَقْدِيرًا "**على أن يَنفَعوك بشيءٍ لم يَنفَعوك**" أَيْ: لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ، "**إلَّا بشيءٍ قد كتَبه اللهُ لك**"، والمعنى: وَلْيَكُنْ عِندَك عِلمٌ ويقينٌ أنَّه لن يَكونَ إلَّا ما قدَّره اللهُ لك؛ فلن تُحصِّلَ مَنفَعةً إلَّا ما كتَبه الله لك، ولو اجتَمَع على مَنفَعتِك أهلُ الأرضِ جَميعًا

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى أبو داود، عن عِمرانُ بنُ حُصَـيْنٍ- رضي الله عنه-، قال: (ثلاثٌ يُدرِكُ بهن العبدُ رغائبَ الدنيا والآخرةِ: الصـبرُ على البلاءِ، والرضـا بالقضاءِ، والدعاءُ في الرَّخاءِ) ([73]).

"وإنِ اجتَمَعوا على أن يَضُرُّوك بشيءٍ لم يَضُرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتَبه اللهُ عليك"، أي: وَلْيَكُنْ عِندَك عِلمٌ أيضًا أنَّك لن تَرى إلَّا ما قدَّره اللهُ عليك، فلَن يَبلُغَك ضُرٌّ إلَّا ما قدَّره اللهُ عليك، ولو اجتَمَع على ضُرِّك أهلُ الأرضِ جميعًا، وهذا مُتَّفِقٌ مع الحُكمِ المقرَّرِ في الاعتقادِ أنَّ اجتِماعَهم على إيصالِ النَّفعِ والضُّرِّ- بدونِ مَشيئةِ اللهِ مِن المُحالِ، وخُلاصةُ المعنى أنَّ المطلوبَ مِنك أن تُوحِّدَ اللهَ في المطلَبِ والمهرَبِ، فهو الضَّارُّ النَّافعُ، والمعطي المانعُ.

"رُفِعَت الأقلامُ"، أي: كُتِبَت مَقاديرُ الخلائقِ جميعًا، ورُفِع القلمُ، فلا زِيادةَ ولا نُقْصانَ في كِتابَةِ الأحْكامِ، "وجَفَّتِ الصُّحفُ"، أي: جفَّت الصُّحفُ بما كتَبَته الأقلامُ فيها مِن مَقاديرِ الخلائقِ، فلا تَبْديلَ ولا تَغْييرَ، فكلُّ شيءٍ قد كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ؛ فعبَّر عن سبْقِ القضاءِ والقدَرِ برَفْعِ القلَمِ، وجَفافِ الصَّحيفةِ؛ تَشبيهًا بفراغِ الكاتبِ في الشَّاهدِ مِن كتابتِه، وهذا كلُّه مِن التَّربيةِ النَّبويَّةِ للأُمَّةِ على أن تتَعامَلَ بصِدقٍ مَع اللهِ، وأنْ تُراقِبَه في كلِّ أعمالِها، وألَّا تَخافَ غيرَه سُبحانه؛ فمِنْه النَّفعُ والضُّرُّ، وأن تُربِّيَ أطفالَها على هذه المفاهيمِ الطَّيِّبةِ فيَنشَؤوا ويَشِبُّوا عليها.

وهذا الحَديثُ أصلٌ عظيمٌ في مُراقبةِ اللهِ، ومُراعاةِ حقوقِه، وتَفويضِ الأُمورِ إليه، والتَّوكُّلِ عليه، وشُهودِ تَوحيدِه وتفرُّدِه، وعجْزِ الخلائقِ كلِّهم وافتقارِهم إليه وحدَه، وفيه أبلغُ ردٍّ على مَن اعتقَدَ النَّفعَ والضرَّ- في غَيرِ الله مِن الأولياءِ والصَّالِحين وأهلِ القبورِ، أو سألَهم واستعانَ بِهم مِن دُونِ اللهِ تعالى. وفي الحَديثِ: الحثُّ على حِفظِ اللهِ عزَّ وجلَّ في أوامِرِه ونَواهيه. وفيه: الحثُّ على طلَبِ العونِ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ وحْدَه.

[73] . الراوي: محمد بن عبدالله، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الضعيفة الصفحة أو الرقم: 3440، التخريج: أخرجه أبو داود في ((الزهد)) (392)، وابن أبي الدنيا في ((الصبر)) (90)، وأبو الشيخ في ((الثواب)) كما في ((الجامع الصغير)) (6317) واللفظ لهم. خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وعن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء- رضي الله عنه-، قال: (يا أهل حمص، ما لي أرى علماءَكم يذهبون، وأرى جهَّالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبَلْتُم على ما تكفَّل لكم به، وضيَّعتم ما وُكِّلتم به؟! اعلَموا قبل أن يُرفع العلم، فإن رفعَ العلمِ ذَهاب العلماء.

لولا ثلاث صلح الناس: شحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه، مَن يُكثِر قرع الباب يُفتَحْ له، ومَن يُكثِر الدعاء في الرخاء يستجاب له عند الكرب، ومَن رُزِق قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنةً، فنِعْمَ الخيراتُ له، لم يترك من الخيرات شيئًا) [74].

فمَن ذكر الله في حال صحته ورخائه، واستعدَّ حينئذٍ للقاء الله بالموت وما بعده، ذكَرَه الله عند هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولطف به، وأعانه، وتولَّاه، وثبَّته على التوحيد، فلقِيه وهو عنه راضٍ، ومَن نسِي اللهَ في حال صحته ورخائه، ولم يستعدَّ حينئذٍ للقائه، نسِيَه الله في هذه الشدائد، بمعنى أنه أعرض عنه وأهمله.

---

[74] . أبو داود سليمان السِجِستاني، الزهد؛ رواية: ابن الأعرابي عنه، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، قدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان – مصر، الطبعة: الأولى، 1414 هـ 1993م، ص: 225.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى أحمد والطبراني، عن أم المؤمنين عائشـــة- رضي الله عنها-، قال رسول الله ﷺ: (لا يُغْنِي حَذَرٌ من قَدَرٍ، [والدعاءُ ينفعُ مما نزل، ومما لم يَنْزِلْ، وإنَّ البلاءَ لَيَنْزِلُ، فيَتَلَقَّاه الدعاءُ، فيَعْتَلِجَانِ إلى يومِ القيامةِ]) (75).

ودُعاء المسلم لأخيه المسلم بحُسْنُ الخَاتِمَةِمستجابٌ بظَهْر الغَيْب، روى مسلم وأحمد، عن أم الدرداء- رضي الله عنها-، قال رسول الله ﷺ: (دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْـــلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْـــتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِـــهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ) (76).

---

75 . الراوي: عائشـة أم المؤمنين، المحدث: الألبان، المصـدر: صـحيح الجامع الصـفحة أو الرقم 7739، التخريج: أخرجه الحاكم (1813) واللفظ له، وأخرجه الطبراني في ((المعجم الأوســط)) (2498)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (212/3) باختلاف يسير، خلاصة حكم المحدث : حسن [وقد ضعفه في ضعيف الترغيب 1014 والسلسلة الضعيفة 6764].

76 . الراوي: أم الدرداء، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2733، التخريج: أخرجه أحمد (27559) بلفظه، وابن أبي شـيبة (29768) باختلاف يسـير، وابن ماجه (2895) بنحوه، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

وفي رواية مســلم: (**ما مِن عَبْدٍ مُسْــلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ، إلَّا قالَ المَلَكُ: وَلَكَ بمِثْلٍ**) (الراوي: أبو الدرداء، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2732 ، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري).

شرح الحديث.

دَعا الإسلامُ إلى ائتلافِ القلوبِ، وهذه نِعمةٌ مَنَّ اللهُ بها على المسْلِمين، ومِن أسبابِ إظهارِ المودَّةِ والائتلافِ والمحبَّةِ دُعاءُ المسْلمِ لأخيهِ المسْلمِ في كلِّ الأوقاتِ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه «**ما مِن عَبدٍ مُسلِمٍ يَدعو لِأخيهِ**» والمرادُ: أخوَّةُ الإسلامِ، لا أُخوَّةُ النَّسبِ، «**بِظَهْرِ الغَيْبِ**»، أي: في غَيْبَةِ الأخِ المدْعوِّ له، وفي السِّرِّ، ودونَ أنْ يَعلَمَ به صاحبُه، وخَصَّ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فاسعَوا- رحمكم الله- إلى تحصيل أسباب حسن الخاتمة؛ ليوفِّقكم الله إلى ذلك، واحذروا أسبابَ سوء الخاتمة؛ فإنَّ الخاتمة السيِّئة هي المصيبةُ العظمى، والدَّاهيَة الكبرى، والكَسْر الذي لا ينجَبِر، والخسران المبين، والعياذ بالله من ذلك.

فقد كان السَّلف الصَّالح- رضي الله عنهم- يخافون سوءَ الخاتمة أشدَّ الخوف؛ قال البخاريُّ في صحيحه: **قال ابن أبي مُلَيْكَة: "أدركتُ ثلاثينَ من الصَّحابة، كلُّهم يخاف النِّفاقَ على نفسه"**(77).

والخوف من سوء الخاتمة في الإسلام هو شعور بالقلق الشديد من أن يلقى الإنسان ربه على حالة سيئة من الكفر أو الضلال، وهو شعور محمود يحفز المسلم على مزيد من الطاعة والإخبات لله، وليس هو

هذا النَّوعَ مِن الدُّعاءِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أبْلَغُ في الإخلاصِ وأدَلُّ على عُمقِ المحبَّةِ؛ لبُعدِه عن الرِّياءِ والأغراضِ المفسِدةِ، فإذا دَعا المسْلمُ لأخيهِ، قال المَلَكُ المُوكَّلُ به: «**ولَكَ**» أيُّها الدَّاعي، بِمِثْلِ ما دَعوْتَ به لأَخيكَ.

وفي رِوايةٍ عندَ مُسلِمٍ: «**قال الملَكُ الموكَّلُ به: آمينَ، ولكَ بمِثلٍ**»، فالملَكُ يُؤمِّنُ على الدُّعاءِ ويَدْعو للدَّاعي بمِثلِ ما دَعا لأخيهِ؛ فيَنْبَغي للعَبْدِ أنْ يُكْثِرَ مِن دُعائِه لِأخيهِ؛ فهو عَمَلٌ صالِحٌ يُؤجَرُ عليه. وفي الحديثِ: الحثُّ على إحسانِ المُؤمنينَ بَعْضِهِم إلى بَعْضٍ. وفيه: بَيانُ فَضلِ دُعاءِ المسْلمِ لأخيهِ المسْلمِ بظَهرِ الغيبِ، ولوْ لجماعةٍ مِن المسْلِمين.

77 . صحيح البخاري: كتاب: (الإيمان)، بَابُ: (خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ) الجزء الأول، ص: 367، موقع المكتبة الشاملة، تاريخ الاطلاع: 22-4-2025، متاح على رابط: (https://shamela.ws).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الخوف الذي يصل إلى القنوط واليأس، بل يكون مصحوبًا بالرجاء في رحمة الله وعفوه.

وتكمن أهمية هذا الخوف في أنه يمنع الإنسان من الزهو بعمله، ويدفعه إلى الخوف من أن يُخذل عند الموت، كما فعل السلف الصالح الذين كانوا يبكون ويخافون على زوال إيمانهم.

وقال ابن رجب: "وكان سفيان الثوريُّ يشتدَّ قلقُه وخوفُه من السَّوابق والخواتم؛ فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا، ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلَبَ الإيمانَ عند الموت"[78].

وقال بعضُ السَّلف: "ما أبكى العيونَ ما أبكاها الكتابُ السَّابق"، وقد قيل: "إنَّ قلوبَ الأبرار معلَّقَةٌ بالخواتيم؛ يقولون: بماذا يُختَم لنا؟ وقلوبُ المقرَّبين معلَّقةٌ بالسَّوابق؛ يقولون: ماذا سبَق لنا؟"[79].

---

[78] . زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (736 - 795هـ) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط [ت 1438 هـ]، إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، 1417هـ - 1997م، ص: 57.

[79] . زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (736-795هـ) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط [ت 1438 هـ]، إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، 1417هـ- 1997م، ص: 57.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وكان مالك بن دينار- رحمه الله- يقوم ليلَه ويقول: "يا ربِّ، قد علمتَ ساكنَ الجنَّة والنَّار؛ ففي أيِّ منزلٍ مالك؟"[80] وكلام السَّلف في الخوف من سوء الخاتمة كثيرٌ.

خاتمة.

حسن الخاتمة؛ هو نهاية الحياة الدنيا بحالة حسنة تدل على رضا الله عن العبد، وهناك عدة أسباب توصل إلى هذه الخاتمة، **ومن أسباب حسن الخاتمة، ما يلي:**

1. **الإخلاص في العمل:** وهو أساس قبول الأعمال عند الله، فمن أخلص عمله لله، وتجنب الرياء والسمعة، كان أحرى بحسن الخاتمة.
2. **المداومة على الطاعات:** من يلتزم بالعبادات والطاعات ويستمر عليها حتى الممات، فإنه يُرجى له أن يختم له بخير، كما روى مسلم وأحمد عن جابر بن عبدالله- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَن ماتَ على شَيءٍ بُعِثَ عليه**) ([81]).

---

[80] . أخرجه أحمد في الزهد (ص321)، **وانظر:** صفة الصفوة (3/ 285)، وجامع العلوم والحكم (ص57).

[81] . أخرجه مسلم (2878) بنحوه، وأحمد (14373) واللفظ له، ولفظه: **(مَنْ ماتَ على شيءٍ بَعثَهُ اللهُ عليْهِ).**

شرح الحديث.

يومُ القِيامةِ يومُ الجَزاءِ على الأعمالِ في هذه الدُّنيا، والجزاءُ يكونُ من جِنسِ العَملِ؛ فيَبعثُ اللهُ كلَّ إنسانٍ على ما ماتَ عليه مِن اعتقادٍ وعملٍ فيُجازِيه عليه، كما يقولُ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحَديثِ: "**مَن ماتَ**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

3. **الابتعاد عن المعاصي:** من الأمور التي تعين على حسن الخاتمة تجنب الوقوع في المعاصي والذنوب، والحرص على ترك المحرمات.
4. **حسن الظن بالله:** وهو من الأمور التي تبعث على التفاؤل والأمل، فعلى المسلم أن يحسن الظن بربه، وأن يثق في رحمته ومغفرته.
5. **التضرع إلى الله بالدعاء:** الدعاء من أعظم الأسباب التي تعين على حسن الخاتمة، فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء بصدق وإخلاص أن يختم له بخير.
6. **اختيار الرفقة الصالحة:** فالمرء على دين خليله، فإذا كان الإنسان يختار صحبة صالحة، فإن ذلك يؤثر إيجاباً على سلوكه وأخلاقه، مما يقربه إلى الله تعالى.

على شَيءٍ"، أي: مَن ماتَ على عَمَلٍ مِن الأعْمالِ طاعَةً كانتْ أو مَعصيَةً، "**بَعَثَه اللهُ عليه**"، أي: بَعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ على هذا العَمَلِ؛ فيَموتُ الإنسانُ على ما عاشَ عليه، ويُراعَى في ذلك حالُ قَلْبِه لا حالُ شَخْصِه؛ فمِن صِفاتِ القُلوبِ تُصاغُ الصُّوَرُ في الدَّارِ الآخِرَةِ، ولا يَنْجو فيها إلَّا مَن أتَى اللهَ بقَلْبٍ سَليمٍ؛ فعلى الإنسانِ أنْ يَجتَهِدَ في فِعْلِ الأعْمالِ الصالِحَةِ؛ لأجْلِ أنْ يَبعَثَه اللهُ- عزَّ وجلَّ- على عَمَلٍ صالِحٍ، وعليه أنْ يَتَمسَّكَ بالإسلامِ في حَياتِه؛ لِيَموتَ عليه.

كما قال تَعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 102] ، أي: اتَّقوا اللهَ بفِعلِ أوامِرِه واجتنابِ نواهيهِ، وحافِظوا على الإسلامِ في حالِ صِحَّتِكم وسَلامَتِكم؛ لِتَموتوا عليه؛ فإنَّ الكَريمَ قد أجْرى سُنَّتَه بكَرَمِه أنَّه مَن عاشَ على شَيءٍ ماتَ عليه، ومَن ماتَ على شَيءٍ بُعِثَ عليه.

وقد جاء في الصَّحيحَينِ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ- رضِيَ اللهُ عنهما- وهذا لفظُ أبي داودَ-: "**أُتِيَ النبيُّ ﷺ برَجُلٍ وقَصَتْه راحلتُه، فماتَ وهو مُحرِمٌ، فقال: كفِّنوه في ثَوبيهِ، واغْسِلوه بماءٍ وسِدرٍ، ولا تُخمِّروا رأسَه؛ فإنَّ اللهَ يَبعثُه يومَ القِيامَةِ يُلبِّي**."**وفي الحَديثِ:** أنَّ الأُمورَ بمَقاصِدِها، وأنَّ المَرءَ يُجازَى بِنِيَّتِه التي لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ ويَبعَثُه عليها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الثَالثُ.

عَلَامَاتُ وَأَمَارَاتُ حُسنِ الخَاتِمَةِ.

واشتمل على ما يلي:-

أولاً: مُقَدِمَةٌ.

ثانياً: المداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين.

ثالثاً: علامات حسن الخاتمة.

1. النطق بالشهادة عند الموت.
2. الموت برشح الجبين.
3. الموت ليلة الجمعة أو نهارها.
4. الموت على عمل صالح.
5. الثناء على الميت من قبل ذوي الاستقامة والصلاح.
6. الموت غازياً في سبيل الله.
7. الموت بمرض الطاعون.
8. الموت بداء البطن.
9. الموت بسبب الهدم والغرق
10. موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به.
11. الموت بالحرق وذات الجنب والسل.
12. المدافع عن ماله أو عرضه أو نفسه.
13. الموت رباطاً في سبيل الله.

رابعاً: خاتمة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الثَّالثُ.

عَلَامَاتُ وَأَمَارَاتُ حُسنِ الخَاتِمَةِ.

مُقَدِمَةٌ.

أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته، فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله- تعالى- واستحقاق كرامته تفضلاً منه تعالى، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وفي قبورهم، وعند بعثهم من قبورهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (فصلت، آية:30-31) [82].

---

[82] . **يقول السعدي- رحمه الله- في تفسيره:** "يخبرُ تعالى عن أوليائه، وفي ضِمْنِ ذلك تنشيطُهم والحثُّ على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30]؛ أي اعترفوا ونطَقوا، ورَضُوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم علْمًا وعملًا، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: 30]؛ أي يتكرر نزولُهم عليهم، مُبشِّرين لهم عند الاحتضار، ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ [فصلت: 30]، على ما يُستقبَلُ من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: 30] على ما مضى (السعدي، تيسير الكريم الرحمن 748).

ويقول السعدي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:27]، يُخبرُ تعالى أنه يثبِّتُ عبادَه المؤمنين؛ أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلبِ التامِّ الذي يستلزمُ أعمالَ الجوارحِ ويُثمرُها، فيثبتُهم اللهُ في الحياة الدنيا، عند ورودِ الشُّبهاتِ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري، عن عبادة بن الصـــامت- رضي الله عنه-، قال: قال رســـول الله ﷺ: (مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ، قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: (إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ).

قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ) [83].

بالهداية إلى اليقين، وعند عُروض الشـــهوات بالإرادةِ الجازمةِ على تقديم ما يُحبّهُ اللهُ على هوى النفس ومرادِها.

وفي الآخرة عند الموتِ بالثباتِ على الدين الإســـلامي، والخاتمةِ الحســـنة، وفي القبرِ عند ســـؤالِ الملَكين للجواب الصـحيح، إذا قيل للميت: "من ربُّك؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟ هداهم للجواب الصـحيح بأنْ يقولَ المؤمنُ: اللهُ ربي، والإسلامُ ديني، ومحمدٌ ﷺ نبيي (السعدي، تيسير الكريم الرحمن 425- 426).

[83] . أخرجه مسلم (2684) بلفظه، وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم إثر حديث (6507) بلفظ مقارب.

شرح الحديث.

لا شـــكَّ أنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ البقاءِ، وأنَّنا في الدُّنيا كعابرِ سَـــبيلٍ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ أحَبَّ لِقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقاءَه؛ لِما يترتَّبُ على هذا اللِّقاءِ وتلك المحبَّةِ مِن الجزاءِ بالنَّعيمِ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَه؛ لِما يترتَّبُ على هذا اللِّقاءِ وتلك الكراهيةِ مِنَ الجَزاءِ بالعَذابِ والعِقابِ، ومَحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبْدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعَدمُ حُبِّ طُولِ القيامِ في الدُّنيا، والاســـتعدادُ لِلارتحالِ عنها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقال النووي- رحمه الله-: (معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعاً هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه).

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام: (ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته؛ لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة).

فحب لقاء الله، وهي شعور المؤمن الحقيقي الذي يبشّر بالجنة والرضا الإلهي، ويُقابَل بحب الله للقاء العبد من خلال تفريج كربته والاجتماع به في دار النعيم، هذا الحب هو نتيجة الإيمان والتقوى، ويتجلّى في رغبة العبد في مفارقة الدنيا واللحاق بربه.

والمرادُ بِاللّقاءِ: المصيرُ إلى الدَّارِ الآخرةِ وطلَبُ ما عندَ اللهِ وليْس الغرضُ به الموتَ، وقدِ استَشْكَلَتْ أُمُّ المُؤمنينَ عائشةُ- رضِي اللهُ عنها- قولَ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ»؛ لأنَّ الموتَ لا يُحِبُّه أحدٌ بِطبيعةِ خِلقةِ النَّاسِ وما جُبِلوا عليه، فبيَّن لها ﷺ أنَّ المقصودَ ليسَ ذلك، بَلِ المقصودُ أنَّ المُؤمِنَ إذا جاءَه الموتُ فإنَّه يرَى البُشرى مِنَ اللهِ- سُبحانَه وتعالَى- لِمَا يَنتظِرُه عنده مِن حُسنِ الجزاءِ، فلا يكونُ شَيءٌ أحبَّ إليه مِن ذلك، فأحَبَّ لِقاءَ اللهِ وأحبَّ اللهُ لقاءَه، وأمَّا الكافرُ فإنَّه إذا جاءَه الموتُ يَرى ما وَعَدَه ربُّه مِنَ العذابِ والنَّكالِ حقًّا أمامَ عينَيْه، فلا يكونُ شَيءٌ أكرَهَ إليه مِن ذلك، فكرِهَ لقاءَ اللهِ، وكرِهَ اللهُ لِقاءَه.

وفي الحَديثِ: أنَّ المجازاةَ مِن جِنسِ العملِ؛ فإنَّه قابَلَ المحبَّةَ بِالمحبَّةِ، والكراهةَ بِالكراهةِ. وفيه: الترغيبُ فيما عند اللهِ- عزَّ وجَلَّ- في الآخِرةِ. وفيه: إثباتُ صِفةِ الحُبِّ والكُرهِ للهِ عزَّ وجَلَّ على ما يَليقُ به سُبحانَه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقال: (ومما يبين ذلك أن الله- تعالى- عاب قوماً بحب الحياة) فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (يونس، آية: 7) ([84]).

وقال الخطابي: (معنى محبة العبد للقاء الله: إيثاره الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهية بضد ذلك).

وقال الإمام النووي- رحمه الله-: (معنى الحديث: أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعاً هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه).

---

[84] . **تفسير السعدي:** يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤملون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾بدلا عن الآخرة.

﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها، فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود. **تفسير السعدي: ثوله تعالى:**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (سورة يونس، آية: 7).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

المداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين.

ظاهرة الفتور والانحطاط بعد الجد في العبادة والنشاط ظاهرة يصاب بها كثير من المسلمين في كثير من الأحيان، لاسيما بعد مواسم الخيرات كشهر رمضان.

ومن هنا تظهر أهمية (المداومة على العمل الصالح)؛ فهو شعار المؤمنين وديدن المخلصين، ولنا من سلف الأمة الذين ضربوا أروع الأمثلة في المداومة على الأعمال الصالحة خير قدوة وأسوة.

من أعظم ثمار المداومة على العمل الصالح، أنها سبب لحُسْنُ الخَاتِمَةِ والفوز بالجنة، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة.

كيف ذلك؟! يقول الحافظ ابن كثير: (**لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه؛ فإن عشت على طاعة، وعلى عمل صالح، اقتضى- عدل الله أن يتوفاك على ذات الطاعة، ونفس العمل الصالح)** ([85]).

[85] . محمد حسان، كتاب دروس للشيخ محمد حسان، موقع المكتبة الشاملة، تاريخ الاطلاع: 4-3-2025م، متاح على رابط: (https://shamela.ws/book).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فإن مت على هذه الطاعة بعثت على ذات الطاعة؛ **روي مسلم من حديث جابر- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ علَى ما ماتَ عليه)** ([86]).

---

[86] . الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2878، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2878) بلفظه.

روي أحمد من حديث جابر- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُبْعَثُ كلُّ عبدٍ في القبرِ على ما ماتَ، المؤمنُ على إيمانِهِ، والمُنافِقُ على نِفَاقِهِ) (أخرجه أحمد (14722) واللفظ له، وأخرجه مسلم (2878) مختصراً باختلاف يسير).

شرح الحديث.

حُسْنُ الخَاتِمَةِ مِن تَوفيقِ اللهِ- سُبحانَه وتَعالَى- لِلعَبدِ، وهي ثَمَرةٌ لِجِهادِ الظَّاهِرِ والباطِنِ في طاعةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وسُوءُ الخاتِمةِ مِن خِذلانِ اللهِ لِلعَبدِ، وهي ثَمَرةُ التَّفريطِ في طاعةِ اللهِ، وتَرْكِ إخضاعِ القُلوبِ والجَوارِحِ له سُبحانَه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه يُبعثُ كلُّ عبدٍ مِن ذكرٍ أو أُنثى على ما ماتَ عَليه، مِن خيرٍ أو شرٍّ، مِن اعتقادٍ وعَملٍ فيُجازِيه اللهُ عليه، ويُراعَى في ذلك حالُ قَلْبِه لا حالُ شَخْصِه؛ فمِن صِفاتِ القُلوبِ تُصاغُ الصُّوَرُ في الدَّارِ الآخِرةِ، ولا يَنْجو فيها إلَّا مَن أتَى اللهَ بقَلْبٍ سَليمٍ؛ فعلى الإنسانِ أنْ يَجتَهِدَ في فِعْلِ الأعْمالِ الصَّالِحةِ؛ لأجْلِ أنْ يَبعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ على عَمَلٍ صالِحٍ، وعليه أنْ يَتَمسَّكَ بالإسلامِ في حَياتِه؛ لِيَموتَ عليه.

كما قال تَعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، أي: اتَّقوا اللهَ بفِعلِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيهِ، وحافِظوا على الإسلامِ في حالِ صِحَّتِكم وسَلامَتِكم؛ لِتَموتوا عليه؛ فإنَّ الكَريمَ قدْ أجْرى سُنَّتَه بكَرَمِه أنَّه مَن عاشَ على شَيءٍ ماتَ عليه، ومَن ماتَ على شَيءٍ بُعِثَ عليه.

فمَن مات على الصَّلاةِ بُعِثَ على الصَّلاةِ، ومَن مات على الحجِّ بُعِثَ على الحجِّ، ومَن مات على الجِهادِ بُعِثَ على الجِهادِ، ومَن مات على الفِسقِ والفُجورِ والعِصيانِ بُعِثَ عليها، وهَذا عامٌّ في كلِّ صورةٍ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى الترمذي وأحمد، عن عمرو بن الحمق- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ بعبدٍ خيرًا عسَّلهُ، وهل تَدْرونَ ما عسَّلهُ؟ قالوا: اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُهُ أعلمُ، قال: يفتَحُ اللهُ- عزَّ وجلَّ- له عملًا صالحًا بيْنَ يَدَيْ موْتِهِ حتَّى يَرضى عنه جيرانُهُ، أو مَن حوْلَهُ)(87).

وَمعنًى؛ فعَلَى كلِّ إنسانٍ أنْ يَحرِصَ على أنْ يَموتَ على خَيرِ الأحوالِ، وفي هذا حثٌّ على دَوامِ عَملِ الصَّالحاتِ والخيراتِ؛ فإنَّه لا يَدْري أحدٌ متَى يموتُ.

87 . الراوي: عمرو بن الحمق، المحدث: شعيب الأرناؤوط، المصدر: تخريج مشكل الآثار، الصفحة أو الرقم: 2641، التخريج: أخرجه ابن حبان (342)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (3298)، والحاكم (1258) باختلاف يسير، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

حُسْنُ الخَاتِمَةِ مِن تَوْفيقِ اللهِ- سُبحانَه وتَعالى- للعَبدِ، وإلهامُ العَبدِ أنْ يَعمَلَ صالِحًا قبلَ مَوْتِه مِنَ البَشائرِ له، ومِن إرادةِ اللهِ الخَيرَ به. **وفي هذا الحَديثِ أنَّ النبيَّ** ﷺ قال: "**إذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ بعبدٍ خَيرًا**"، وإرادةُ اللهِ الخَيرَ لعَبدِه إنَّما تَكونُ بنَجاحِه وتَوْفيقِه له في الآخِرةِ فيُدخِلُه الجَنَّةَ، "**عَسَلَه**" من عَسَلِ الطعامِ.

"**وهل تَدْرونَ ما عَسَلَه؟** قالوا: اللهُ- عزَّ وجلَّ- ورسولُه أعلَمُ، قال: "**يَفتَحُ اللهُ عزَّ وجلَّ له عمَلًا صالِحًا بينَ يَدَيْ مَوْتِه**" يَجعَلُه يَقومُ بعمَلٍ صالحٍ قبلَ مَوْتِه، ويَقبِضُ رُوحَه، وهو يُقيمُ هذا العمَلَ، أو عَقِبَ فِعْلِه له، كأنْ يُوفِّقَه للصَّلاةِ، أوِ الصِّيامِ، ويَقبِضَه على تلك الحالِ ونحوِ ذلك مِنَ الأعمالِ الصالحةِ.

فعندَ مُسلمٍ: "**يُبعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه**"، قال ﷺ: "**حتى يَرْضى عنه جِيرانُه، أو مَن حَوْلَه**" من أهلِه وجيرانِه ومَعارِفِه، فيُبْرِئُونَ ذِمَّتَه، ويُثْنونَ عليه خَيرًا، فيَتقبَّلُ اللهُ شَهادَتَهم وتَزْكيَتَهم فيه، فشَبَّهَ ما رزَقَه اللهُ منَ العمَلِ الصالِحِ بالعَسَلِ الذي هو الطعامُ الصالحُ الذي يَحْلو به كلُّ شيءٍ، ويُصلِحُ كلَّ ما خالَطَه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

اللهم اســـتعملنا لطاعتك يا رب العالمين! هذا هو الاســـتعمال: إذا وفقت للعمل الصالح وداومت عليه، قبضت على هذا العمل الصالح وعلى نفس الطاعة، وبعثت على نفس الطاعة.

روى البخاري ومسـلم، عن سـهل بن سـعد السـاعدي- رضي الله عنه-، قال رسول الله ﷺ: (وإنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ) [88].

ويقول الله جل وعلا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِـــلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَـــاءُ﴾ (إبراهيم، آية: 27).

وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِـــنِينَ﴾ (العنكبوت، آية:69)، اللهم اجعلنا من المحســـنين يا رب العالمين! ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾، يا من جاهدت نفسك!.

---

88 . أخرجه البخاري (6493) مطولاً باختلاف يسـير، ومسـلم (112) باختلاف يسـير ودون قوله: "وإنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ " ونص الحديث: (إنَّ العبدَ ليعمَلُ فيما بينَ الناسِ -وقال ابنُ عبدِ الباقي: فيما يَبْدو للناسِ- بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ، وإنَّه لمِن أهلِ النارِ، وإنَّ العبدَ ليعمَلُ فيما بينَ الناسِ بعمَلِ أهلِ النارِ، وإنَّه لمِن أهلِ الجنَّةِ، وإنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ).

وفي رواية مسـلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسـول الله ﷺ: (إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ له عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ له عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ) (الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسـلم، المصـدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2651، خلاصة حكم المحدث:[صحيح] التخريج: من أفراد مسلم على البخاري).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

يا من صـــبّرت نفســـك على طريق الطاعة وصـــبرت نفســـك عن المعصـــية! اعلم أن موعود الله أن يهديك الســـبيل، وأن يثبتك ويســـددك على الطريق، وأن يكون معك؛ لأنك حينئذٍ ستكون مع المحسنين.

والمحسـن: هو الذي يعبد الله كأنه يراه، وهو يعلم يقيناً أنه إن لم يرَ الله فإن الله- جل وعلا- يراه، **روى البخاري ومسـلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال رســـول الله ﷺ: (ما الإحْسَـــانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)** (89).

---

89 . الراوي: أبو هريرة: المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم:50، خلاصة حكم المحدث صحيح، التخريج أخرجه البخاري (50) واللفظ له، ومسلم(9) .

ونص الحديث كاملاً: (كانَ النبيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأتَاهُ جِبْرِيلُ فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: الإيمَانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، وبِلِقَائِهِ، ورُسُـــلِهِ وتُؤْمِنَ بالبَعْثِ، قالَ: ما الإسْـــلَامُ؟ قالَ: الإسْلَامُ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، ولَا تُشْرِكَ به شيئًا، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ.

قالَ: ما الإحْسَـانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ ، قالَ: مَتَى السَّـاعَةُ؟ قالَ: ما المَسْؤولُ عَنْهَا بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وسَأُخْبِرُكَ عن أشْرَاطِهَا: إذَا ولَدَتِ الأمَةُ رَبَّهَا، وإذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإبِلِ البُهْمُ في البُنْيَانِ، في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلَا النبيُّ ﷺ: ﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّـــاعَةِ﴾ [لقمان، آية: 34)، ثُمَّ أدْبَرَ فَقالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شيئًا، فَقالَ: هذا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ..

يَشـــتمِلُ هذا الحَديثُ الجليلُ على شَرحِ وَظائفِ العِباداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ؛ مِن عُقودِ الإيمانِ، وأعمالِ الجوارحِ، وإخلاصِ السَّرائرِ، والتَّحفُّظِ مِن آفاتِ الأعمالِ؛ فقد اشـتَمَلَ على أُصـولِ الدِّينِ ومُهمَّاتِه وقَواعِدِه.

حيثُ يَرْوي أبو هُريرةَ- رَضِيَ اللهُ عنه- أنَّ الرَّسـولَ ﷺ قد بيَّن معنى الإيمانِ والإسـلامِ والإحسـانِ، عندَما أتاهُ جِبريلُ عليه السَّـلامُ على صُـورةِ رجُلٍ وسـأَلَه، وكان رسـولُ اللهِ ﷺ بارزًا للنَّاسِ، أي: ظاهرًا لهم، جالسًا معهم، فجاءه أمينُ الوحيِ جِبريلُ- عليه السَّلامُ- يَسأَلُ عنِ الإيمانِ ليُعلِّمَ الناسَ دِينَهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وهو التَّصديقُ والإقرارُ بوُجودِه، وأنَّه تعالى مَوصوفٌ بصِفاتِ الجَلالِ والكمالِ، وأنَّه تعالى مُنزَّهٌ عن صِفاتِ النَّقصِ، وأنَّه واحدٌ حَقٌّ، صَمَدٌ فردٌ، خالقٌ جَميعَ المخلوقاتِ، يَفعَلُ في مُلكِه ما يُريدُ، ويَحكُمُ في خَلقِه ما يَشاءُ، وأنَّه المستحقُّ وحْدَه لكلِّ أنواعِ العِبادةِ دون ما سِواه.

وأنْ تُؤمِنَ بالملائكةِ؛ وذلك بالتَصديقِ بجَميعِ مَلائكةِ اللهِ تعالَى؛ فمَن ثبَت تَعيينُه منهم -كجِبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ- وجَبَ الإيمانُ به تَفصيلًا، ومَن لم يَثبُتْ آمنَّا به إجمالًا.وأنْ تُؤمِنَ بالكتُبِ؛ هو التَّصديقُ بأنَّ جميعَ الكُتُبِ المنزلةِ على الأنبياءِ والرُّسلِ كالتوارةِ والإنجيلِ والقُرآنِ، هي كَلامُ اللهِ، ومِن عندِه، وأنَّ ما تَضمَّنَتْه -ممَّا لم يُحرَّفْ- حَقٌّ، وأنَّ اللهَ أنزَلَ القرآنَ حاكِمًا على هذه الكتُبِ، ومُصدِّقًا لها، وأنَّه محفوظٌ مِن التحريفِ.

وأنْ تُؤمِنَ بلِقاءِ اللهِ، ومعناهُ التصديقُ والإقرارُ بوُقوفِ العِبادِ بيْن يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ للمُحاسَبةِ على أعْمالِهم، والجزاءِ بها.وأنْ تُؤمِنَ برُسلِ اللهِ؛ وهو التصديقُ والإقرارُ بجميعِ رُسُلِ اللهِ، وأنَّهم صادِقون فيما أخبَروا به عن اللهِ تعالَى، وأنَّ اللهَ- تعالى- أيَّدَهم بالمُعجزاتِ الدَّالَّةِ على صِدقِهم، وأنَّهم بلَّغوا عن اللهِ رِسالتَه، وبيَّنوا للعِبادِ ما أمَرَهم ببَيانِه، وأنَّه يَجِبُ احترامُهم، وألَّا نُفرِّقَ بيْن أحدٍ منهم، والإيمانُ بأنَّ خاتمَهم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ وأنَّه يجبُ على كلِّ العالَمينَ الإيمانُ به واتباعُه.

وأنْ تُؤمِنَ بالبَعثِ؛ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن في القُبورِ، ويُحيي الموتَى.ثمَّ سَألَه جِبريلُ عليه السَّلامُ عن الإسلامِ، فأجابَهُ: أنْ تَعبُدَ اللهَ، ولا تُشرِكَ به شيئًا، فتُطيعَه مع الخُضوعِ والتذلُّلِ والحُبِّ.وتُقيمَ الصَّلاةِ، وإقامةُ الصَّلاةِ يكون بالمُحافظةِ على أداءِ الصَّلواتِ الخَمْسِ في أوقاتِها، بشُروطِها وأركانِها وواجباتِها.

وتُؤتِيَ الزَّكاةَ، وهو إخراجُ الزَّكاةِ المفروضةِ، وصَرْفُها لمُستحقِّيها، وهي عِبادةٌ ماليَّةٌ واجِبةٌ في كُلِّ مالٍ بلَغَ المِقدارَ والحدَّ الشرعيَّ، وحالَ عليه الحَوْلُ- وهو العامُ القمَريُّ أو الهِجريُّ- فيُخرَجُ منه رُبُعُ العُشرِ، وأيضًا يَدخُلُ فيها زَكاةُ الأنعامِ والماشيةِ، وزَكاةُ الزُّروعِ والثِّمارِ، وعُروضِ التِّجارةِ، بحَسَبِ أنْصابِها، ووقتِ تَزكيتِها. وفي إيتاءِ الزَّكاةِ على وَجهِها لِمُستحِقِّيها زِيادةُ بَرَكةٍ في المالِ، وجَزيلُ الثَّوابِ في الآخرةِ. وللبُخلِ بها ومَنعِها مِن مُستحقِّيها عواقبُ وخيمةٌ في الدُّنيا والآخِرةِ.وأنْ تَصومَ رَمَضانَ، والصِّيامُ الإمساكُ بنيَّةِ التَّعبُّدِ عن الأكلِ والشُّربِ، وسائرِ المُفطِراتِ، وغِشيانِ النِّساءِ، مِن طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشَّمسِ.

ثمَّ سألَه عن الإحسانِ، فأجابَه النبيُّ ﷺ: أنْ تَعبُدَ اللهَ عِبادةَ مَن يَرى اللهَ- تعالى-، ويَراهُ اللهُ تعالى؛ فإنَّك لا تَستبقي شَيئًا مِن الخُضوعِ والخشوعِ والإخلاصِ، وحِفظِ القلبِ والجوارحِ، ومُراعاةِ الآدابِ الظَّاهرةِ والباطنةِ ما دُمْتَ في عِبادتِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ونهايةُ مَقامِ الإحسانِ: أنْ يَعبُدَ المؤمنُ ربَّه كأنَّه يَراه بقلْبِه، فيكونَ مُستحضِرًا ببَصيرتِه وفِكرتِه لهذا المَقامِ، فإنْ عجَزَ عنه وشــقَّ عليه انتقَلَ إلى مَقامٍ آخَرَ؛ وهو أنْ يَعبُدَ اللهَ على أنَّ اللهَ يَراهُ ويطَّلِعُ على سِرِّه وعَلانيتِه، ولا يَخفى عليه شَيءٌ مِن أمرِه. ثمَّ قال جِبريلُ- عليه السَّــلامُ-: «**أخبِرْني عن السَّــاعةِ**»، فقال: «**ما المسؤولُ عنها بأعلَمَ مِن السَّائلِ**»، أي: إنَّ الخَلْقَ كلَّهم في العِلمِ بوَقتِ السَّاعةِ سواءٌ، وكلُّهم غيرُ عالِمينَ به على الحقيقةِ.

وفي هذا إشــارةٌ إلى أنَّ اللهَ- تعالَى- وحْدَه اســتأثَرَ بعِلمِها؛ ولهذا قال: «**في خَمسٍ لا يَعلَمُهنَّ إلَّا اللهُ**»، ثمَّ تلا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان: 34] ، وهذه مَفاتيحُ الغيبِ الَّتي لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ.

ثمَّ قال: «**وسأُخبِرُك عن أشراطِها**»، فلمَّا كان العِلمُ بوقتِ السَّاعةِ المسؤولِ عنه غيرَ مُمكِنٍ، انتقَلَ منه إلى ذِكرِ أشراطِها، وهي عَلامتُها الدَّالَّةُ على اقترابِها؛ فأوَّلُ عَلامةٍ هي أنْ «**تَلِدَ الأَمَةُ ربَّها**»، أي: أنْ تَكثُرَ الفتوحُ في بِلادِ الكفَّارِ، وجلْبُ الرَّقيقِ، حتَّى تُجلَبَ المرأةُ مِن بَلدِ الكفرِ صَــغيرةً، فتُعتَقَ في بَلدِ الإســلامِ، ثمَّ تُجلَبَ أُمُّها بعدَها، فتَشــتريها البنتُ وتَســتخدِمُها جاهلةً بكَونِها أُمَّها، وقدْ وقَعَ ذلك في الإسـلامِ، **وقيل:** إنَّ الإماءَ تَلِدْنَ الملوكَ، فتكونُ أُمُّه مِن جُملةِ رَعيَّتِه، وهو سيِّدَها وسَيِّدَ غيرِها مِن رَعيَّتِه، ووَليَّ أُمورِهم.

وقيل: المرادُ أنْ يَكثُرَ العُقوقُ مِن الأولادِ حتَّى يُعامِلَ الولدُ أُمَّه مُعاملةَ أَمَتِه بالسَّــبِّ والإهانةِ. **والعلامةُ الثَّانيةُ:** أنْ يَتطاولَ رُعاةُ الإبلِ البُهْمُ في البُنيانِ، والبُهمُ المرادُ بهم الرُّعاةُ المَجهولون الَّذين لا يُعرَفون، وقيل: الَّذين لا شَيءَ لهم، وتَطاوُلُهم في البُنيانِ، أي: يكونون أغنياءَ ومُلوكًا على النَّاسِ.والمذكورُ في هذا الحَديثِ علامتانِ فقط مِن عَلاماتِ الساعةِ الصُّغرَى، وهي كثيرةٌ، وقدْ ظهَر منها الكثيرُ.

ثُمَّ بعدَ أنْ أجابَ النبيُّ ﷺ عن هذه الأســئلةِ انصَرَفَ الســائلُ، فأمَرَ النبيُّ ﷺ أصــحابَه أنْ يُعِيدوا الســائلَ عليه مرَّةً أُخرى، فلَمْ يَرَوْا شَــيئًا؛ لا عَينَه ولا أثَرَه، وقيل: لعلَّ قولَه: «**ردُّوه عليَّ**» إيقاظٌ للصَّــحابةِ؛ ليَتفطَّنوا إلى أنَّه مَلَكٌ لا بشَرٌ، ولذلك قالَ لهم: «**هذا جِبْرِيلُ جاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُم**»، أي: قَواعدَ دِينِهم، وأســنَدَ التَّعليمَ إليه وإنْ كان سـائلًا؛ لأنَّه لمَّا كان السَّــببَ فيه أســنَدَه إليه، أو أنَّه كان مِن غَرَضِــه، أو أرادَ أنْ تَعلَّموا إذا لم تَسألوا. وقيل: يَحتمِلُ أنَّ في سُؤالِ جِبريلَ للنبيِّ ﷺ في حُضورِ الصَّحابةِ أنَّه يُريدُ أنْ يُرِيَهم أنَّه ﷺ مَليءٌ مِن العلومِ، وأنَّ عِلمَه مَأخوذٌ مِن الوحْيِ، فتَزيدُ رَغبتُهم ونَشاطُهُم فيه.

وفي الحديثِ: دَلالةٌ على أنَّ الإسلامَ والإيمانَ إذا قُرِنَ بيْنهما كان لكلٍّ منهما معنًى، فإذا أُفرِد أحدُهما دخَلَ فيه ما يَدخُلُ في الآخَرِ. **وفيه أيضًا:** دَلالةٌ على تَشكُّلِ الملائكةِ في صُوَرِ بني آدَمَ؛ كقولِه تعالى: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ [مريم: 17]، **وفيه:** بَيانُ عِظَمِ الإخلاصِ والمُراقَبةِ. **وفيه:** أنَّ العالِمَ إذا سُئِلَ عمَّا لا يَعلَمُه يقولُ: لا أدْري، ولا يَنقُصُ ذلك مِن جَلالتِه، بلْ يدُلُّ على وَرَعِه وتَقواهُ ووُفورِ عِلمِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

علامات حسن الخاتمة.

إن للخاتمة الحسـنة أمارات وعلامات تظهر على الميت حين موته، وحسـن الخاتمة؛ هو أن يُوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضـب الرب سـبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

إن الشـارع الحكيم قد جعل علامات بينات يسـتدل بها على حسـن الخاتمة- كتبها الله لنا ولكم بفضـله ومَنه- فأيما امرئٍ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة! ([90]).

أما عن علامات حُسْـنُ الخَاتِمَةِ، فهي كثيرة، وقد تتبعها العلماء رحمهم الله باسـتقراء النصـوص الواردة في ذلك النطق بالشـهادة عند الموت، والموت برشـح الجبين، والموت ليلة الجمعة أو نهارها، والموت غازياً في سبيل الله، والموت بالطاعون، والموت بداء البطن.

والموت بسبب الهدم والغرق، وموت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو وهي حامل به، والموت بالحرق وذات الجنب والسل، والموت دفاعاً عن

---

[90] . الشيخ محمد جميل زينو، علامات حسن الخاتمة، موقع الألوكة الشرعية، تاريخ الإضافة: 2023/9/10 م 1445/2/25هـ، تاريخ 3-4-2025، متاح على رابط: (https://www.alukah.net).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الدين أو المال أو النفس، والموت رباطاً في ســـبيل الله، والموت على عمل صالح، **وهي بالتفصيل كما يلي** [91]:-

1. النطق بالشهادة عند الموت.

ودليله ما رواه **أبو داوود وأحمد، عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دَخلَ الجنَّةَ)** [92].

وأخرجه الإمام أحمد في مســـنده، قَالَ: رَأَى عُمَرُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ثَقِيلاً، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا فُلاَنٍ؟ لَعَلَّكَ سَـــاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ يَا أَبَا فُلاَنٍ، قَالَ: لاَ، إِلاَّ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا مَا منعني أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلاَّ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ، حَتَّى مَاتَ سَـــمِعْتُهُ يَقُولُ: (إِنِي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لاَ يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلاَّ أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: إِنِي لأَعْلَمُ مَا هِي، قَالَ: وَمَا هِي، قَالَ: تَعْلَمُ كَلِمَةً أَعْظَمَ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) قَالَ: طَلْحَةُ صَدَقْتَ، هِي وَاللَّهِ هِي) [93].

---

[91] . خالد بن عبدالرحمن الشـايع، علامات و أسـباب حُسْـنُ الخَاتِمَةِو سـوء الخاتمة، موقع صـيد الفوائد، تاريخ الاطلاع: 4-2-2025، متاح على رابط: (https://saaid.org).

[92] . الراوي: معاذ بن جبل، المحدث الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 3116، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه أبو داود (3116) واللفظ له، وأحمد (22034).

[93] . أخرجه الإمام أحمد (رقم 1384) وإسـناده صـحيح، وابن حبان (2) بنحوه، والحاكم (1/ 350، 351) والزيادة له، وقال "صحيح على شرطهما" ووافقه الذهبي.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

2. الموت برشح الجبين.

ومن علامات حسن الخاتمة: رشح الجبين، فإنه يرشح جبينه، وتكون على المؤمن الصالح البر التقي علامات الطمأنينة وعلامات الاستبشار، حتى أن بعضهم يموت وهو مبتسم؛ مما يرى عند الله- عز وجل- من البشائر الحسنة، فتجد ثغره باسماً يتهلل.

ورشح الجبين؛ أي: أن يكون على جبينه عرق عند الموت، رشح الجبين عند الموت، أي أن يعرق جبين المؤمن عند احتضاره، يُعد علامة من علامات حسن الخاتمة في الإسلام.

لما رواه النسائي، عن بريدة بن الحصيب الأسلمي- رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: (موتُ المؤمنِ عرَقُ الجَبينِ إنَّ المؤمنَ تَبقى خَطايا مِن خَطاياه يُجازى بها عندَ الموتِ فيعرقُ مِن ذلك جبينُه) [94].

---

[94] . الراوي: علقمة بن قيس، المحدث: البوصيري، المصدر: إتحاف الخيرة المهرة، الصفحة أو الرقم: 431/2، خلاصة حكم المحدث: موقوف بسند صحيح، وفي رواية النسائي، عن **بريدة بن الحصيب الأسلمي- رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ** قال: (**المؤمنَ يموتُ بعَرَقِ الجبينِ**) [الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 982، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (982)، والنسائي (1829)، وابن ماجه (1452)، وأحمد (23097)].

شرح الحديث.

شدَّةُ الموتِ وسكراتِه ليستْ بالضَّرورةِ دليلًا على العذابِ أو سوءِ الخاتمةِ؛ يُوضِّحُ هذا ما في الحديثِ، حيثُ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**المؤمنُ يموتُ بعرَقِ الجَبينِ**"، قيل: هو عِبارةٌ عن شدَّةِ الموتِ حتَّى يَعرَقَ جَبينُه لِتَمحيصِ ذُنوبِه، أو لزِيادةِ درَجتِه، وقيل: هو علامةُ الخيرِ عندَ الموتِ، وقيل: هو كنايةٌ عن كَدِّ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

3. الموت ليلة الجمعة أو نهارها[95].

مستشهداً في ذلك بما رواه مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه-،

المؤمنِ في طلَبِ الحلالِ وتَضييقِه على نفسِه بالصَّومِ والصَّلاةِ حتَّى يَلْقى اللهَ تعالى، وقيل: يَعرَقُ جَبينُه حياءً بما جاءه مِن البُشْرى به عندَ موتِه، والجبينُ: الجبهةُ ومُقدَّمُ الرَّأسِ.

وقد روَى أحمدُ وابنُ ماجه والترمذيُّ وغيرُهم عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْه-، قال: "سُئل النَّبيُّ ﷺ: أيُّ النَّاسِ أشدُّ بَلاءً؟ قال: الأنبياءُ ثمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ، يُبتَلى الرَّجلُ على حسَبِ دينِه، فإنْ كان صُلبًا في دينِه اشتدَّ بَلاؤُه، وإن كان في دينِه رِقَّةٌ هُوِّن عليه".

[95] . هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي في جامعه (ج3- ح 1074) والإمام أحمد في مسنده (ح 6590) وعبد الرزاق في المصنف (ج3ح 5596) جميعهم من طريق هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- به، وهذا الحديث ضعيف، ولهذا قال الترمذي: هذا حديث غريب، وأتبع ذلك بقوله [وهذا حديث ليس بمتصل]، ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو.

وقد تابع سعيد بن أبي هلال ابن جريج، كما عند عبد الرزاق في مصنفه، ولكن لا يفرح بهذه المتابعة إذ أن الحديث كما سبق سنده منقطع ولا يصح، وقد جاء هذا الحديث من طريق آخر كما عند الإمام أحمد (ح 6654 و ح 7067) من طريق سريج، قال: حدثنا بقية عن معاوية بن سعيد عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بلفظ "**من مات يوم أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر**" وهذا إسناد لا يصح، وذلك لتدليس بقية حيث لم يصرح بالسماع، وأيضاً لحال معاوية بن سعيد إذ أنه لا يقبل حديثه عند التفرد، وكذلك حيي بن هاني أبو قبيل موصوف بالوهم.

وجاء بهذا اللفظ عند عبد الرزاق (ج3- ح 5595) من طريق ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب، وهذا إسناد لا يصح وذلك للجهالة في الواسطة بين ابن جريج وابن شهاب، وكذلك الإرسال، وكذلك بمثله أخرجه عبد الرزاق المصدر السابق، ولكن فيه جهالة فلا يصح.

وجاء هذا الحديث من رواية أنس بن مالك- رضي الله عنه- أخرجها أبو يعلى في مسنده (ج 4 - ح 4099) من طريق أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن جعفر عن واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي عن أنس- رضي الله عنه- بلفظ: "**من مات يوم الجمعة وقي عذاب القبر**" وإسناده ضعيف لحال يزيد بن أبان الرقاشي، إذ أنه ضعيف الحديث، وبهذا يتبين لنا أنه لا يثبت في فضل من مات يوم الجمعة حديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) (96)، ولا يعني ذلك أن كل من مات يوم الجمعة ينجو، ولكن هذه أيضًا من البشريات.

---

96 . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 854، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري.

شرح الحديث.

مِن حِكمةِ اللهِ- تعالَى- أنْ فَضَّلَ بعضَ مَخلوقاتِه على بعضٍ، ومِن ذلك تَفضيلُ بعضِ الأيَّامِ على بَعضٍ، مِثلُ تَفضيلِ يومِ عَرَفةَ، ولَيْلةِ القدْرِ، ويوْمِ الجُمعةِ، ولكلِّ وَقتٍ منهم فضْلُه المختلِفُ عن غيرِه.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ خَيرَ يَومٍ مِن أيَّامِ الأُسبوعِ طَلَعَتْ عليه الشَّمسُ، هو يَومُ الجُمعَةِ؛ ومِن خَصائصِ ذلك اليومِ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ فيه أبا البَشرِ آدَمَ- عليه السلامُ-، وفيه أَسْكَنه اللهُ عزَّ وجلَّ الجَنَّةَ، وَفيهِ أُخرِجَ آدَمُ وزَوجتُه مِنَ الجنَّةِ وهَبَطَ إلَى الأَرضِ لِلخِلافةِ فيها، وخُروجُه منها هو خُروجُ العائدِ لها؛ لأنَّ الجَنَّةَ هي في الأصلِ مَسكنُه؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قال: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، ويومُ خُروجِه عليه السَّلامُ مِن الجَنَّةِ هو يومُ خِلافتِه في الأرضِ ونُزولِه لها.

ولا تَقومُ السَّاعةُ- أي: يَومُ القِيامةِ- إلَّا في يَومِ الجُمعةِ بيْنَ الصُّبحِ وَطُلوعِ الشَّمسِ. وذِكرُ هذه الأَحْداثِ العِظامِ وهذِه القضايا المَعدودةِ الَّتي وقَعَتْ في يَومِ الجُمُعةِ؛ قيل: لَيْستْ لذِكرِ فَضيلتِه؛ لأنَّ ما وقَعَ فيه مِن إخراجِ آدَمَ وقِيامِ السَّاعةِ لا يُعَدُّ مِن الفَضائِلِ، وإنَّما هو تَعظيمٌ لِمَا وقَعَ فيه وما حدَثَ فيه كبِدايةٍ للخَلقِ ونِهايةٍ له.

وقيل: بلْ هي مِن الفَضائِلِ؛ لأنَّ خُروجَ آدَمَ مِن الجَنَّةِ هو سَببُ الذُّريَّةِ وهذا النَّسلِ العَظيمِ، ووُجودِ الرُّسلِ والأنبياءِ والأولياءِ، ولأنَّ لأحداثِ السَّاعةِ شأنًا عَظيمًا؛ فهي سَببٌ لتَعجيلِ اللهِ وعْدَه لأهلِ الإيمانِ، ووَعيدَه لأهلِ الكفرِ، وظُهورِ جَزاءِ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقين والأولياءِ وغيرِهم، وإظهارِ كَرامتِهم وشَرفِهم؛ ففي يومِ القِيامةِ تَرتفِعُ راياتُ المسلمينِ تَصديقًا لإيمانِهم. **وفي الحَديثِ:** فَضيلَةُ يَومِ الجُمعَةِ عَلى سائِرِ الأيَّامِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى الترمذي وأحمد، عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مِن مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلَّا وقاهُ اللَّهُ فِتنةَ القبرِ) (97).

يوم الجمعة هو عيد الأسبوع وأفضل أيام السنة، حيث فيه خُلِق آدم- عليه السلام-، وفيه النفخة والصعقة، وفيه ساعة الاستجابة للدعاء، ويشهد صلاة الجمعة وهي فرض على المسلمين، كما فيه يُكثِر المسلمون من الصلاة على النبي ﷺ.

97. الراوي: عبدالله بن عمرو، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 1074، التخريج: أخرجه الترمذي (1074)، وأحمد (6582) خلاصة حكم المحدث: حسن.

شرح الحديث.

فضَّل اللهُ- سُبحانَه وتعالَى- بعضَ الأيَّامِ على بعضٍ، وخصَّها بفضائلَ دونَ غيرِها، ومِن ذلك يومُ الجُمُعةِ.وفي هذا الحديثِ يُبيِّن النبيُّ ﷺ الفضْلَ الذي يثبُتُ للمُسلِمِ الذي يموتُ صَباحَ يومَ الجُمُعةِ أو ليلتَه، وذلك أنَّ اللهَ تعالَى يَقيهِ "فِتنةَ القبرِ"، أي: يحَفِظُه ويحَجُبُ عنه سُؤالَ الملَكينِ، أو أنواعَ الفِتَنِ التي تكونُ بَعدَ الإقبارِ، مِن ضَغطةِ القَبرِ وظُلمَتِه وعَذابِه، وليس سُؤالَ المَلَكَيْنِ فقط. وقيلَ: فِتنَتُه هي التَّحيُّرُ في إجابةِ أسئِلةِ المَلَكَينِ.

والأصلُ في سُؤالِ المَلَكَينِ أنَّه لتَمييزِ المُسلِمِ مِنَ المُنافِقِ؛ فمَن ثَبَتَ إيمانُه كان مِن نَعيمِه أنْ يَقيَه اللهُ سُؤالَهما، وإنَّما يَقَعُ لِلكافِرِ مع ثُبوتِ كُفرِه؛ لِأنَّ هذا مِن جُملةِ العَذابِ الذي تَوَعَّدَ اللهُ به الكافِرَ في قَبرِه، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أُمَّتَه الاستِعاذةَ مِن فِتنةِ القَبرِ وعَذابِه. وهذه الأحاديثِ لا تُعارِضُ أحاديثَ السُّؤالِ التي تَشمَلُ جَميعَ الأمواتِ المُكَلَّفينَ، مُسلِمَهم وكافِرَهم، بل تَخُصُّها وتُبَيِّنُ مَن لا يُسألُ في قَبرِه ولا يُفتَنُ فيه، مِمَّن يَجري عليه السُّؤالُ ويُقاسي تلك الأهوالَ، وهذا كُلُّه ليس فيه مَدخَلٌ للقِياسِ، ولا مَجَالَ لِلنَّظَرِ فيه، وإنَّما فيه التَّسليمُ والانقِيادُ لِقَولِ الصَّادِقِ المَصدوقِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

4. الموت على عمل صالح.

يوفق الله العبد للعمل الصالح قبل موته، كأن يموت وهو صائم أو أثناء الصلاة أو وهو يقرأ القرآن، مستشهدا في ذلك بما ورد، **روي مسلم من حديث جابر- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ**: (**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**) [98].

ومن علامات حُسْنِ الخَاتِمَةِ الموت على عمل صالح، **روى أحمد والطبراني، عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ**: (**مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ خُتِمَ له بِها دخل الجنةَ، و من صامَ يومًا ابْتغاءَ وجْه اللهِ خُتِمَ له به دخلَ الجنةَ، ومَن تصدَّقَ بصدقةٍ ابْتغاءَ وجْهِ اللهِ خُتِمَ له بِها دخل الجنةَ**) [99].

فأي عمل من الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان ويتوفى عليها فسيدخله الله عز وجل الجنة بسبب ذلك العمل، وسواء كان العمل

---

[98] الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2878، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2878) بلفظه.

[99] . الراوي: حذيفة بن اليمان، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: 985، التخريج: أخرجه أحمد (23324) واللفظ له، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (651)، والحارث في ((مسنده)) (258) بنحوه. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

صـــياماً، أو صـــدقة زكاة أو حجاً أو عمرة، أو إصـــلاحاً بين الناس، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، فكل عمل صـالح يكون الإنسـان فيه ويختم له به فهو من علامات حسن الخاتمة.

5. الثناء على الميت من قبل ذوي الاستقامة والصلاح.

اختص الله- سـبحانه وتعالى- الأمة المحمدية على غيرها مِن الأمم السـابقة ليكونوا شـهداء الله في أرضـه في الحياة الدنيا، وعند البعث بعد الموت يوم القيامة، وهذا ما تواردت عليه النصوص الشرعية.

كما أن الثناءَ على الميت والشـهادةَ له بالخير عند دَفْنِهِ سُـنَّةٌ مسـتَحَبةٌ أقرَّها النبيُّ ﷺ وعَوَّل عليها، ونَصَّ العلماءُ على اسـتحبابها، وأن ذلك يَنفعُ الميتَ ويَشـفَع له، لا سـيما إذا كانوا مِن أهل الفضـل والصـدق، فيغفر الله عَزَّ وَجَلَّ للميت بشهادتهم له ([100]).

---

[100] . شوقي إبراهيم علام، حكم الثناء على الميت أثناء الدفن، دار الافتاء المصرية، تاريخ الفتوى: 22 أكتوبر 2023م، رقم الفتوى: 8040، تـاريخ الاطلاع: 5-3-2025م، متـاح على رابط: (https://www.dar-alifta.org).

السـؤال: ما حكم الشـهادة للميت والثناء عليه عند دفنه؟ فإنه عند حضـوري لدفن أحد الأموات، قام أحدُ المُشَـيِّعِين بعد الانتهاء مِن دفن الميت متوجِّهًا إلى الناس، وسـألهم: ما قولُكم في هذا الرجل؟ وبأيِّ شيءٍ تَشهَدُون له؟ فأَثْنَوْا عليه خيرًا، وشَهِدُوا له بالصلاح وأعمال الخير.

الجواب: بعض من خصائص الأمة المحمدية وبيان فضلها.

خَصَّ اللهُ تعالى الأمةَ المحمديةَ بجملةٍ مِن الخصـائص، وشَرَّفها بمزيدٍ مِن المزايا والفضـائل، فمنها ما انفَرَدَت به عن غيرها مِن الأمم السـابقة، ومنها ما شـارَكَها فيه غيرُها، وتميَّزَت عنهم فيه بالكمال والتمام، ومِن جملة ما اختَصَّ اللهُ به هذه الأمةَ دون غيرها مِن الأمم السـابقة: أنهم شـهداء الله في أرضـه، فقال الله

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وقال سبحانه: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: 78].

والشهادة المخصوصة بها الأمةُ المحمدية: شهادتان: تتحقق الأُولى منهما في الآخرة بشهادة الأمة المحمدية على غيرها مِن الأمم السابقة بتبليغ أنبيائهم لهم، **والأصل في ذلك ما رواه البخاري، عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله** ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»، (وَالوَسَطُ: العَدْلُ) [صحيح البخاري (6/ 21) (4487)، فتح الباري لابن حجر (8/ 172)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (10/ 341)، النهاية في غريب الحديث و الأثر (ص 823، 429)].

وتتحقق الثانية في الحياة الدنيا بشهادة الناس بعضِهم على بعضٍ بالخير أو بالشَّرِّ عند الموت، والأصل في **ذلك ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قَالَ:** (مُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها خيرًا، فقال نبيُّ الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، ومُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قال عمر- رضي الله عنه-: فدى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها خيرٌ، فقلتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ».

ومُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها شَرٌّ، فقلتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ» (أخرجه البخاري (1367) واللفظ له، ومسلم (949)).

وروى الحاكم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَهْلِ أَبْيَاتِ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى وَتَبَارَكَ: قَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكُمْ -أَوْ قَالَ: شَهَادَتَكُمْ-، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أخرجه الأئمة: أحمد في "المسند"، وأبو يعلى في "المعجم"، وابن حبان في "الصحيح"، والحاكم في "المستدرك" وصححه.

وقد سَخَّر اللهُ- سبحانه وتعالى- ملائكةً تَنْطِقُ على أَلْسِنَةِ الخَلْق بما في المَرْءِ مِن خيرٍ أو شَرٍّ، كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك- رضي الله عنه-، أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (أخرجه الإمام الحاكم في "المستدرك" وصححه).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وأحاديث الباب كثيرةٌ، حتى بَوَّب الأئمةُ الحُفَّاظ في كُتُبهم أبوابًا مخصوصة لذلك، فبَوَّب الإمامُ البخاري: (بَاب ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى المَيِّتِ)، وبَوَّب الإمامُ مسلم: (بَاب فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى)، وبَوَّب الإمامُ ابن حبان: باب (ذِكْر مَغْفِرَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا ذُنُوبَ مَنْ شَهِدَ لَهُ جِيرَانُهُ بِالْخَيْرِ وَإِنْ عَلِمَ اللهُ مِنْهُ بِخِلَافِهِ)، وباب (ذِكْر إِيجَابِ الْجَنَّةِ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ النَّاسُ بِالْخَيْرِ إِذْ هُمْ شُهُودُ اللهِ فِي الْأَرْضِ).

حكم الثناء على الميت أثناء الدفن.

الحاصل أنَّ ثناء الناس على الميت بالخير يَشفع له عند ربه، سواء كانت أعمالُهُ الظاهرةُ تقتضي هذا الثناء أو لا؛ لأن فَضْلَ الله أَوْسَعُ مِن أنْ يُحْجَرَ أو يُمْنَعَ عن أحدٍ مِن خَلْقِه، وأنَّ الله- سبحانه وتعالى- يَتفضل على عباده فيأخذ بشهادتهم الظاهرة وبما يَرَوْنَهُ مِن الصلاح على هذا الميت وإن كان يُبْطِنُ خلاف ما يُظهِر، فيغفر اللهُ له بهذه الشهادة.

أخرج الحاكم، عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنه قال: (كنتُ مع ﷺ في جنازةٍ فِينَا في بَنِي سَلِمَةَ، وأنا أَمْشِي إلى جَنْبِ رسول الله ﷺ، فقال رجلٌ: نِعْمَ المرءُ، ما عَلِمْنَا إنْ كان لَعَفِيفًا مُسلِمًا إنْ كان، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ؟»، قال: يا رسول الله، ذَاكَ بَدَا لَنَا، والله أَعْلَمُ بالسَّرَائِرِ. فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ».

قال: وكنا معه في جنازةِ رجلٍ مِن بَنِي حارِثَةَ- أو مِن بَنِي عبد الأَشْهَلِ- فقال رجلٌ: بئس المرءُ، ما عَلِمْنَا إنْ كان لَفَظًّا غَلِيظًا إنْ كان، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ؟»، قال: يا رسول الله، الله أَعْلَمُ بالسَّرَائِرِ، فأما الذي بَدَا لَنَا منه فَذَاكَ، فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثم تَلَا رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.(أخرجه الإمام الحاكم في "المستدرك" وصححه).

قال الإمام النووي في "شرحه على صحيح مسلم" (7/ 19، ط. دار إحياء التراث العربي): [الصحيح المختار أنه على عُمُومه وإطلاقه، وأنَّ كلَّ مسلم مات، فأَلْهَمَ اللهُ تعالى الناسَ أو مُعْظَمَهُمُ الثناءَ عليه، كان ذلك دليلًا على أنه مِن أهل الجنة، سواءٌ كانت أفعالُه تقتضي ذلك أم لا، وإن لم تكن أفعالُه تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة، بل هو في خَطَرِ المشيئة، فإذا أَلْهَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الناسَ الثناءَ عليه، استَدْلَلْنَا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له، وبهذا تَظهَر فائدةُ الثناء، وقولُه ﷺ: «وَجَبَتْ» وَ«أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ»، ولو كان لا يَنفعه ذلك إلا أن تكون أعماله تقتضيه لَم يكن للثناء فائدةٌ، وقد أَثْبَتَ النبيُّ ﷺ له فائدةً]

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

مِن أجل ذلك نَصَّ جماعةٌ مِن الأئمة على اســتحباب الثناء على الميت وذِكْرِهِ بالخير وإظهار ما كان منه مِن المَحَاسِــنِ. قال حُجَّةُ الإســلام الإمامُ الغَزَالِي في "إحياء علوم الدين" (4/ 493، ط. دار المعرفة): [ويُستحب الثناءُ على الميت، وألَّا يُذكَر إلا بالجميل].

وقال الإمام النووي في "الأذكار" (ص: 165، ط. دار الفكر): [ويُســتحب الثناءُ على الميت وذِكْرُ مَحَاسِــنِه]، وقال الحافظ ابن حَجَرٍ العَسْــقَلَانِي في "فتح الباري" (3/ 229، ط. دار المعرفة): [قوله: (باب ثناء الناس على الميت) أي: مشروعيته وجوازه مطلقًا، بخلاف الحي، فإنه منهيٌّ عنه إذا أفضى إلى الإطراء؛ خشيةً عليه مِن الزَّهْو، أشار إلى ذلك الزَّيْنُ بنُ المُنِيرِ].

ومِن ثَمَّ كان مِن المستحب للمسلم أن يَغْتَنِمَ ذلك الفضلَ ويُحْسِنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، فيَسْتَجْلِبَ الرحمةَ والمغفرةَ لأخيه المسلم بالشهادة له بالخير عند موته، وقد جاء في الحديث القدسي أنَّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- قال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَــاءَ**» (أخرجه أحمد (16016)، والدارمي (2731)، وابن حبان (633)، أخرجه مسلم (2675) باختلاف يسير).

قال القاضي عِيَاض في "إكمال المعلم بفوائد مســلم" (8/ 172، ط. دار الوفاء): [وقوله: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» قيل: معناه: بالغُفرانِ له إذا اســتَغْفَرَني، والقبولِ إذا أَنَابَ إِلَيَّ، والإجابةِ إذا دَعَاني، والكفايةِ إذا استَكْفَاني؛ لأنَّ هذه الصفاتِ لا تَظهَر مِن العبد إلا إذا أَحْسَنَ ظَنَّهُ باللهِ وقَوِيَ يَقِينُهُ].

وقال العلامة المُبَارَكْفُورِي في "تحفة الأحوذي" (7/ 53، ط. دار الكتب العلمية): [قَوْلُهُ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» أي: أنا أُعَامِلُهُ على حســب ظَنِّهِ بِي، وأَفْعَلُ به ما يَتَوَقَّعُهُ مني مِن خيرٍ أو شَرٍّ]، ويُســتحب أيضًا إذا انتهى المسلمُ مِن دفن أخيه المسلم أن يَحُثَّ الناسَ على ذِكْرِ ما كان في الميت مِن الخير والصلاح؛ ليكون ذلك شــفاعةً له عند ربه، فتَعُمَّ الرحمةُ بين الخلق جميعًا، فإنَّ الرحيمَ مَن يَرْحَمُ غيرَه لا مَن لا يَرْحَمُ إلا نَفْسَه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا رَحِيمٌ**»، قلنا: كُلُّنا رحيمٌ يا رسول الله، قال: «**لَيْسَتِ الرَّحْمَةُ أَنْ يَرْحَمَ أَحَدُكُمْ خَاصَّتَهُ حَتَّى يَرْحَمَ الْعَامَّةَ، وَيَتَوَجَّعَ لِلْعَامَّةِ**» (أخرجه الأئمة: ابن المبارك في "الزهد"، وعَبدُ بنُ حُمَيْد في "المســند" واللفظ له، مِن حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-، (الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد الصفحة أو الرقم: 190/8، التخريج: أخرجه أبو يعلى (4258) خلاصة حكم المحدث: رجاله وثقوا إلا أن ابن إسحاق مدلس).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قَالَ: (مُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها خيرًا، فقال نبيُّ الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، ومُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها شرًّا، فقال نبيُّ الله ﷺ:«وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قال عمر - رضي الله عنه-: فدى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها خيرٌ، فقلتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ».

ومُرَّ بجنازة، فأُثْنِيَ عليها شَرٌّ، فقلتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ» ([101]).

الخلاصة: بناءً على ذلك وفي واقعة السؤال: فإنَّ الله- سبحانه وتعالى- قد اختص الأمة المحمدية على غيرها مِن الأمم السابقة ليكونوا شهداء الله في أرضه في الحياة الدنيا، وعند البعث بعد الموت يوم القيامة، وهذا ما تواردت عليه النصوص الشرعية.

كما أن الثناءَ على الميت والشهادةَ له بالخير عند دَفْنِهِ سُنَّةٌ مستَحَبةٌ أقرَّها النبيُّ ﷺ وعَوَّل عليها، ونَصَّ العلماءُ على استحبابها، وأن ذلك يَنفعُ الميتَ ويَشفَع له، لا سيما إذا كانوا مِن أهل الفضل والصدق، فيغفر الله عَزَّ وَجَلَّ للميت بشهادتهم الظاهرة له، والله- سبحانه وتعالى- أعلم.

[101] . أخرجه البخاري (1367) واللفظ له، ومسلم (949).

شرح الحديث.

اصطَفَى اللهُ تعالَى هذه الأُمَّةَ بِأنْ أرسلَ إليها خاتَمَ الْمُرسَلِينَ وسيِّدَ النبيِّينَ مُحمَّدًا ﷺ، وجعَلَهم- وخُصوصًا صَحابتَه الكِرامَ- شُهداءَه في الأرضِ، كما جعَلَهم يومَ القِيامةِ شُهداءَ على الناسِ؛ فيَشهَدونَ للأنبياءِ إذا ادَّعتْ أُممُهم أنَّهم لم يَقوموا بِتبليغِ رِسالاتِ رَبِّهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

نعم، يُســـتحب الثناء على الميت بعد موته، خاصـــةً أثناء تشـــييع الجنازة أو عند ذكره، وورد في ذلك أحاديث نبوية تحث على ذكر محاســـن الموتى. يُعتبر هذا الثناء من الأمور التي تنفع الميت عند الله- تعالى-، حيث يُرجى أن يكون سبباً في مغفرة ذنوبه ورفعة درجاته.

ولا يجوز شرعًا ذكر معاصي الميت بعد موته بقصـــد الانتقاص أو الأذى، ومع ذلك، يجوز ذكر ســـيئات الميت عند وجود مصـــلحة راجحة، كتحذير الناس من طريقه أو بدعته، أو إذا كان الميت قد جاهر بفســـقه،

وفي هذا الحَديثِ يَروي أنسُ بنُ مالكٍ- رَضِيَ اللهُ عنه- أنَّه لَمَّا مرَّتْ جِنازةٌ محمولةٌ إلى دفنِها - والجنازةُ اسمٌ للمَيتِ في النعشِ- فأَثْنى عليها الصحابةُ- رِضوانُ الله عليهم- خَيرًا، وذَكَروا المَيتَ بأوْصافٍ حَميدةٍ؛ قال النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» فثَبَتَتْ له الجنَّةُ، ثُمَّ مرَّتْ جنازةٌ أُخرى، فأَثْنَوا عليها شرًّا، يعني وَصَفوها بما فيه ذمٌّ وانتِقاصٌ، وما كان يُشتهَرُ منه بأوْصافٍ وأخْلاقٍ ذَميمةٍ، فقال ﷺ: «وَجَبَتْ» يعني: وَجَبَ له العذابُ أو العُقوبةُ التي يَستَحِقُّها بما شَهِدْتُم عليه، فسَأل عُمرُ بنُ الخطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عنه-: ما وَجبَتْ؟ فقال ﷺ: «هذا أَثْنَيْتُم عليه خَيرًا، فَوجَبتْ له الجنَّةُ، وهذا أَثنَيْتُم عليه شرًّا، فَوجَبَتْ له النَّارُ، أنتم شُهداءُ اللهِ في الأرضِ»، فيُقبَلُ قولُكم في حقِّ مَن تَشهَدونَ له أو عليه.

فجَعَلَ النبيُّ ﷺ شَهادةَ أصْحابِه لأحَدٍ بالجنَّةِ أو النارِ دليلًا على وُجوبِها، ومَعْنى وُجوبِ الجنَّةِ لأحَدٍ ثُبوتُها له؛ إذِ الثُّبوتُ هو في صِحَّةِ الوُقوعِ كالشَّيْءِ الواجِبِ، والأصْلُ أنَّه لا يَجِبُ على اللهِ شَيْءٌ، بل الثَّوابُ فضْلُه، والعِقابُ عَدْلُه، لا يُسْأَلُ عمَّا يَفعَلُ، على أنَّ هذا الثَّناءَ بالخيْرِ أو الشَّرِّ لمن أَثْنَى عليه الناسُ فكان ثَناؤُهم مُطابِقًا لأفْعالِ مَن أَثْنَوْا عليه، فإنْ لم يكُنْ كذلك فليس هو مُرادًا بالحديثِ. وقد قيل: إنَّ المُخاطَبينَ بذلك هُمُ الصَّحابةُ، ومَن كان على صِفَتِهم مِن الإيمانِ؛ لأنَّهم يَنْطِقون بالحِكْمةِ، ويَختَصُّ ذلك بالثِّقاتِ والمتَّقينَ.

وفي الحديثِ: أنَّ المُسلِمينَ إذا شَهِدوا بالخَيرِ للمَيتِ، فقد أَثْبَتوا له الحَقَّ بالجنَّةِ. وفيه: التَّنبيهُ على الإحسانِ إلى النَّاسِ، وإظْهارِ الخيرِ للمُسلِمينَ، وعدَمِ إظْهارِ السُّوءِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وذلك بنية التحذير لا بقصـــد الغيبة أو الأذى، مثلما ذكر القرآن الكريم مساوئ بعض الكفار والفساق للتحذير منهم.

6. الموت غازياً في سبيل الله.

الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله، أو موته غازياً في سبيل الله؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، آية: 169- 171).

ودليل ما تقدم ما رواه مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، قالَ: إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي إذنْ لَقَلِيلٌ، قالوا: فمَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في الطَّاعُونِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في البَطْنِ فَهو شَهِيدٌ)[102].

[102] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1915، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1915).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قالَ ابنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أبِيكَ في هذا الحَديثِ أنَّه قالَ: (والْغَرِيقُ شَهِيدٌ)، وفي روايةٍ: قالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أخِيكَ أنَّه زادَ في هذا الحَديثِ: (ومَن غَرِقَ فَهو شَهِيدٌ)([103]).

---

[103] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1915، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1915).

شرح الحديث.

الشَّـــهادةُ في سَـــبيلِ اللهِ- تعالَى- مَنزِلةٌ عظيمةٌ، ومَرتَبةٌ جليلةٌ، أَجْرُهَا عظيمٌ، وثوابُها كبيرٌ، وأنواعُ الشَّهادةِ كَثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ؛ أَشْرَفُهَا القَتْلُ في سبيلِ اللهِ تعالى.

وفي هذا الحديثِ يَســألُ النَّبيُّ ﷺ الصَّـــحابةَ- رَضِيَ اللهُ عنهم- معلِّمًا لهم، فيقولُ: «**ما تَعدُّونَ الشَّـهيدَ فيكُم؟**»، أي: مَن تَظنُّون أنَّه شهيدٌ وتَحتسِبونه عندَ اللهِ مِنَ الشُّـهداءِ؟ فقال الصَّحابةُ- رَضِيَ اللهُ عنهم-: «**يا رسـولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ في سـبيلِ اللهِ فَهوَ شَـهيدٌ**»، أي: إنَّ الشَّـهيدَ عِندنا- يا رسـولَ اللهِ- هو مَنْ يُقتَلُ في أرضِ المعركةِ وهو يُحارِبُ في سبيلِ اللهِ.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ شُـــهَداءَ أمَّتي إذنْ لقليلٌ**»، أي: لو كان الشَّـــهيدُ فقط هو مَنْ يَموتُ في أرضِ المعارِكِ وهو يُحارِبُ في سـبيلِ اللهِ، فشـهداءُ المسـلِمين إذنْ لقليلٌ، فسَـأَلَه الصَّـحابةُ- رَضِيَ اللهُ عنهم-: «**فمَنْ هُمْ يا رسولَ اللهِ؟**» أي: فَمَنْ هُمُ الَّذين يُعَدُّونَ شُهداءَ غَيْرَ مَنْ يُقتَلُ في سبيلِ اللهِ؟

فقال رسـولُ اللهِ ﷺ: «**مَن قُتِلَ في سـبيلِ اللهِ فَهوَ شَـهيدٌ**» أي: مَنْ قُتِلَ في المعارِكِ وهو يُقاتِلُ في سبيلِ اللهِ، فهو مِنَ الشُّـهداءِ، «**ومَنْ ماتَ في سـبيلِ اللهِ فَهُوَ شَـهِيدٌ**»، أي: وَمَنْ مات في أيِّ وَجهٍ مِن وُجوهِ طاعةِ اللهِ وهو عاقدٌ نِيَّتَه على أنَّه يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، فهو مِنَ الشُّـهداءِ، وسـبيلُ اللهِ واسِـعٌ يَشـمَلُ أعمالًا كثيرةً مِنَ الخيرِ الَّذي يُبْتَغَى فيه وجهُ اللهِ.

ثمَّ ذكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ مات بمرضِ الطَّاعونِ فهو مِنَ الشُّـــهداءِ، والطَّاعونُ هُو قُروحٌ تَخرُجُ في الجَسَـــدِ، فتَكونُ في المَرافِقِ، أوِ الآباطِ، أوِ الأيدي، وســائرِ البَدَنِ، ويَكونُ معه وَرَمٌ وألَمٌ شَـــديدٌ، وقيلَ: إنَّ الطَّاعونَ اسمٌ لكُلِّ وَباءٍ عامٍّ يَنتَشِرُ بسُرعةٍ، وقدْ سُمِّيَ طاعونًا لِسُرعةِ قَتْلِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى أحمد والترمذي، عن المقدام بن معدي كرب- رضي الله عنه- ، قال: قال رسول الله ﷺ: (للشَّهيدِ عِندَ اللَّهِ ستُّ خصالٍ: يُغفَرُ لَه في أوَّلِ دَفعةٍ ويَرى مقعدَه منَ الجنَّةِ ويُجارُ مِن عذابِ القبرِ ويأمنُ منَ الفَزعِ الأكبرِ ويُوضعُ علَى رأسِه تاجُ الوقارِ الياقوتةُ مِنها خيرٌ منَ الدُّنيا وما فِيها، ويزوَّجُ اثنتَينِ وسبعينَ زَوجةً منَ الحورِ العينِ، ويُشفَّعُ في سبعينَ مِن أقاربِه) ([104]).

ثمَّ ذكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ مات بمرَضٍ في بَطنِهِ -كالاستسقاءِ والإسهالِ ونحوِهِمَا- فهو مِنَ الشُّهداءِ. وفي رِوايةٍ: «ومَن غَرِقَ فَهو شَهيدٌ»، وعندَ البُخاريِّ: «صاحِبُ الهَدْمِ»، وهو الَّذي ماتَ تَحْتَ الهَدْمِ، والهَدْمُ اسمٌ لِما يَقَعُ، كالجِدارِ ونحْوِه.

وهذه الأنواعُ وغيرُها ممَّا ذُكِر في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ كلُّها مَيْتاتٌ فيها شِدَّةُ تَفضُّلِ اللهِ على أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ بأنْ جَعَلَها تَمحيصًا لِذُنوبِهم، وزِيادةً في أُجورِهم، يُبلِّغُهم بها مَراتبَ الشُّهداءِ.

ويَتحصَّلُ مِن ذلك أنَّ الشُّهداءَ قِسمانِ: شَهيدُ الدُّنيا، وشَهيدُ الآخرةِ، فشَهيدُ الدُّنيا هو مَن يُقتَلُ في حرْبِ الكفَّارِ مُقبِلًا غيرَ مُدْبِرٍ مُخلِصًا، والَّذي حُكمُه ألَّا يُغَسَّلَ، ولا يُصَلَّى عليه، وشَهيدُ الآخِرةِ هو مَن يُعطَى مِن جِنسِ أجْرِ الشُّهداءِ، ولا تَجري عليه أحكامُهم في الدُّنيا، فيُغسَّلون ويُكفَّنون ويُصلَّى عليهم.

[104] .الراوي: المقدام بن معدي كرب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 1663، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (1663) واللفظ له، وابن ماجه (2799)، وأحمد (17182).

شرح الحديث.

أفضَلُ ما يتَقرَّبُ به العبدُ المؤمنُ إلى اللهِ- عزَّ وجلَّ- هو أن يُجاهِدَ في سَبيلِه، حتَّى يُقتَلَ ويَموتَ وهو على ذلِك، ولِمَن قُتِل شهيدًا في سبيلِ الله فَضائِلُ كثيرةٌ عظيمةٌ، وهذا الحديثُ فيه بيانُ بَعضِ فَضائِلِه تِلك، حيثُ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "للشَّهيدِ"، أي: الَّذي يُقتَلُ في سبيلِ اللهِ- تعالى-، "عِندَ اللهِ سِتُّ خِصالٍ"، أي: يَخُصُّه اللهُ مِن الأجرِ ما لا يَخُصُّ به غيرَه بما يَجمَعُ له مِن تلك الخِصالِ: "يَغفِرُ له"، أي: ذُنوبَه، "في أوَّلِ دَفْعةٍ"، أي: في أوَّلِ ما يتَدفَّقُ الدَّمُ مِن جُرْحِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فضل الشهيد ومنزلته في الإسلام عظيمة جداً، فهو حيّ عند ربه يرزق، ويُشفع في سبعين من أقاربه، وله ست خصال منها: مغفرة ذنوبه من أول

"**ويُرَى مَقْعَدَه مِن الجنَّةِ**"، أي: يُريه اللهُ- عزَّ وجلَّ- مَجلِسَه ونَعيمَه مِن الجنَّةِ، "**ويُجارُ**"، أي: يُحفَظُ ويُؤمَّنُ "**مِن عذابِ القَبرِ، ويَأمَنُ**"، أي: ويَسْلَمُ، "**مِن الفزَعِ الأكبَرِ**"، وهذا إشارةٌ إلى قولِه تعالى: ﴿**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾ [الأنبياء: 103] ، والفزَعُ الأكبَرُ؛ قيل: هو عذابُ النَّارِ، وقيل: العرضُ عليها، وقيل: هو وقتُ يُؤمَرُ أهلِ النَّارِ بدُخولِها، وقيل: ذَبحُ الموتِ فيَيْئسُ الكفَّارِ مِن التَّخلُّصِ مِن النَّارِ بالموتِ، وقيل: هو وقتُ إطباقِ النَّارِ على الكُفَّارِ، وقيل: النَّفخةُ الأخيرةُ في الصُّورِ، ففَزِع مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ إلَّا مَن شاء اللهُ.

"**ويُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوَقارِ**"، أي: أي: يُلبِسُه اللهُ- عزَّ وجلَّ- تاجًا يُجعَلُ له مِن العزَّةِ والعظَمةِ، "**الياقوتةُ منها**"، أي: مِن التَّاجِ، وياقوتُ الدُّنيا: نَوعٌ مِن الأحجارِ الكريمةِ، لونُه شفَّافٌ، مُشرَبٌ حُمرَةً أو زُرْقةً أو صُفْرةً، وهو أكثَرُ المعادِنِ صَلابةً بعدَ الماسِ، يُستَعمَلُ للزِّينةِ، "**خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها**"، أي: مِن الحُصولِ على نَعيمِها كُلِّه.

"**ويُزوَّجُ اثنَتَين وسَبعين زوجةً مِن الحورِ العِينِ**"، والحورُ العِينُ: نِساءُ أهلِ الجنَّةِ، والمرادُ بالحَوراءِ: الشَّديدةُ بَياضِ العينِ، الشَّديدةُ سَوادِها، والمرادُ بالعِينِ: أنَّها تَكونُ واسِعةَ العَينِ، وهذا مِن مَحاسِنِ الجمالِ في المرأةِ، وفي التَّقييدِ بالثِّنتَينِ والسَّبعين إشارةٌ إلى أنَّ المرادَ به التَّحديدُ لا التَّكثيرُ، ويُحمَلُ على أنَّ هذا أقلُّ ما يُعطَى، ولا مانِعَ مِن التَّفضُّلِ بالزِّيادةِ عليها.

"**ويُشَفَّعُ**"، أي: ويَقبَلُ اللهُ عزَّ وجلَّ شَفاعتَه، "**في سَبعين مِن أقاربِه**" كوالدَيهِ وأولادِه وزَوجاتِه وغيرِهم من الأقاربِ؛ فالإحسانُ إلى الأقاربِ أفضلُ منه إلى الأجانبِ، وقيل: يشمل ذلك أحبابَه والقَريبِينَ منه، وقوله: "**في سَبعين**" يَحتمِلُ أنَّ المرادَ هذا العددُ تَحديدًا، ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ: التكثيرُ وأنَّه يَشفَعُ في عَددٍ كثيرٍ من أهلِه، ولا يُقصَدُ هذا العددُ على سَبيلِ التَّحديدِ.

فالعرَبُ تَستعمِلُ مُضاعَفاتِ العددِ (سبعةٍ)؛ للدَّلالةِ على التَّكثيرِ، كما في قولِه تعالى: ﴿**إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ [التوبة: 80] ؛ فالعددُ غيرُ مُرادٍ به المقدارُ المحدَّدُ من العددِ، بل هذا الاسمُ مِن أسماءِ العدَدِ الَّتي تُستعمَلُ في معنى الكَثرةِ، وسواءٌ عرَفْنا الحِكْمةَ مِن ذِكرِ هذا العددِ أو لم نَعرِفْ؛ فالواجبُ علينا التَّسليمُ لخبَرِ اللهِ، وخبرِ رسولِه ﷺ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

دفعة، ويدخل الجنة، ويأمن من عذاب القبر والفزع الأكبر، كما يوضع على رأسه تاج الوقار، وتُزوَّج له اثنتان وسبعون حورية من الحور العين.

روى أحمد والنسائي والطبراني، عن رجل من الصحابة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ: ما بالُ المؤمنين يُفتنون في قبورِهم إلَّا الشَّهيدَ؟ قال: كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً) [105].

---

[105] . الراوي: رجل من الصحابة، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم: 285/2، التخريج: أخرجه النسائي (2053)، وابن أبي عاصم في ((الجهاد)) (230)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (7211) واللفظ لهم جميعاً، خلاصة حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما].

شرح الحديث.

للشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ- تعالى- مَنزِلةٌ عظيمةٌ، ومرتبةٌ جليلةٌ، وأجرُها عظيمٌ، وثوابُها كبيرٌ، ومِن فَضائلِ الشَّهيدِ ما جاء في هذا الحديثِ، حيثُ قال رجلٌ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ: "**يا رسولَ اللهِ، ما بالُ المؤمنين يُفتَنون في قُبورِهم؟!**"، أي: بامتِحانهم بسُؤالِ الملَكَينِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ، "**إلَّا الشَّهيدَ؟!**"، أي: ما سبَبُ استثناءِ الشَّهيدِ عن باقي المؤمنين مِن ذلك السُّؤالِ؟

قال النَّبيُّ ﷺ: "**كفَى ببارِقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً**"! أي: يَكْفي في صِدْقِ إيمانِهم ثَباتُهم عِندَ لَمَعانِ السُّيوفِ فوقَ رُؤوسِهم؛ فنَجاحُهم في ذلك الاختبارِ يُغْنيهم عن اختِبارِ القبرِ؛ فالسُّؤالُ في القَبرِ إنَّما جُعِل لامتحانِ المؤمنِ الصَّادقِ في إيمانِه مِن المنافِقِ، وثَباتُه تحتَ بارِقةِ السُّيوفِ أدَلُّ دليلٍ على صدقِه في إيمانِه، وإلَّا لَفَرَّ مِن الكفَّارِ؛ قيل: وإذا كان الشَّهيدُ لا يُفتَنُ فالصِّدِّيقُ أَوْلَى؛ لأنَّه أجَلُّ قدْرًا. **وفي الحديثِ:** فَضْلُ الشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وفيه: فضيلةُ الصَّبرِ عندَ مُلاقاةِ العَدُوِّ، وعدَمِ الفِرارِ مِنه، وأنَّها عَلامةُ إيمانٍ، وسببُ نَجاةٍ مِن فِتنةِ القَبرِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

نعم، الشهيد لا يُفتَنُ في قبره ولا يُسأل، لأن ثباته تحت بارقة السيوف في سبيل الله دليل على صدقه وإيمانه، وهو بمثابة فتنة كافية تُغنيه عن سؤال الملكين في القبر.

ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة، **روى مسلم وأحمد، عن سهل بن حنيف- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (من سألَ اللَّهَ الشَّهادةَ صادقًا، بلَّغَه اللَّهُ منازلَ الشُّهداءِ، وإن ماتَ علَى فراشِه)** [106].

---

[106] . الراوي: سهل بن حنيف، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 1520، التخريج: أخرجه أبو داود (1520) واللفظ له، وأخرجه مسلم (1909) باختلاف يسير خلاصة حكم المحدث: صحيح. وفي رواية مسلم، **عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن طَلَبَ الشَّهادَةَ صادِقًا، أُعْطِيَها، ولو لَمْ تُصِبْهُ)** (الراوي: أنس بن مالك، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1908، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: من أفراد مسلم على البخاري).

شرح الحديث.

طَلبُ الشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ هو طَلبٌ للموتِ الَّذي لا مَحالةَ واقعٌ، ولكنَّه في الشَّهادةِ يَقعُ على أحسَنِ حالٍ؛ لِما فيه مِن الأجرِ العظيمِ لِصاحبِه، وهو فَناءُ النَّفسِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتَحصيلِ رِضاه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُنا النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَن طَلَبَ الشَّهادةَ- وهي الموتُ والقتلُ في سَبيلِ اللهِ- وكان صادقًا ومُخلِصًا في نِيَّتِه تلكَ للهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّه لا يَعلَمُ صِدقَ نِيَّتِه وتَمنِّيه الشَّهادةَ إلَّا اللهُ سبحانه، فمَن فَعَلَ ذلك أعطاه اللهُ أَجْرَ الشُّهداءِ بنِيَّتِه الصَّادقةِ وإن لم يبلغها، **كما في رِوايةٍ أُخرى لمسلمٍ**: «**وإنْ مات على فِراشِه**».

وفي الحديثِ: الحثُّ على عملِ الخيرِ عمومًا وأنْ يَنوِيَه، وعلى سُؤالِ الشَّهادةِ خصوصًا. وفيه: أنَّ مَن نوى خَيرًا وحال بينه وبين فِعلِه حائلٌ، فإنَّه يُكتبُ له أَجرُه. وفيه: التَّرغيبُ في الغزوِ والشَّهادةِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الصـــدق في طلب الشـــهادة يعني الإخلاص في نية القتال أو الســـعي لنصرـة الحق في ســبيل الله- تعالى-، حتى لو لم يصــب المســلم بالقتل في المعركة، فإن الله تعالى يبلغه منازل الشـــهداء وإن مات على فراشـــه، فالأعمال بالنيات، والنية الصـادقة لله- تعالى- وحدها تُعطي المســلم أجر الشهيد الكامل.

7. الموت بمرض الطاعون.

روى البخاري ومســلم، عن أنس- رضي الله عنه-، **قال: قال رســول الله** ﷺ: (**الطَّاعُونُ شَهادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)[107].

---

[107] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصـــدر: صـــحيح البخاري، الصـــفحة أو الرقم: 283، التخريج: أخرجه البخاري (2830)، ومسلم (1916).

شرح الحديث.

مِن رَحمةِ اللهِ- تعالَى- وفَضلِه على هذه الأُمَّةِ؛ أنْ جَعَلَ شُـهداءَها أنواعًا كَثيرةً، فلمْ يَقصُرِ الشَّـهادةَ على مَن قُتِلَ في المَعرَكةِ ضِدَّ أعدائِه، وإنَّما جَعَلَ شُهداءَها في أكثَرَ مِن ذلك.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ عن نَوعٍ مِنَ الشُّـــهَداءِ، وهو الذي يَموتُ بالطَّاعُونِ، وهُوَ قُروحٌ تَخرُجُ في الجَسَدِ، فتَكونُ في المَرافِقِ، أوِ الآباطِ، أوِ الأيدي، وسائرِ البَدَنِ، ويَكونُ معه وَرَمٌ وألَمٌ شَديدٌ، **وقيلَ:** إنَّ الطَّاعونَ اسـمٌ لكُلِّ وَباءٍ عامٍّ يَنتَشِرُ بسُرعةٍ، وقدْ سُـمِّيَ طاعونًا لِسُرعةِ قَتْلِه. فمَن ماتَ بهذا الوَباءِ كان في عِدَادِ الشُّهَداءِ، إلَّا أنَّ هذه الشَّهادةَ هي بالنِّسبةِ للأجْرِ في الآخِرةِ، ولَيستْ لها أحكامُ شَهيدِ المَعرَكةِ في الدُّنيا؛ مِن تَرْكِ تَغسيلِه، وتَكفينِه، ودَفْنِه في ثِيابِه التي ماتَ بها.

قيلَ: سَـــبَبُ كَونِ المَوتِ بالطَّاعونِ، ونَحوِه مِنَ المَوتِ بالبَطْنِ، أو تَحتَ الهَدْمِ، أوِ الغَرَقِ، وغَيرِها ممَّا جاءَ في الرِّواياتِ شَـهادةً؛ شِـدَّةُ هذه المِيتةِ وعَظيمُ الألَمِ فيها، فجَزاهمُ اللهُ على ذلكَ بأنْ جَعَلَ لهم أجْرَ الشُّهَداءِ؛ تَفَضُّلًا منه سُبحانَه وكَرَمًا.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى أحمد والنسـائي، عَنْ عَائِشَـةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: (سَـأَلْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّاعُونِ؛ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَـاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ)[108].

---

[108] . الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 5734، التخريج: أخرجه أحمد (24358)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7485) بلفظه. خلاصة حكم المحدث: [صحيح] والبغوي في ((شرح السنة)) (1442) واللفظ لهم.

شرح الحديث.

جَعَل اللهُ- سُبحانَه وتعالَى- أمْرَ المؤمنِ كلَّه له خَيرًا، في السَّراءِ والضَّراءِ؛ فشُكْرُه في السَّرَّاءِ يُوجِبُ له الأجرَ على شُكرِ النِّعمةِ، وصَبْرُه في الضَّرَّاءِ يُوجِبُ له الأجرَ على الصَّبرِ على البلاءِ.

وفي هذا الحديثِ تَسأَلُ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ- رَضِيَ اللهُ عنها- النَّبيَّ ﷺ عن الطَّاعونِ، وهو المَرَضُ المُهلِكُ، وهو عبارةٌ عن خُرَّاجاتٍ وقُروحٍ وأورامٍ رَديئةٍ تَظهَرُ بالجسْمِ، وقيلَ: إنَّ الطَّاعونَ اسمٌ لكُلِّ وَباءٍ عامٍّ يَنتَشِرُ بسُرعةٍ، وقدْ سُمِّيَ طاعونًا لِسُرعةِ قَتْلِه. فبيَّنَ لها النَّبيُّ ﷺ أنَّ الطَّاعونَ إنَّما هو عَذابٌ يَبعَثُه اللهُ على مَن يَشاءُ مِن الكُفَّارِ والخارجينَ عن طاعتِه.

وأنَّ اللهَ- عزَّ وجلَّ- جَعَلَه رَحمةً للمؤمنينَ إذا وَقَعَ بهم؛ لأنَّه إذا وقَع هذا الوباءُ في بَلَدٍ هو فيه، فصَبَرَ مُحتسِبًا للهِ- تعالَى-، وهو يعلَمُ أنَّه لا يُصيبُه إلَّا ما كَتَبه اللهُ عليه، فيظَلُّ داخِلَ البلدِ الَّذي وَقَع فيه الطَّاعونُ، ولا يَخرُجُ منه؛ ظنًّا منه أنَّ خُروجَه يُنجِيه مِن قَدَرِ اللهِ المكتوبِ عليه، فمات بالطَّاعونِ؛ فإنَّه يكونُ له مِثلُ أجْرِ شَهيدِ المعركةِ في الآخِرةِ، ولَيسَتْ لها أحكامُ شَهيدِ المَعرَكةِ في الدُّنيا؛ مِن تَرْكِ تَغسيلِه وتَكفينِه، ودَفْنِه في ثِيابِه التي ماتَ بها.

وفي أحاديثَ أُخرى في الصَّحيحينِ نَهى النَّبيُّ ﷺ عنِ الخروجِ مِن البلدِ الَّذي يقَعُ فيه الطَّاعونُ أصابَ الإنسانَ أو لم يُصِبْه، وعنِ الدُّخولِ إليه، فقال: (**إذا سمِعْتُم به بأرضٍ فلا تَقدَمُوا عليه، وإذا وقَعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تَخرُجوا فِرارًا منه**) (الراوي: أسامة بن زيد، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

8. الموت بداء البطن.

روى الترمذي، عن أبي إسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ:(**مَن قتلَهُ بطنُهُ لم يُعَذَّبْ في قبرِهِ**) ([109]).

البخاري، الصفحة أو الرقم: 5728، التخريج: أخرجه البخاري (5728)، ومسلم (2218) خلاصة حكم المحدث: [صحيح]).

قيلَ: سَبَبُ كَونِ المَوتِ بالطَّاعونِ، ونَحوِه مِنَ المَوتِ بالبَطْنِ، أو تَحتَ الهَدْمِ، أوِ الغَرَقِ، وغَيرِها ممَّا جاءَ في الرِّواياتِ؛ شَهادةً: شِدَّةُ هذه المِيتةِ وعَظيمُ الألَمِ فيها، فجَزاهمُ اللهُ على ذلكَ بأنْ جَعَلَ لهم أجْرَ الشُّهَداءِ؛ تَفَضُّلًا منه سُبحانَه وكَرَمًا.

[109] . الراوي: أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 1064، خلاصة حكم المحدث: صحيح، **وفي رواية:** (**قالَ سُلَيمانُ بنُ صُردٍ لخالدِ بنِ عُرفُطةَ أو خالدٌ لسُلَيمانَ: أما سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: مَن قتلَهُ بطنُهُ لم يُعَذَّبْ في قبرِهِ؟ فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ: نعَم**).

شرح الحديث.

إذا ابتلَى اللهُ عبدَه بمرَضٍ أو داءٍ فصَبَر على ذلك، فإنَّه يَنالُ أجْرًا وثوابًا جزاءَ ذلك الصَّبرِ، ويُكفِّرُ عنه مِن سيِّئاتِه؛ وفي هذا الحديثِ بيانٌ لفضْلِ مَن ماتَ بداءِ البطْنِ؛ فإنَّه يُؤمَّنُ مِن عذابِ القبْرِ، يقولُ سُلَيمانُ بنُ صُرَدٍ لخالدِ بنِ عُرْفُطَةَ، أو خالِدٌ يَقولُ لسُليمانَ: أمَا سَمِعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "**مَن قتَلَه بطْنُه**"، أي: أسَمِعتَ حديثَ النَّبيِّ ﷺ فيمَن أُصِيبَ وابتُلِيَ بمرَضٍ ودَاءٍ مِن أمراضِ البطْنِ، والَّتي منها الاستِسْقاءُ أو الإسْهالُ، أو غيرُ ذلك ممَّا يَظهَرُ مِن أمراضِ البطْنِ الَّتي تُؤدِّي إلى الموْتِ.

"**لَم يُعذَّبْ في قبْرِه**"، أي: يُنجِيه اللهُ ويرفَعُ عنه عذابَ القبْرِ، وقيل: يَقِيه اللهُ مِن فتنَةِ القبْرِ، ومِن سُؤالِ الملَكَين؛ وذلك جزاءَ ما لَقِيَ مِن شدَّةِ مرَضِه، وقد ثبَت أيضًا في أحاديثَ أخرى أنَّ المبطونَ مِن الشُّهداءِ. "**فقال أحَدُهما لصاحِبِه**"، أي: قال سُليمانُ لخالِدٍ أو قال خالِدٌ لسُليمانَ: "**نعَم**"، أي: سمِعتُ هذا الحديثَ مِن النَّبيِّ ﷺ، **وفي الحديث:** فضيلةٌ لِمَن ماتَ مَبطونًا. وفيه: أنَّ الأمراضَ والأسقامَ التي يُصابُ بها في الدُّنيا تُخفِّفُ مِن العذابِ في الآخِرَةِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ (ما تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، قالَ: إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي إذنْ لَقَلِيلٌ، قالوا: فمَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في الطَّاعُونِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في البَطْنِ فَهو شَهِيدٌ).

قالَ ابنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أبِيكَ في هذا الحَديثِ أنَّه قالَ: (والْغَرِيقُ شَهِيدٌ)وفي روايةٍ: قالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أخِيكَ أنَّه زادَ في هذا الحَديثِ: (ومَن غَرِقَ فَهو شَهِيدٌ) (110).

9. الموت بسبب الهدم والغرق.

ودليل ما تقدم ما رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (الشُّهداءُ خمسةٌ: المطعونُ والمبطونُ والغرِقُ وصاحبُ الهدمِ والشَّهيدُ في سبيلِ اللهِ) (111).

---

110 . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1915، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1915).

111 . الراوي: أبو هريرة، المحدث: ابن عبدالبر، المصدر: التمهيد، الصفحة أو الرقم: 11/22، التخريج: أخرجه البخاري (2829)، ومسلم (1914) خلاصة حكم المحدث: محفوظ، وفي رواية مسلم، عن عن

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي- بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ على الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له. ثُمَّ قَالَ: الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، والمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وصَاحِبُ الهَدْمِ، والشَّهِيدُ في سَبيلِ اللَّهِ، وقَالَ: لو يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلَّا أنْ يَسْتَهِمُوا لَاسْتَهَمُوا عليه. ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إلَيْهِ ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا) [أخرجه البخاري (652)، ومسلم (1914)].

شرح الحديث.

طاعةُ اللهِ- عزَّ وجلَّ- والقِيامُ بأوامرِه سَببُ نَيْلِ الدَّرجاتِ العُليا في الدُّنيا والآخِرةِ، وأعمالُ الطاعةِ والعِبادةِ مُتنوِّعةٌ ومُتعدِّدةٌ، وهِمَمُ الناسِ في الإقبالِ عليها مُتفاوِتةٌ، ومِن ثَمَّ كانتْ أُجورُ العِبادِ ودَرَجاتُهم مُتفاوِتةً عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي هذا الحَديثِ يحُثُّ النبيُّ ﷺ على جُملةٍ مِن أعمالِ البِرِّ، ويُبيِّنُ أنواعَ الشُّهداءِ، فبَدَأَ ﷺ بالحثِّ على إماطةِ الأذَى عن الطَّريقِ، فأخبَرَ النبيُّ ﷺ عن رجُلٍ كان يَسيرُ في الطَّريقِ فوَجَدَ غُصنَ شَوكٍ يُؤذِي الناسَ، سواءٌ أكان هذا الغُصنُ في الشَّجرةِ مِن فوقُ يُؤذِيهم مِن عندِ رُؤوسِهم، أو مِن أسْفَلَ يُؤذِيهم مِن جِهةِ أرْجُلِهم، فأزالَهُ لِيَكُفَّ أذاهُ عنهم، فتَقبَّلَ اللهُ منه وأثْنى عليه، فكان جَزاؤه أنْ غَفَرَ له ذُنوبَه على إزالتِه الشَّوكَ مِن الطَّريقِ.

ثمَّ ذكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ أنواعَ الشُّهداءِ الذين لهم أجْرُ الشَّهيدِ وثَوابُه، وقيل: سُمِّيَ الشَّهيدُ بهذا الاسمِ؛ لأنَّ الملائكةَ يَشهَدون مَوتَه، فكان مَشهودًا، وقيل: مَشهودٌ له بالجنَّةِ، وقيل: لأنَّه حَيٌّ عندَ اللهِ حاضرٌ، وقيل: لأنَّه شَهِدَ ما أعدَّ اللهُ له مِن الكَراماتِ.

فذَكَرَ ﷺ هنا خَمسةَ أنواعٍ مِن الشُّهداءِ؛ أحدُهم: المَطعونُ، وهو الَّذي يَموتُ في الطَّاعونِ، وهو الوَباءُ العامُّ، والثاني هو: المَبطونُ، وهو مَن مات بِداءِ البَطْنِ، وهو الإسهالُ، وقيل: هو الذي به الاستِسقاءُ وانتفاخُ البَطْنِ، وقيل: هو الذي يَموتُ بِداءِ بَطْنِه مُطلقًا، والثالثُ: الغَريقُ، وهو مَن يَموتُ غَرَقًا في الماءِ، والرابعُ: صاحِبُ الهَدْمِ، وهو الَّذي ماتَ تَحتَ الهَدْمِ، والهَدْمُ اسمٌ لِما يَقَعُ، كالجِدارِ ونحْوِه.

والخامسُ: القَتيلُ في سَبيلِ اللهِ تعالَى، وهو مَن مات مِنَ المسلمينَ في جِهادِ الكُفَّارِ بأيِّ سَببٍ مِن أسبابِ قِتالِهم قبْلَ انقضاءِ الحَرْبِ، وهذا هو شَهيدُ الدُّنيا والآخِرةِ، وهو الذي لا يُغَسَّلُ ولا يُكفَّنُ بغيرِ ثِيابِه التي قُتِلَ فيها ولا يُصَلَّى عليه، بخِلافِ الأربعةِ السَّابقةِ، فإنَّهُم شُهداءُ في الآخِرةِ فقطْ، لهم مِن الثَّوابِ كثَوابِ الشَّهيدِ، وأمَّا في الدُّنيا فيُغسَّلون ويُكفَّنون ويُصلَّى عليهم كسائرِ أمواتِ المُسلِمينَ. وإنَّما كانت هذه المَوتاتُ شَهادةً تَفضُّلًا مِن اللهِ- تَعالى-؛ بسَببِ شِدَّتِها، وكَثرةِ ألَمِها.وقدْ ذَكَرَت رِواياتٌ أُخرى أنواعًا أُخرى مِن الشُّهداءِ غيرَ الخمسةِ المذكورينَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

كما في الصَّـحيحَين: «مَن قُتِلَ دُونَ مالِه فهو شَـهيدٌ»، **وكما في سُـننِ التِّرمذيِّ:** «مَن قُتِلَ دُونَ دِينِه فهو شَـهيدٌ، ومَن قُتِلَ دونَ دَمِه فهو شَـهيدٌ، ومَن قُتِلَ دونَ أهْلِه فهو شَـهيدٌ»، وغيرُ ذلك، فدلَّ هذا على أنَّ العدَدَ المَذكورَ في هذا الحديثِ لا يُفيدُ الحصْرَ، والاختلافُ في العدَدِ بحسَـبِ اختلافِ الوحْيِ على النبيِّ ﷺ، فكأنَّ الوحْيَ نزَلَ عليه تِباعًا، في كلِّ مرَّةٍ يُخبِرُه ببَعضِ أنواعِ الشُّهداءِ.

ثُمَّ بيَّن ﷺ فضْلَ التَّأذينِ للصَّلاةِ، وفضْلَ الصَّفِّ الأوَّلِ، والتَّبكيرِ إلى الصَّلاةِ، وأداءِ صَلاتي العِشاءِ والفجْرِ في جَماعةٍ، فذَكَرَ أنَّه لو يَعلَمُ النَّاسُ فَضْـلَ وأجْرَ التَّأذينِ للصَّـلاةِ، ولو يَعلَمون ما في الوقوفِ في الصَّفِّ الأوَّلِ الذي يَلي الإمامَ مِن ثَوابٍ، ثُمَّ لم يَجِدوا وَسيلةً للوصولِ إلى ذلك إلَّا أنْ يَقترِعوا علَيه؛ لاقْتَرَعوا؛ لما فيهما من الثواب الجزيل والأجر الكبير.

ثمَّ حثَّ ﷺ على التبكير إلى الصـلاة، فذكر أنَّ الناسَ لو عَلِموا ما في التَّبكيرِ إلى الصَّـلاةِ- أيَّ صَـلاةٍ كانَت- مِن الثَّوابِ والفضْلِ؛ لاستَبَقوا إلَيه. وكذا لو يَعلَمُ الناسُ ما في أداءِ صَلاةِ العَتمةِ- وهي صَلاةُ العِشاءِ- وصَـلاةِ الصُّـبحِ في جَماعةٍ مِن ثَوابٍ وأَجْرٍ؛ لأَتَوهُما ولو كان الإتيانُ إليهما حَبْوًا وزَحْفًا على الأيدي والأرجُلِ والبُطونِ.

وقدْ ذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ العِشاءِ هنا باسمِ «**العَتمةِ**»، ووَرَدَ عنه ﷺ النَّهيُ عن تَسميةِ العِشاءِ بالعَتَمةِ، كما في صَحيحِ مُسلِمٍ عن ابنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عنهما-: «**لا تَغْلِبَنَّكُمُ الأعرابُ على اسمِ صَلاتِكم، هي العِشاءُ، ألَا إنَّهم يُعْتِمُونَ بالإبِلِ**».

فقيل في ذلك: إنَّ هذا النَّهيَ الواردَ للتَّنزيهِ وليس للتَّحريمِ، واستَعْمَلَه النبيُّ ﷺ هنا لمَصلحةٍ، وهي: أنَّهم كانوا يُسَـمُّون صَـلاةَ المَغربِ بالعِشـاءِ، وصَـلاةَ العِشـاءِ بالعَتمةِ تَسـميةً لها بالوقتِ، فاقْتَضى ذلك التَّوضيحَ بلِسانِهم أحيانًا؛ لكيْلَا يَختلِطَ الأمرُ بالنِّسبةِ لهم ويَفسُدَ المعْنى الذي قَصَدَه رَسولُ اللهِ ﷺ.

وقيل: اسـتَخْدَمها النبيُّ ﷺ لبَيانِ عَدَمِ الحرَجِ في ذِكرِها لكنَّه خِلافُ الأَولى. **وفي الحديثِ:** فَضـيلةُ إماطةِ الأَذى عَن الطَّريقِ، وهي أَدنى شُـعَبِ الإيمانِ. وفيه: فَضـيلةُ التَّأذينِ والسَّـبقِ إلى الصَّـفِّ الأوَّلِ.وفيه: فَضيلةُ التَّبكيرِ إلى الصَّلاةِ.وفيه: فَضيلةُ صَلاةِ العِشاءِ والفجْرِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ (ما تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، قالَ: إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي إذنْ لَقَلِيلٌ، قالوا: فمَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في الطَّاعُونِ فَهو شَهِيدٌ، ومَن ماتَ في البَطْنِ فَهو شَهِيدٌ).

قالَ ابنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أبِيكَ في هذا الحَديثِ أنَّه قالَ: (والْغَرِيقُ شَهِيدٌ)وفي روايةٍ: قالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ مِقْسَمٍ: أشْهَدُ علَى أخِيكَ أنَّه زادَ في هذا الحَديثِ: (ومَن غَرِقَ فَهو شَهِيدٌ) ([112]).

فضل موت الغريق وصاحب الهدم هو أن الله سبحانه وتعالى يكتب لهما أجر الشهادة، حيث يجعلهما من الشهداء من أهل الآخرة، مقابل ما عانوه من ألم ومشقة في الموت، وجاء هذا في الأحاديث النبوية التي وسعت مفهوم الشهادة ليشمل من يموت بهذه الأنواع من الميتات، وهي التي فيها شدة وتعب عظيم، كتعويض لهم من الله تعالى.

[112] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1915، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (1915).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

10. موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به.

ومن علامات حسن الخاتمة، وهو خاص بالنساء، موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به، **ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه-، أنه قال: قال رسول الله ﷺ**: أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: (**والنُّفَسَاءُ يجُرُّها ولدُها بسُرُرِه إلى الجنَّةِ**) [113] يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

---

[113] . الراوي: المحدث: الهيتمي المكي، المصدر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، الصفحة أو الرقم: 175/2، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن. **وفي رواية ابن ماجة، عن جابر بن عتيك- رضي الله عنه-، قال:** (مَرِضَ فأتاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعودُه فقالَ قائلٌ من أهلِه إن كنَّا لنَرجو أن تَكونَ وفاتُهُ قَتلَ شَهادةٍ في سبيلِ اللَّهِ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إنَّ شُهداءَ أمَّتي إذًا لَقَليلٌ القَتلُ في سبيلِ اللَّهِ شَهادَةٌ والمطعونُ شَهادةٌ والمرأةُ تموتُ بِجُمْعٍ شَهادَةٌ- يعني الحامِلَ- والغَرِقُ والحَرِقُ والمَجنوبُ- يعني ذاتَ الجنبِ- شَهادةٌ) [أخرجه ابن ماجه (2804) بلفظه، وابن أبي شيبة (19823) بلفظ مقارب، وأخرجه أبو داود (3111)، والنسائي (1846) مطولًا بلفظ مقارب].

شرح الحديث.

تَفضَّل اللهُ سبحانه على أمَّةِ الإسلامِ بنِعمٍ عظيمةٍ وأجْرٍ كبيرٍ، ومن ذلك نَيْلُ أجرِ الشَّهادةِ لصُورٍ كثيرةٍ مِن الوفاةِ. **وفي هذا الحديثِ بيانٌ لبعضِ ذلك**؛ حيث يُخبرُ جَبْرُ بنُ عَتيكٍ، وقيل: جابِرٌ، وقيل: إنَّهما اثنانِ- رَضِيَ اللهُ عَنه-: "**أنَّه مَرِض، فأتاه النَّبيُّ ﷺ يَعودُه**"، أي: يَزورُه، "**فقال قائلٌ مِن أهلِه: إنْ كنَّا لَنَرجو أن تَكونَ وفاتُه قَتْلَ شهادةٍ في سبيلِ اللهِ**"، أي: تَمنَّى له أهلُه أن يكونَ موتُه شهيدًا أفضلَ أن يَموتَ على هذا الحالِ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "**إنَّ شُهداءَ أمَّتي إذنْ لَقليلٌ!**"، أي: إذا لم تَكُنِ الشَّهادةُ إلَّا القتْلَ فالشُّهداءُ قَليلون مِن الأمَّةِ، ولكنَّ الشُّهداءَ أنواعٌ: "**القتلُ في سبيلِ اللهِ شهادةٌ**"، أي: القَتلِ في المعركةِ بينَ المُسلِمينَ والكُفَّارِ، "**والمَطْعونُ شَهادةٌ**"، أي: الميِّتُ بالطَّاعونِ أو الوباءِ العامِّ، "والمرأةُ تَموتُ بجُمْعٍ شهادةٌ- يَعني الحامِلَ-"، "**والغَرِقُ**"، الَّذي يموتُ غريقًا "**والحَرِقُ**"، الَّذي يَموتُ حَريقًا، "**والمجنوبُ**- يعني ذاتَ الجَنْبِ- شهادةٌ" وذاتُ الجنبِ: الْتِهابُ غِلافِ الرِّئةِ ويُسبِّبُ سُعالًا وحُمَّى ووجَعًا في الجنبِ يَظهَرُ عندَ التَّنفُّسِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

11. الموت بالحرق وذات الجنب والسل.

روى أبو داود والنســـائي وابن ماجه، عن جابر بن عتيك- رضي الله عنه-، قال: (مَرِضَ فأتاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعودُه، فقالَ قائلٌ من أهلِه: إن كنَّا لنَرجو أن تَكونَ وفاتُهُ قَتلَ شَهادةٍ في سبيلِ اللَّهِ.

فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّ شُهداءَ أمَّتي إذًا لَقَليلٌ، القَتلُ في سبيلِ اللَّهِ شَـهادَةٌ، والمطعونُ شَـهادةٌ، والمرأةُ تموتُ بِجُمْعٍ شَـهادَةٌ- يعني الحامِلَ- والغَرِقُ والحَرِقُ والمَجنوبُ- يعني ذاتَ الجنبِ- شَهادةٌ) [114].

هذا الحديث يشـــير إلى أن الموت بالحريق هو نوع من الشـــهادة التي تُكفّر عن صاحبها وتمنحُه أجرًا عظيمًا.

وهذا مِن فَضـــلِ اللهِ العظيمِ على هذه الأُمَّةِ؛ فهو الَّذي خلَقَ الدَّاءَ وقدَّرَ على عبادِه الفَناءَ، وكتَب لِمَن ماتَ بهذه الأوصافِ أن يَمنَحَه أجْرَ الشَّهادةِ، والمتأمِّلُ يَرى أنَّ تِلك المِيتَاتِ مِن أبشَعِ وأشنَعِ ما يموتُ عليه المرءُ؛ ففيها الكثيرُ مِن المعاناةِ والألَمِ، فجعَل اللهُ عِوَضَـهم عن ذلك بالشَّـهادةِ وأجْرِ الشَّـهيدِ. ولكنَّ الشَّهيدَ في الأصلِ هو مَن قُتِل مُجاهِدًا في سَبيلِ اللهِ تعالى، وبه فقط تختصُّ أحكامُ الشَّهيدِ الدُّنيويَّةَ- كعَدَمِ التَّكفينِ والتَّغســـيلِ-؛ فلا تتَناوَلُ غيرَه مِن أنواعِ الشُّـــهداءِ المذكورين في هذا الحديثِ وغيرِه، وفي الحديثِ: بيانُ أنواعِ شُهداءِ الدُّنيا ومَن لهم أجورُ الشُّهداءِ.

[114] . أخرجه ابن ماجه (2804) بلفظه، وابن أبي شـــيبة (19823) بلفظ مقارب، وأخرجه أبو داود (3111)، والنسائي (1846) مطولًا بلفظ مقارب.

شرح الحديث: "والمجنوبُ- يعني ذاتَ الجَنْبِ- شـــهادةٌ" وذاتُ الجنبِ: الْتِهابُ غِلافِ الرِّئةِ ويُسبِّبُ سُعالًا وحُمَّى ووجَعًا في الجنبِ يَظهَرُ عندَ التَّنفُّسِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

12. المدافع عن ماله أو عرضه أو نفسه.

ما دل عليه ما رواه **أبو داود والنسائي وغيرهما، عن سعيد بن زيد-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (من قاتل دون مالِه، فقُتل فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ دمِه، فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ أهلِه، فهو شهيدٌ)** ([115]).

نعم، المدافع عن ماله أو عرضه أو نفسه هو شهيد بإذن الله، هذا الحديث يؤكد على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، ويشجع على الدفاع عنهما ضد المعتدي الظالم، حيث ينال المدافع عن هذه الحقوق الأجر والثواب العظيم الذي وعد الله به الشهداء.

---

[115] . الراوي: سعيد بن زيد، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: 4105، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

لقد حَفِظَ الإسلامُ الضَّروراتِ الخمسَ؛ الدِّينَ والعقلَ والنَّفسَ والنَّسبَ والمالَ، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**مَن قاتَل دونَ مالِه**"، أي: جعَل يُدافِعُ ويُقاتِلُ مَن يُريدُ أخْذَ مالِه ظُلمًا وقهرًا، "**فقُتِل، فهو شهيدٌ، ومَن قاتل دونَ دَمِه**"، أي: دِفاعًا وحفاظًا على نَفسِه ممَّن يُريدُ أن يَعتدِيَ عليه، "**فهو شهيدٌ، ومَن قاتل دونَ أهلِه**"، أي: دافع ورَدَّ مَن أراد أن يَعتدِيَ على زَوجتِه وأقاربِه.

"**فهو شهيدٌ**"، أي: يَنالُ بقِتالِه هذا ودِفاعِه أجْرَ الشَّهيدِ في الآخرةِ؛ لأنَّه مات في سَبيلِ طلَبِ الحقِّ، والدِّفاعِ عنه، وهذا بخِلافِ شهيدِ الدُّنيا الَّذي يُقتَلُ في الحربِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ؛ فإنَّه لا يُغسَّلُ ولا يُكفَّنُ إلَّا في ثِيابِه الَّتي استُشهِدَ بها، وهو الَّذي يُقتَلُ في سَبيلِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- دِفاعًا عن دِينِه أو إعلاءً لكلمةِ اللهِ تعالى. **وفي الحديثِ:** تَحريمُ مالِ المسلمِ ودَمِه وعِرْضِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

13. الموت رباطاً في سبيل الله.

لما رواه مسلم عن سلمان الفارسي- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (رِباطُ يَومٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وإنْ ماتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتّانَ) [116].

---

[116] . الراوي: سلمان الفارسي، المحدث: مسلم، المصدر : صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1913، خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج: من أفراد مسلم على البخاري.

شرح الحديث.

الخروجُ للجِهادِ في سَبيلِ اللهِ مِن أعظَمِ الأعمالِ قُرْبةً إلى اللهِ، وهو مِن كَمالِ الإيمانِ وتَمامِه، وبالجهادِ تَرتفِعُ كَلمةُ اللهِ ويُنشَرُ دِينُه، ويُحفَظُ على المسْلِمين وَحْدتُهم وقُوَّتُهم.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّ رِباطَ يومٍ وليلةٍ- والمُرابِطُ في سَبيلِ اللهِ- تعالَى- هو الَّذي يُلازِمُ حُدودَ بِلادِ المُسلِمينَ مع بلادِ الكُفَّارِ لِحراسَتِها، فهو الإقامةُ في الثُّغورِ- وكان ذلكَ في سَبيلِ اللهِ، بِنِيَّةٍ صادقةٍ وإخلاصٍ للهِ- سُبحانه-؛ كان أجرُ هذه اللَّيلةِ له أفْضَلَ مِن أجرِ التَّنفُّلِ والتَّطوُّعِ بصِيامِ شَهرٍ وقيامِ لَيلِه بالصَّلاةِ.

ويُخبِرُ ﷺ أنَّ المُرابطَ في سَبيلِ اللهِ لو ماتَ على تلك الحالِ، كَتَبَ اللهُ له مِنَ ثَوابِ العملِ مِثلَ ما كان يَعمَلُه في حالِ رِباطِه، ويَستمِرُّ ذلك الأجرُ ويَنْمو إلى يومِ القيامةِ، ويُخبِرُ أيضًا أنَّ المُرابطَ إذا ماتَ أُجرِيَ عليه رِزقُه إلى يومِ القيامَةِ، فيُكتَبُ له في كِتابِ حَسناتِه، مع أنَّ الإنسانَ يَنقطِعُ عَملُه بمَوتِه.

غيْرَ أنَّ اللهَ- سُبحانَه وتَعالَى- أجْرى لهذا المرابطِ الأجرَ فضْلًا منه وكَرمًا، فيكونُ عندَ ربِّه منَ الأحياءِ الَّذين يُرزَقون عِندَ ربِّهم، كما قال تعالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، فأَرْواحُهم في حَواصِلِ طَيرٍ خُضرٍ تَأكُلُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ شاءَتْ، فيَطعَمُ مِن طَعامِ الجنَّةِ، ويَشرَبُ مِن شَرابِها.

وأخبَرَ ﷺ أيضًا أنَّ المرابطَ يَأمَنُ الفَتَّانَ، أي: سؤالَ المَلَكين في القَبرِ، أو أنَّ الملَكَينِ لا يَضُرَّانِه، ولا يُزعِجانِه، وقدْ نالَ المُرابِطُ في سَبيلِ اللهِ جميعَ هذا الأجْرَ؛ لِمَا فيه مِنَ تَقديمِ النَّفسِ والمالِ مِن أجْلِ حِفظِ الإسلامِ والمُسلِمينَ. **وفي الحديثِ:** بَيانُ فَضلِ الرِّباطِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود براً وبحراً وجواً على اختلاف مواقعهم إذا احتسبو الأجر في ذلك.

إن ظهور شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت، لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن يستبشر له بذلك، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح، أو نحو ذلك، فهذا كله من الغيب.

إذا ظهرت بعض هذه العلامات فهذا لا يجزم بنجاة العبد أو ضمانه دخول الجنة، وإنما يستبشر بذلك فقط، ومن ناحيةٍ أخرى عدم حدوث شيءٍ لا يدل على هلاك العبد أو الحكم بكونه ليس صالحاً [117].

علامات حسن الخاتمة التي قد تظهر عند غسل الميت أو بعد موته تشمل ابتسامة الوجه، انتشار رائحة طيبة، ظهور إشراقة أو وضاءة عليه، ورفع إصبع السبابة.

في يوم الدفن، قد يُلاحظ ارتفاع السبابة، كما أن الموت في أوقات أو ظروف معينة، مثل: الموت يوم الجمعة، أو أثناء المرض كالطاعون والسل، أو عند الدفاع عن المال، يُعتبر علامة حسن خاتمة.

---

[117] . شفا دراوشة، علامات حسن وسوء الخاتمة، موقع موضوع، تاريخ النشر: 11-4-2022م، تاريخ الاطلاع: 8-3-2025م، متاح على رابط: (https://mawdoo3.com).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

خاتمة.

علامات حسن الخاتمة؛ الموت في حالة سجود أو صلاة، الموت على عمل صالح كالحج أو العمرة أو الشهادة، الموت في حالة توبة نصوح،الموت في حالة مرض مخفف للذنوب، الموت وقول الشهادة.

ومن علامات حســـن الخاتمة والتي تشـــمل عدة أمور، منها: النطق بالشـهادة عند الموت، الموت بعرق الجبين، الموت ليلة الجمعة أو نهارها، الاستشهاد في سبيل الله، والمداومة على الطاعات.

إن ظهور بعض هذه العلامات لا يعني الجزم بأن صـــاحبها من أهل الجنة، ولكنها تبشرـ بحســن الخاتمة، وعدم ظهور بعض هذه العلامات لا يعني بالضرـــورة أن صـــاحبها ليس من أهل الصـــلاح، كل هذه الأمور من الغيب، ونسأل الله- تعالى- حسن الخاتمة لنا ولجميع المؤمنين.

تُعد هذه العلامات علامات بشرى طيبة، ولا يُمكن الجزم بشيء عند الله، فالأمر كله غيبي، ولا ينبغي التحدث عن العلامات غير المبشرة التي قد تظهر على جســـد الميت، بل يجب التركيز على البشـــائر وطلب الرحمة والمغفرة للميت، حسب ما أكدته دار الإفتاء المصرية.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الرَابِعُ.
نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةَ.

واشتمل على ما يلي:-

أولاً: مُقَدِمَةُ.

ثانياً: نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةَ.

1. الصديق أبو بكر رضي الله عنه
2. الفاروق عمر رضي الله عنه.
3. بلال بن رباح رضي الله عنه.
4. معاذ بن جبل رضي الله عنه.
5. أحمد بن حنبل رحمه الله.
6. عمر بن عبدالعزيز رحمه الله
7. ابن تيمية رحمه الله تعالى.
8. عبد الله بن المبارك رحمه الله.
9. أحد المؤذنين.
10. سحرة فرعون.
11. الرجل التائب الذي قتل مائة نفس.
12. محمد بن المنكدر.
13. قصة رجل من اليمن.
14. قصة عن حُسْنُ الخَاتِمَةِ يرويها الشيخ محمد حسان.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الفَصْلُ الرَابِعُ.

نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةَ.

مُقَدِمَةُ.

إن بعض الأموات من الأخيار والصالحين لا ترى في وجوههم وحشة الموت، قال أحدهم: رأيت أحد الفضلاء وقد كان كثير الصدقات، كثير الإحسان، بعيداً عن أذية الناس، كثير الخير للضعفاء والمساكين، رأيته بعد موته، فوالله ما رأيت أشرق منه وجهاً تلك الساعة.

ولقد كنت أتمنى ألا يحجب وجهه عن رؤيته من لذة ما تراه، فو الله الذي لا إله إلا هو لكأنك تنظر إلى شمسٍ تتهلل من النور والضياء، وكأنه حيّ، لا ترى عليه وحشة الميت؛ وهذا كله بفضل الله- عز وجل-؛ ثم بما كان من الإنسان من الأعمال الصالحة.

وكم في قصص الأخيار والصالحين من حسن الختام، والبشائر التي تدل على لطف الله- عز وجل- بأوليائه وأحبابه! ولا شك أن الإنسان إذا عمل العمل الصالح، فإنه ينتظر من الله أن يرحمه ولا يعذبه، وينتظر من الله- عز وجل- أن يعزه ولا يذله، وأن يكرمه ولا يهينه، وألا يخزيه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فمن عاجل ما أعد الله للأخيار الصالحين: أن الله لا يخزيهم في الدنيا ولا يخزيهم في الآخرة؛ ولذلك تكون خاتمتهم على أحسن ما تكون عليه الخواتم، وترى من ثناء الناس ودعائهم وتفطر القلوب على فراقهم، ما يشهد بالقبول من الله- جل وعلا-، فإن الله إذا وضع القبول للعبد في السماء وضعه له في الأرض.

نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةَ.

ساعة الختام هي الملخص لحياة الإنسان، والخواتيمُ ميراثُ السّوابق، وحسن الخاتمة أن يوفّق العبد قبل موته للتوبة عن الذنوب والسيئات، والإقبال على الطاعات والقربات، ثم يكون موته على هذه الحال الحسنة.

وحسن الخاتمة، هو نهاية الحياة الدنيا بحالة إيجابية تدل على رضا الله عن العبد، وهناك الكثير والعديد من نماذج لحسن الخاتمة، مثل قصة وفات الصديق أبو بكر- رضي الله عنه-، و قصة وفات الفاروق عمر- رضي الله عنه-، وقصة وفاة بلال بن رباح- رضي الله عنه-، وقصة الرجل الذي مات في الحج.

وغيرها الكثير، مثل: قصة الرجل الذي مات وهو يذكر الله، قصة الرجل الذي مات، وهو يصلي في يوم الجمعة، وأثناء خطبة الجمعة، **ومنها ما يلي:-**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

1. **الصديق أبو بكر رضي الله عنه** ([118]).

روى الواقدي والحاكم عن عائشـــة- **رضي الله تعالى عنها-** قالت: **(كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتســـل يوم الاثنين لســـبع خلون من جمادى الآخرة، فكان يوماً بارداً فحم خمســـة عشرـــ يوماً لا يخرج إلى صـــلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ســـنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة، وكان يأمر عمر بالصلاة)** ([119]).

وروى ابن ســـعد وابن أبي الدنيا عن أبي الســـفر ، قال: (لما دخلوا على أبي بكر في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟، قال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد) ([120]). ويُعدّ أبو بكر أحد أكثر الشـــخصـــيات تبجيلاً عند أهل الســـنة والجماعة، فهو عندهم خيرُ الناس بعد الأنبياء والرسل.

---

[118] . الصالحي- محمد بن يوسف الصالحي الشامي، (ت 942 هـ)سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ 1993م، الباب السابع: (في بعض فضائل أمير المؤمنين أبي بكر الصديق- رضي الله تعالى- عنه على سبيل الانفراد)، الجزء: (11) ص: 261.

[119] . أخرجه الطبراني في الكبير 9/ 74 (2) أخرجه الحاكم 3/ 64 (3) أخرجه ابن سعد 3/ 148.

[120] . مرتضى الزبيدي- محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، كتاب: (ذكر الموت، وما بعده)، باب: (وفاة أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414 هـ، 1994م، الجزء: (10) ص: 306، و أخرجه ابن سعد في الطبقات (2/181).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وروى الإمام أحمد، عَنْ عَائِشَـةَ- رضي الله تعالى عنها-، قَالَتْ: (إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمُ الِاثْنَيْنِ، قَالَ: فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِي، فَلا تَنْتَظِرُوا بِي الْغَدَ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي إِلَيَّ أَقْرَبُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) [121].

ورواه ابن سعد وغيره عنها- رضي الله تعالى عنها- قالت: لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت [122]:-

لَعَمُرُكَ ما يُغني الثَراءُ عَنِ الفَتى إِذا حَشرَجَت نَفسٌ وَضاقَ بِها الصَدرُ.

وروى ابن حبان، عن عائشـــة أم المؤمنين- رضي الله عنها-، قالت:(كُنْتُ عندَ أبي بكرٍ حينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، فَتَمَثَّلْتُ بهذا البيتِ:

مَنْ لا يزالُ دَمْعُهُ مُقَنَّعًا يُوشِكُ أنْ يَكُونَ مَدْفُوقًا.

فقال: يا بُنَيَّةُ! لا تَقُولِي هكذا، ولكنْ قُولِي: وَجَاءَتْ سَـــكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، ثُمَّ قال: في كَمْ كُفِّنَ النبيُّ ﷺ؟ فقُلْتُ: في ثلاثَةِ أَثْوَابٍ، فقال: كَفِّنُونِي في ثَوْبَيَّ هاذَيْنِ، واشْـــتَرُوا إليهِما ثَوْبًا جَدِيدًا؛

---

121 . أخرجه المروزي في مسـند أبي بكر الصـديق (9/0 برقم 41)، ومسـند أحمد ابن حنبل، مُسْـنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِيـنَ بِالْجَنَّةِ، حديث رقم: (48)، أخرجه الطبراني في الكبير 9/ 74 (2) أخرجه الحاكم 3/ 64 (3) أخرجه ابن سعد 3/ 148.

122 . أخرجه إسحاق بن راهويه (2/ 305، رقم 828)، وابن أبي شيبة (2/ 462، رقم 11051)، وأحمد (6/ 40، رقم 24168) ورواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (1824).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فإنَّ الحَيَّ أَحْوَجُ إلى الجَدِيدِ مِنَ المَيِّتِ، وإنَّما هيَ لِلْمِهْنَةِ [أوْ لِلْمُهْلَةِ]) (123).

---

123 . الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الموارد، الصفحة أو الرقم: 1824، التخريج: أخرجه إسحاق بن راهويه في ((المسند)) (828)، وابن حبان (3036) كلاهما بلفظه، وأبو يعلى (4451) باختلاف يسير، وعبد الرزاق (6699) مختصراً. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

كان أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ- **رضِيَ اللهُ عنه**- يَتحرَّى سُنَّةَ النَّبيِّ ﷺ، حتى عِندَ مَوتِه؛ فإنَّه تَحرَّى أنْ يُكفَّنَ كما كُفِّنَ النَّبيُّ ﷺ، وألَّا يُغالى في كَفَنِه، كما يُوضِّحُ هذا الحديثُ الذي تَرويهِ عائِشَةُ بِنتُ أبي بَكرٍ أُمُّ المُؤمنينَ- **رضِيَ اللهُ عنها**-، وفيه تقولُ: "**كُنتُ عندَ أبي بَكرٍ حين حَضَرَتْه الوَفاةُ**"، أي: في سَكَراتِ المَوتِ، "**فَتَمثَّلتُ بهذا البَيتِ**"، بمعنى استَشْهَدَتْ بهذا البَيتِ على المَوقِفِ والحالِ المَوجودةِ فيه، فقالت:-

مَن لا يَزالُ دَمْعُهُ مُقَنَّعًا يُوشِكُ أنْ يكونَ مَدْفوقًا.

أي: مَن كان مُتَماسِكًا ودُموعُه لا تَذرِفُ يَومًا، فإنَّه لا بُدَّ وأنْ يأتيَه يَومٌ يَذرِفُ فيه الدُّموعَ حُزنًا وكَمَدًا، "**فقال أبو بَكرٍ: يا بُنَيَّةُ، لا تَقولي هكذا! ولكن قُولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾** [ق: 19]"،أيْ: كَشَفَتْ لَكَ سَكْرةُ المَوتِ عن اليَقينِ الذي كُنتَ تَمتَري فيه، "**﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** [ق: 19]"، أي: هذا هو الذي كُنتَ تَفِرُّ منه، وهو المَوتُ قد جاءَك، فلا مَحيدَ ولا مَناصَ، ولا فِكاكَ ولا خَلاصَ.

"**ثُمَّ قال: في كَمْ كُفِّنَ النَّبيُّ ﷺ؟**" ولعلَّ أبا بَكرٍ ذَكَرَ لها ذلك بصيغةِ الاستِفْهامِ تَوطئةً لها للصَّبرِ على فَقْدِه، ومِثلُه- **رضِيَ اللهُ عنه**- لا يَخفى عليه أمْرُ كَفَنِ النَّبيِّ ﷺ، وأقرَبُ ما يكونُ في سُؤالِه أنَّه استِنْكاريٌّ لأُمِّ المُؤمنينَ عائشةَ- **رضِيَ اللهُ عنها**- التي رآها حَزينةً على مَرَضِه، وقُربِ أجَلِه، فأرادَ مُواساتَها بأنْ يُذكِّرَها بمُصيبةِ وَفاةِ النَّبيِّ ﷺ وبيَومِ وَفاتِه؛ فسَأَلَها لكي يُعيدَها بالذاكرةِ إلى مُصيبةِ فِقدانِ رسولِ اللهِ ﷺ، فيُهوِّنَ عليها مُصيبةَ فِقدانِ أبيها، فهذا مِن حِكْمةِ الصِّدِّيقِ وفِطنَتِه، "**فقُلتُ: في ثلاثةِ أثوابٍ، فقال: كَفِّنوني في ثَوبَيَّ هَذَينِ**"، أي: في الثَّوبَينِ اللَّذين يَلبَسُهما في مَرَضِه، ولعلَّه اختارَهما؛ لأنَّه كان يُصلِّي فيهما.

كما روى ابنُ سعدٍ، عن القاسمِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أبي بَكرٍ، أنَّه قال: "**كَفِّنوني في ثَوبَيَّ اللَّذين كُنتُ أُصلِّي فيهما**"، "**واشْتَرُوا إليهما ثَوبًا جَديدًا**"؛ ليَكونوا ثلاثةَ أثوابٍ يُكفَّنُ فيها مِثلَ كَفَنِ النَّبيِّ ﷺ، وفي رِوايةِ البُخاريِّ: "**فنَظَرَ إلى ثَوبٍ عليه كان يُمرَّضُ فيه، به رَدْعٌ مِن زَعفَرانٍ، فقال: اغْسِلوا ثَوبِي هذا، وزِيدوا عليه ثَوبَينِ فكَفِّنوني فيها**"، ثُمَّ علَّلَ طَلَبَه فقال: "**فإنَّ الحَيَّ أحوَجُ إلى الجَديدِ من الميِّتِ؛ وإنَّما هي**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وروى الإمام أحمد، عن عائشـــة- رضي الله عنه-، أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي :-

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ.

فقال: ذاك رسول الله ﷺ(124).

للمِهْنةِ -أو لِلمُهْلةِ-"، أي: الحَيُّ مِن بَعدِه أكثَرُ حاجةً للثِّيابِ الجَديدةِ، أمَّا هو فسـيَكونُ ميِّتًا، فكَفَنُه سـيَبْلى ويُمزَّعُ في التُّرابِ وبقايا الجَسَدِ الميِّتِ مِن الصَّديدِ والدَّمِ.

وفي الحديثِ: مَشروعيَّةُ التَّكفينِ في الثِّيابِ، وتَثْليثِ الكَفَنِ. وفيه: طَلَبُ المُوافَقةِ فيما وَقَعَ للأكابِرِ. وفيه: إيثارُ الحَيِّ بالجَديدِ. وفيه: بَيانُ ثَباتِ أبي بَكرٍ- رضِيَ اللهُ عنه- عندَ المَوتِ ويَقينِه باللهِ. وفيه: أخْذُ المَرءِ العِلمَ عمَّن دُونَه .

124 . روى البخاري، عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه-، قال: رُبَّما ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وأَنَا أَنْظُرُ إلى وجْهِ النبيِّ ﷺ يَسْتَسْقِي، فَما يَنْزِلُ حتَّى يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ.

وَهو قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ(الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: البخاري، المصـــدر: صـــحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 1009، خلاصة حكم المحدث: [معلق].

شرح الحديث.

كان رســولُ اللهِ ﷺ أحســنَ الناسِ خُلقًا وأجمَلَهم خِلْقةً، سَــوَّاهُ ربُّه في أحْســنِ صُــورةٍ، وفي هذا الحديثِ يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عُمرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّه لَمَّا رأى وجْهَ النبيِّ ﷺ وهو يَسـتَسـقي، يعني: يَدْعو ويُصـلِّي للهِ- تعالَى- مِن أجْلِ نُزولِ المطَرِ، فيَسـتجيبُ له ربُّه سُـبحانَه، فيَنزِلُ المطرُ، فَيَجيشُ كُلُّ مِيزابٍ، يعني: يَنزِلُ بكَثْرةٍ وغَزارةٍ، والمِيزابُ: هو ما يَسـيلُ منه الماءُ مِن مَوضِـعٍ عالٍ، فكأنَّ المطَرَ يَنهمِرُ بِقوَّةٍ مِنَ السَّماءِ، فلمَّا رأى ابنُ عُمرَ- رَضِيَ اللهُ عنهما- ذلك ذَكَرَ قَولَ أبي طالبٍ في النبيِّ ﷺ:

وأَبْيَضَ يُستَسقَى الغَمامُ بوَجْهِه ثِمالُ الْيتامى عِصمةٌ لِلأرامِلِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

2. **الفاروق عمر رضي الله عنه.**

روى الحاكم والبيهقي وابن حبان، من حديث أبي رافع: (أن غلام المُغِيرَة أبا لؤلؤة المجوسي لقيَ عمرَ؛ فقال: إن المُغِيرَة أثقل عليَّ، فقال: اتَّق الله وأحْسِـــن إليه، ومن نيَّة عمر أن يلقى المُغِيرَة فيكلِّمه فيخفِّف عنه، فقال العبد: وَسِعَ النَّاس عدله غيري، وأضمر على قتله) ([125]).

فلمَّا كان فجر يوم الأربعاء، قبل نهاية شـــهر ذي الحجَّة بأربعة أيام- كَمَنَ أبو لؤلؤة في المسجد، ومعه سكينٌ ذات طرفَيْن مسمومةٌ، فوقف عمر يعدل الصـفوف للصـلاة، فلما كبَّر يصـلي بالنَّاس، طعنه العبد في كتفه وفي

يعني: يَتَوسَّـــلُ الناسُ بدُعائِه ﷺ حالَ حَياتِه، ويَطلُبون منه أنْ يَســـتســـقِيَ لهم، وهو ﷺ مُطْعِمُ اليَتامَى والقائمُ بِأمرِهم ومُعتمَدُهم ومَلجؤُهم، وهو حافظُ الأراملِ ومانعُهنَّ ممَّا يَضُرُّـــ، والأراملُ جمْعُ أرملةٍ، وهي مَن مات عنها زوجُها، وكأنَّ أبا طالِبٍ قد أشـــارَ في هذا الشِّـــعرِ إلى ما وقَعَ في زمنِ عبدِ المطَّلبِ حيثُ استَسـقَى لقُريشٍ والنبيُّ ﷺ معَه غُلامٌ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ مدَحَه بذلك لِمَا رأَى مِن أَماراتِ ذلك فيه وإنْ لم يُشاهِدْ وُقوعَه.

وفي الحديثِ: ما كان عليه ﷺ مِن حُسْـنِ الخَلْقِ والخُلقِ، ومُسـاعدةِ النَّاسِ. وفيه: بيانُ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ لم يكُنْ ينزِلُ مِن الاسـتسـقاءِ حتى يجيشَ كلُّ مِيزابٍ. وفيه: أنَّ الشِّـعرَ في مَدْحِ الإسـلامِ والرَّسـولِ ممدوحٌ لا مذمومٌ.

[125] . أخرجه أبو يعلى (2731) والحاكم (3/ 91) والبيهقي (4/ 16) وصـــححه ابن حبان (6905)، وقال الهيثمي في الزوائد (9/ 76): ورجاله رجال الصحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

خاصرته؛ فقال عمر:﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب، آية: 38) [126].

ثم أخذ العبد يسعى، لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه؛ حتى طعن ثلاثةَ عشرَ رجلاً، مات منهم سبعةٌ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين؛ طرح عليه بُرْنُسًا، فلما ظنَّ العِلْجُ أنه مأخوذٌ؛ نَحَرَ نفسَه.

وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف؛ فقدَّمه للصلاة بالنَّاس، فصلَّى بهم صلاةً خفيفةً، وحُمِلَ عمر إلى بيته، وقد غلبه النَّزْف حتى غُشيَ عليه، فلما أسفر الصُّبح استيقظ.

فقال: (**أَصَلَّى النَّاس؟ قالوا له: نعم، قال: لا إسلام لمن ترك الصَّلاة. ثم توضَّأ وصلَّى، وقال ابن عمر: وتساند إليَّ وجَرْحُهُ يَثْغَبُ دمًا، إني لأضع إصبعي الوسطى فما تَسُدُّ الفَتْقَ**) [127].

فقال عمر لابن عباس: (اخرجْ فنادِ في النَّاس: أعن مَلَإٍ منكم كان هذا؟ فقالوا: مَعاذَ الله، ما علمنا ولا اطَّلعنا) [128].

---

126 . محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ 1990م، (3/ 265)، والفتح (7/ 78).

127 . محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ 1990م، (3/ 263)، والفتح (7/ 79).

128 . الطبقات لابن سعد، المرجع السابق (3/ 259).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وفي روايةٍ: (فظنَّ عمر أن له ذنبًا إلى النَّاس لا يعلمه، فدعا ابن عباس، وكان يحبُّه ويُدْنِيه، فقال: أحبُّ أن تعلم عن مَلاءٍ منَ النَّاس كان هذا؟ فخــرج، لا يمرُّ بمَلاءٍ من النَّاس إلا وهم يبكون؛ فكأنما فقدوا أبكارَ أولادهم؛ فأخبره، قال ابن عباسَّ: فرأيت البِشْرَ في وجهه) ([129]).

فلما علم عمر أن الذي قتله عبدٌ مجوسيٌّ قال: (الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجَّني عند الله بسجدةٍ سجدها قطُّ) ([130]).

فلما مات رضيَ الله عنه قال عليٌّ: (ما على الأرض أحدٌ ألقى الله بصحيفته أحبّ إليَّ من هذا المسجَّى بينكم) وصلَّى عليه صُهَيْبٌ الرُّومي في مسجد رسول الله ﷺ ودُفِنَ بجانب صاحبَيْه؛ رسول الله ﷺ وأبي بكر رضيَ الله عنه.

---

[129] . جاء ذلك في رواية ابن عمر عند الطبراني في الأوسط (579)، وحسن إسناده الهيثمي في الزوائد (9/ 74-75).

[130] . إبراهيم بن محمد الحقيل، مقتل عمر- رضي الله عنه-، موقع ملتقى الخطباء، تاريخ النشر : 11-10-2022م، 15-3-1444هـ، تاريخ الاطلاع: 22-3-2025م، متاح على رابط: (https://khutabaa.com).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى مسلم والنسائي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا-، قَالَ: (إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وقدْ وُضِعَ علَى سَرِيرِهِ، إذَا رَجُلٌ مِن خَلْفِي قدْ وضَعَ مِرْفَقَهُ علَى مَنْكِبِي، يقولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صَاحِبَيْكَ؛ لأنِّي كَثِيرًا ما كُنْتُ أسْمَعُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: كُنْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، وفَعَلْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، وانْطَلَقْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، فإنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ معهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ) ([131]).

---

[131] . الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3677، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2389)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8061)، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (ص362)، بلفظ مقارب.

شرح الحديث.

في هذا الحَديثِ رَدٌّ على ضَلالِ الشِّيعةِ الرَّوافِضِ الَّذين اختَلَقوا الأكاذيبَ، وادَّعَوْا حُبَّ عليٍّ وآلِ البَيتِ، وبُغضَ عُمَرَ، وأبي بَكرٍ، وأصْحابِه ﷺ؛ بدَعْوى كُرْهِهم لآلِ البَيتِ، وقدْ كَذَبوا وضَلُّوا؛ فقدْ كان أصْحابُ النَّبيِّ ﷺ كالبُنْيانِ المَرْصوصِ، يشُدُّ بعضُه بعضًا، ولو جَرى بيْنَهم مِثلُ ما جَرى بيْن البَشرِ.

وفي هذا الحَديثِ بَيانُ ما كان عليه عَليُّ بنُ أبي طالبٍ- رَضِيَ اللهُ عنه- مِن حِفظِ حقِّ عُمَرَ، ومَعرِفةِ فَضْلِه؛ فإنَّه -كما يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما- جاء وهو واقفٌ على عُمَرَ حينَ مَوتِه، وقدْ وُضِعَ على سَريرِه، أي: على نَعشِه، فوضَعَ عَليٌّ مِرفَقَه على كَتِفِ ابنِ عبَّاسٍ، ودَعا لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ وقال: رَحِمكَ اللهُ؛ إنِّي كُنتُ لَأرْجو أنْ يَجعلَكَ اللهُ مع صاحِبَيكَ، يَعني: كُنتُ أتوقَّعُ أنْ تُدفَنَ معَ صاحِبَيكَ: النَّبيِّ ﷺ، وأبي بَكرٍ- رَضِيَ اللهُ عنه- ؛ لِأنِّي كَثيرًا ما كُنتُ أسمَعُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «كنتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ، وفَعلْتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ، وانطَلقْتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ»، يَعني: كُنتُ أظُنُّ ذلك لمُلازَمتِكَ لهما في حَياتِهما.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

3. **بلال بن رباح رضي الله عنه.**

لما حضرته الوفاة، قالت زوجته: واحزناه! فقال لها بلال: (**بل وافرحتاه، غدًا ألقى الأحبة، محمد وصحبه**)[132] وهذا من أثر الصحبة الصالحة واليقين بموعود الله.

فرَضِيَ اللهُ عن عُمَرَ، وأبي بَكرٍ، وعلِيٍّ، وآلِ البَيتِ، وسائرِ أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، اللَّهمَّ اجْعَلْنا معَهم في جنَّتِكَ بلُطفِكَ ورَحمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ.

132 . الدرجة: موضوع، وموجود في كتب التصوُّف.

وروى أحمد، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-، قال: (يقدُمُ عليكم قومٌ رقيقةٌ قلوبُهم فقدِم أبو موسَى الأشعريُّ والأشعريُّون فجعلوا يرتجِزون حين دنَوْا من المدينةِ من الرَّجَزِ غدًا نلقَى الأحبَّةَ محمَّدًا وصَحبَه). الراوي: أنس بن مالك، المحدث: ابن عساكر، المصدر: معجم الشيوخ، الصفحة أو الرقم: 1182/2، التخريج: أخرجه أحمد (12582)، وابن وهب في ((الجامع)) (224)، وابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (1543) واللفظ له، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

كان الصَّحابَةُ- رِضْوانُ اللهِ عليهم- يُحِبونَ النَّبيَّ ﷺ حُبًّا شديدًا، وكان النَّبيُّ ﷺ يُخبِرُهُم بتَمايُزِ صِفاتِهِم وفَضائِلِهِم. **وفي هذا الحديثِ يَرْوي أنسُ بنُ مالكٍ** أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "**يَقْدُمُ عليكم**"، أي: يَأْتي عليكم، "**قَوْمٌ رَقيقةٌ قُلوبُهُم**" والمَعْنى أنَّ قُلوبَهم ذاتُ خشيةٍ واستكانةٍ سريعةِ الاستجابةِ والتأثُّرِ، سالِمَةٌ من الغِلَظِ والقَسْوةِ التي وُصِفَ بها بعضُ القَبائِلِ.

قال أنسٌ- **رضِيَ اللهُ عنه-: "فقَدِمَ أبو موسى الأشْعَريُّ والأشْعَريون"** وهُمْ من أهْلِ اليَمَنِ، **"فَجَعَلوا يَرْتَجِزون"**، أي: يَنْشُدونَ **"حينَ دَنَوْا"**، أي: **اقْتَرَبوا "مِنَ المدينَةِ مِنَ الرَّجَزِ: غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ"** وهذا مِن شِدَّةِ تَلَهُّفِهِم وشَوْقِهِم لِلِقاءِ النَّبيِّ ﷺ وأصْحابِهِ في المدينَةِ. وفي الحديثِ: مَنْقبةٌ وفَضْلٌ لأبي موسى الأشْعَرِيِّ وقَوْمِهِ .

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فبلال بن رباح، صحابي جليل من السابقين بالإسلام، وكان بلال مؤذن رسول الله ﷺ مع ابن أم مكتوم، ولم يؤذن بعد وفاة النبي ﷺ إلا مرة واحدة زار فيها المدينة، فبكى الناس لأذانه، وحُق لهم البكاء.

4. **معاذ بن جبل رضي الله عنه.**

وهذا إمام العلماء ومقامهم حال السلف عند الموت: عن عمر بن قيس، عن معاذ بن جبل- **رضي الله عنه**- يقول وهو يعالج السكرات: (**انظروا أصبحنا؟ قال: فأتي فقيل: لم نصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت. فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مُغَيَّب، حبيب جاء على فاقة.**

اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْي الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُكَب عند حِلَق الذِكر) ([133]).

[133] . جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) صفة الصفوة، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: 1421هـ 2000م، (234/1).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فضل معاذ بن جبل يظهر جليًا في شهادة النبي ﷺ له بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأنه يأتي يوم القيامة متقدمًا على العلماء برتبة أو درجة، مما يدل على علمه الغزير وفضـــله العظيم في الفقه والفتوى، كما تميز بحفظه للقرآن الكريم وكان من قراءه المعدودين.

5. **أحمد بن حنبل رحمه الله.**

لما اشتد مرضه قبل وفاته، كان يقول: (**لا بعد، لا بعد، فقال له ابنه عبدالله، يا أبه ما هذا؟ قال أتاني الشـــيطان، يقول لي: نجوت مني يا أحمد، فقلت له: لا بعد، أو ليس بعد، ثم مات، وهو يردد الشهادة**)[134].

---

[134] . شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين أسد، بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت 1438 هـــ]، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ 1985م، أحمد بن حنبل، الجزء: (11) ص: 340.

هَذَا الأَثَرُ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ"؛ وَ ابْنُ عَسَـــاكِرَ فِي "تَارِيخِ دِمَشْـــقَ"؛ وَ ابْنُ أَبِي يَعْلَى فِي "طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ". . . جَمِيعُهُمْ مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلَمِ الدِّينِ، وَ هُوَ بْنُ عَمْرَوَيْهْ الصَّفَّارُ، تَارَةً عَنْ عَبْدِ اللهِ، وَ أُخْرَى عَنْ صَـالِحٍ، ابْنَيْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ بِهِ.؛؛؛ وَ ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي "سِـيَرِ أَعْلاَمِ النُّبَلاَءِ"؛ وَ كَذَا ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي "مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ"، وَ فِي "صِفَةِ الصَّفْوَةِ"؛ وَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي "البِدَايَةِ وَ النِّهَايَةِ"؛ وَغَيْرُهُمْ.

فَالأَثَرُ مَدَارُهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَ قَدْ تَفَرَّدَ بِهِ؛ وَ لَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجَمَةً، وَ هُوَ عِنْدِي مَجْهُولُ الحَالِ، فَلَمْ يُوَثِّقْهُ أَحَدٌ، وَ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ إِلاَّ اثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ، وَ هُمَا: أَبُو الفَتْحِ يُوسُـــفَ بْنُ عُمَرَ القَوَّاسِ، وَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ، فَهُوَ مَجْهُولُ الوَصْـــفِ -أَيْ ابْنَ عَلَمٍ، وَهِيَ قِصَّـــةٌ غَرِيبَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ عَلَمٍ هَذَا (ملتقى أهل الحديث، موقع المكتبة الشـــاملة: تاريخ الاطلاع: 21-3-2025م، متاح على رابط: (https://al-maktaba.org).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

العالم الجليل والناقد الفذ، الذي تميز بكرمه وسخائه، حيث كان يُعطي من يسأله ما يمتلك، واهتم بأخلاقه العالية وحسن معاملته للآخرين.

وفضل أحمد بن حنبل يكمن في قوة حفظه للعلم، وثباته على الحق خلال محنة خلق القرآن التي أدت إلى سجنه، وتفوقه في علوم الحديث والفقه، إلى جانب حسن خلقه وتواضعه ودوره الكبير في حفظ الإسلام ومنع انحراف العقائد.

6. **عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.**

وهذا عمر بن عبدالعزيز- رحمه الله-، عند موته يقول: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصّرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه، فأحدّ النظر.

فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين. قال: إني أرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض رحمه الله وسمعوا تالياً يتلو: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص، آية:83).

7. **ابن تيمية رحمه الله تعالى.**

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- يحتضر وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر، آية:54-55).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

8. **عبد الله بن المبارك رحمه الله.**

أثر عن عبد الله بن المبارك رحمه الله أنه لما حضرته الوفاة، لقنوه قول "لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" ثم نظر إلى السماء، فتبسم، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات، آية:61) [135] هذا يدل على أنه رأى خيراً من الله سبحانه وتعالى، وهي بشارةٌ حسنة.

9. **أحد المؤذنين.**

قال مصعب بن عبدالله: سمِع عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام المؤذنَ، وهو يجود بنفسه (يُحتضر)، فقال: خذوا بيدي إلى المسجد، فقيل: إنك عليل، فقال: أسمع داعيَ الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعةً، ثم مات [136].

10. **سحرة فرعون.**

قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ

---

135. الرسالة القشيرية، عبدالكريم القشيري، ج: 2، ص: 469.

136. تاريخ الإسلام، للذهبي، ج: 3، ص: 438.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّـحْرَ فَلَسَـوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَـلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَـيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّـا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَـا رَبُّنَـا خَطَـايَـانَـا أَنْ كُنَّـا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، آية: 41- 51)[137].

11. **الرجل التائب الذي قتل مائة نفس.**

روى البخاري ومسـلم، عن أبي سـعيد الخدري- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (كانَ في بَنِي إسْرائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ إنْسانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فأتَى راهِبًا فَسَألَهُ فقالَ له: هلْ مِن تَوْبَةٍ؟ قالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ.

فقالَ له رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذا وكَذا، فأدْرَكَهُ المَوْتُ، فَناءَ بصَـدْرِهِ نَحْوَها، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فأوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَقَرَّبِي، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَباعَدِي، وقالَ: قِيسُـوا ما بيْنَهُما، فَوُجِدَ إلى هذِه أقْرَبَ بشِبْرٍ، فَغُفِرَ له) (138).

---

[137] . الشـيخ صـلاح نجيب الدق، علامات حُسْـنُ الخَاتِمَةِعند الموت، تاريخ الإضـافة: 2024/9/3 م 1446/2/29هـ، تاريخ الاطلاع: 4-6-2024، متاح على رابط: (https://www.alukah.net).

[138] . الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3470، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2766) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

12. محمد بن المنكدر.

جاء صـفوان بن سـليم إلى محمد بن المنكدر، وهو في الموت، فقال:

رَحمةُ اللهِ وَسِـعَتْ كُلَّ شَيءٍ، ومِن رَحمَتِه أنَّه فَتَحَ بابَ التَّوبةِ لِعِبادِه باللَّيلِ والنَّهارِ، وحرَّمَ القُنوطَ واليأسَ مِن رَحمتِه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ ﷺ أنَّ رجُلًا مِن بَني إسرائيلَ كان قدْ قتَلَ تِسـعًا وتِسـعينَ إنسـانًا بغَيرِ حقٍّ، فأراد التَّوبةَ، فجاء إلى راهبٍ، أي: عابدٍ مِن النَّصـارى -وفي ذلك إشـعارٌ بأنَّ ذلك وَقَعَ بعْدَ رفْعِ عِيسى- عليه السَّلامُ؛ فإنَّ الرَّهبانيَّةَ إنَّما ابتَدَعها أتباعُه- فسَـأَلَه عن التَّوبةِ، فقال له: لَيس لك توبةٌ، وقد وَقَعَ هذا الرَّاهبُ في خَطأَينِ: الأوَّلُ: أنَّه ضيَّقَ رَحمةَ اللهِ، والثَّاني: أنَّه أفْتى بغَيرِ عِلمٍ. فقتَلَه الرَّجلُ وأكمَلَ بقَتْلِه المئةَ نفْسٍ.

فلمْ يَيئَسْ، بلْ جَعَلَ يَسـأَلُ مرَّةً أُخرى، إلى أنْ جاء إلى عالِمٍ مِن العُلماءِ، فسَـأَلَه عن التَّوبةِ، فقال له العالِمُ: لا يَمنَعُك مِن التَّوبةِ شَيءٌ، وأمَرَه أنْ يَذهَبَ إلى قَريةٍ مُعيَّنةٍ، يُعبَدُ فيها اللهُ- عزَّ وجلَّ-، وكانت قَريتُه قَريةَ سَـوْءٍ، فمات الرَّجُلُ في طَريقِه، ومِن رَحمةِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- به أنَّه عِندما حَضَرَته الوفاةُ ناءَ بصَـدْرِه، أي: مالَ بصَـدْرِه مُقتربًا مِن القَريةِ الصَّالحةِ التي تَوجَّهَ إليها للتَّوبةِ، ومُبتعِدًا عن قَريةِ السَّـوءِ التي خَرَجَ منها، فلمَّا مات تَخاصَمَتْ فيه -أي: تَنازَعَتْ- مَلائكةُ الرَّحمةِ ومَلائكةُ العذابِ.

وزاد في رِوايةِ مُسـلمٍ: أنَّ مَلائكةَ العَذابِ قالت: إنَّه لم يَفعَلْ خَيرًا قطُّ، ومَلائكةَ الرَّحمةِ قالت: إنَّه أَقبَل على اللهِ تائبًا، فحَكَّموا بيْنهما واحدًا، وهو مَلَكٌ أرْسَـلَه اللهُ- عزَّ وجلَّ- إليهم في صُـورةِ آدميٍّ، فقال لهم: قِيسُـوا بيْن الأَرْضَينِ؛ القَريةِ الَّتي خَرَج منها، والقريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها؛ فإنْ كان أقرَبَ للَّتي خرَج منها أخَذَتْه مَلائكةُ العذابِ، وإنْ كان أقرَبَ للقريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها أخَذَتْه مَلائكةُ الرَّحمةِ.

فأَوحَى اللهُ إلى أرضِ القَريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها: أنْ تَقرَّبي، فتَقارَبَتْ، وأَوحَى إلى الأُخرى: أنْ تَباعَدي، فتباعَدَتْ، وهذا مِن سَـعةِ رَحمةِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- بعِبادِه، فوَجَدوه أقرَبَ إلى القريةِ الَّتي كان ذاهبًا إليها بشِـبرٍ واحدٍ فقطْ، فأخَذَتْه مَلائكةُ الرَّحمةِ، ولا يُعارَضُ هذا بما هو مُقرَّرٌ مِن أنَّ حُقوقَ العبادِ لا تَسـقُطُ إلَّا باستيفائِها؛ فاللهُ تعالَى إذا رَضيَ عن المذنِبِ وقَبِل تَوبتَه، يُرْضِي عنه خَصْمَه.

وفي الحديثِ: حثُّ المُذْنبينَ على التَّوبةِ، ومَنْعُهم مِن اليَأسِ مِن رَحمةِ اللهِ تعالَى. وفيه: بَيانُ فضْـلِ العالِمِ على العابِدِ. وفيه: أنَّ مِن أعظمِ أسبابِ المعصيةِ الصُّحبةَ السَّيِّئةَ وخُلطةَ أهلِ السُّوءِ، وأنَّ مِن أعظمِ أسبابِ الطاعةِ صُحبةَ المُطِيعينَ وخُلْطتَهم. وفيه: سَعةُ فَضلِ اللهِ- تعالَى- وعَظيمُ رَحمتِه بالتَّائبِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

يا أبا عبدالله، كأني أراك قد شـــق عليك الموت، فما زال يهون عليه الأمر، وينجلي عن محمد، حتى لكأن وجهه المصـــابيحُ، ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه، لقرَّت عينك، ثم قضى ــ (مات) رحمه الله ([139]).

13. قصة رجل من اليمن.

يحكي أحد علماء المدينة في هذا الزمن أن رجلاً من أهل اليمن كان في المســـجد النبوي ملازماً له، وكان رجلاً أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، فكان كلما دخل المسجد نظر حوله فإذا وجد رجلاً خالياً لا شغل له أخذ مصحفاً وذهب إليه وقال: اقرأ علي من كلام ربي، وهكذا كلما دخل المســـجد، لم تكن القراءة ممكنة له فعوضـها بسـماع القرآن، فكلما دخل المسـجد ورأى رجلاً أخذ مصحفاً، وقال: اقرأ علي من كلام ربي.

ذات يوم دخل هذا الرجل إلى المســـجد النبوي كعادته، فرأى رجلاً خالياً فجاء إليه بمصـــحفه، وقال له: يا فلان اقرأ علي من كلام ربي، فقرأ عليه من القرآن حتى أتى على موضـع سـجدة، فسـجد القاريء وسـجد هذا العبد الصـالح معه، فرفع القارئ رأسـه، وأما هذا العبد الصـالح فلم يرفع،

[139] . صفة الصفوة، لابن الجوزي، ج: 1، ص: 380.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقبض على هذا الحال، ما أجملها من خاتمة بلزوم عمل يسير قد يكون حقيراً في نظر كثير من الناس!.

14. قصة عن حُسْنُ الخَاتِمَةِ يرويها الشيخ محمد حسان.

ومن أعجب ما سمعت في الأسبوع الماضي: قصة طفل صغير لا يجاوز العاشرة من عمره: لما ذهبت إلى القاهرة في خطبة جمعة رأيت هذا الطفل بين يدي إلى جوار المنبر، فتعلقت به وتعرفت عليه، وفي الجمعة الماضية أقبل علي والده يبكي، فقلت له: أين ولدك؟.

فبكى، قلت: سبحان الله! ما الذي حدث؟! قال: مات! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أسأل الله- عز وجل- أن يعوضك خيراً، وأن يجعله فرطاً لك على الحوض، فقال لي: والله يا شيخ! أنا ما أبكي لفراقه، وإنما أبكي لحاله، فلقد رأينا منه عجباً عجاباً.

هذا الطفل الصغير رأى الإخوة الكبار العجب العجاب في حياته؛ فقد كان يأخذ مصروفه فيشتري شريطاً، ويسمع الشريط ثم يعيره لبعض إخوانه، ويأخذ جزءاً من مصروفه فيضعه في صندوق المسجد، ويشتري بالجزء الآخر قدراً من الحلوى ليوزعه على الفقراء، سبحان الله.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وفي اليوم الكريم المبارك في أول جمعة من شهر رمضان اغتسل في بيته وقال لهم: أريد أن أخرج مبكراً حتى أكون في أول الصفوف في صلاة الجمعة، ولبس ثوباً أبيض جميلاً وتطيب وتعطر، وهو في طريقه إلى المسجد ينزل من السيارة وبينه وبين باب المسجد أمتار، فتأتي سيارة أخرى لتصدمه في الحال، فيُحمل وهو في غيبوبة الموت إلى المستشفى، وقرر الأطباء أن الطفل يحتضر، وأنه بالفعل في غيبوبة الموت.

ولما هم الطبيب أن ينصرف وقبل أن يخرج من غرفة العمليات أو من غرفة العناية المركزة، إذا بالأذان يرفع على المآذن للمساجد القريبة من المستشفى، إنه أذان الجمعة، فلتفتت الأنظار إلى هذا الطفل العجيب حينما رفع يديه وأشار بسبابته إلى السماء، بعد أن عجز لسانه أن يردد (لا إله إلا الله).

فتحرك القلب في صدره فأصدر الأوامر إلى هذه الجلود والأعضاء، فارتفعت اليد وأشارت السبابة بإعلان توحيد الله إنها الخاتمة! إنها الخواتيم يا عباد الله [140]، وغيرها من النماذج الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

[140] . محمد حسان، كتاب دروس للشيخ محمد حسان، موقع المكتبة الشاملة، تاريخ الاطلاع: 4-3-2025م، متاح على رابط: (https://shamela.ws/book).

وعلى الجانب الآخر تجد من يقال له: قل لا إله إلا الله، فيغني، أو يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب، أو يقول: هو كافر بلا إله إلا الله، أو يموت وهو سكران أو يسب دين الله تعالى، ولقد رأينا بأعيننا من يموت على خشبة المسرح وهو يعزف ويغني، نسأل الله أن يختم لنا بخير.

خاتمة الكتاب.

يتسائل كثير من الناس عن بعض الموضوعات التي تحدث للإنسان قبل موته، أو أثناء موته، ومنها؛ مرض الإنسان قبل الموت، هل هو تكفير للذنوب والسيئات، أو رفع درجة، أم أنه عقاب من الله- عز وجل-؟، وكذك ما يظهر على الميت من ابيضاض وجه أو ابتسامة ثغر، وفيما يلي توضيح ذلك.

المرض قبل الموت.

هل المرض الفتاك الذي يصيب الإنسان في كبره يعتبر من حسن الخاتمة؟ ([141]).

فإن ما يصيب الإنسان المؤمن الصالح من المصائب يكون تكفيراً لسيئاته ورفعة في درجاته، ولكن مجرد إصابة الإنسان في كبره بالأمراض لا يدل على حُسْنِ الخَاتِمَةِ، ولا على سوئها، وقد جاء في الأحاديث أن المبطون والغريق وصاحب الهدم شهداء.

[141] . علاقة المرض في الكبر بحسن الخاتمة، موقع إسلام ويب، تاريخ النشر: (الأحد 8 ربيع الآخر 1424 هـ- 8-6-2003 م) تارخ الاطلاع: 2-5-2025م، متاح على رابط: (https://www.islamweb.net).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

من يُرد الله به خيراً يصب منه، **روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله** ﷺ: (**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ**) [142].

على المسلم أن يتقبل قدر الله برضا، وليعلم أن الله- تعالى- كفر عنه خطاياه بهذا المرض قبل وفاته، فأحياناً تشدد على العبد سكرات الموت ليلقى الله طاهراً نظيفاً بلا ذنب.

---

[142] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 5641، التخريج: أخرجه البخاري (5642) واللفظ له، ومسلم (2573)، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

للصَّبرِ على المَرضِ والابتلاءاتِ ثَوابٌ عَظيمٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ وذلك أنَّ اللهَ جعَل الابتلاءاتِ كفَّاراتٍ لذُنوبِ المُؤمنِ ورِفعةً لدَرجاتِه.

وفي هذا الحديثِ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصيبُهُ مِن مَصائبِ الدُّنيا، ومِن الأمراضِ والأوجاعِ؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خَيرٌ له؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**ما مِن مُصيبةٍ**»، وتَنكيرُ كَلمةِ (مُصيبة) يُفيدُ العُمومَ والشُّمولَ؛ أيْ: أيُّ مُصيبةٍ، كَبيرةً كانتْ أو صَغيرةً؛ تُصيبُ المسلمَ، إلَّا كانتْ تَكفيرًا لذُنوبِه.

وفي حَديثٍ آخَرَ مُتَّفَقٍ عليه تَفصيلُ هذه الأشياءِ التي تُصيبُه، فسَواءٌ كانتْ تَعَبًا، أو هَمًّا، أو غَمًّا، أو حُزنًا، فما مِن مُصيبةٍ تُصيبُ العبدَ المؤمنَ إلَّا ويَرفَع اللهُ بها دَرجتَه، ويحُطُّ عنه خَطاياهُ ويُطهِّرُه بها مِن ذُنوبِه ومَعاصِيه، حتَّى لو كانتْ هذه المصيبةُ شَوكةً تُصيبُ العبدَ فتُؤلِمُه، فيَصبِرُ على أذاها ووَجعِها احتسابًا للهِ تعالَى دونَ تَسخُّطٍ وشَكوَى لأحدٍ؛ فإنَّ اللهَ سُبحانَه يُكفِّرُ بها مِن خَطايا العَبدِ تَفضُّلًا وتَكرُّمًا منه جَلَّ وعلَا على عَبدِه المُسلِمِ. **وفي الحَديثِ:** بيانُ فَضلِ اللهِ على عِبادِه المؤمنينَ ورحمتِه بهم بغُفرانِ الذُّنوبِ بأقَلِّ ضَرَرٍ يُصيبُهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ومن يقول إن المرض قبل الموت تعذيب من الله تعالى لذنبه، فسيدنا محمد ﷺ مرض قبل وفاته، فهل كان له ذنباً!.

والمرض قبل الموت، فهو من علامات إرادة الخير للميت، روى الترمذي والبيهقي، **عن أنس بن مالك- رضي الله عنه-**، قال رسول الله ﷺ: **(إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذَا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة)** ([143]).

---

[143] . الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2396، خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (2396) واللفظ له، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (316)، والبغوي في ((شرح السنة)) (1435) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

الإنسانُ لا يَخلو مِن خَطأٍ ومعصيةٍ وتقصيرٍ في الواجبِ، ومَن لَطَف اللهُ به وأرادَ به خيرًا عَجَّلَ له عُقوبةَ ذَنبِه في الدُّنيا؛ لأنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ عليه مِن عذابِ الآخِرَة.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**إذا أراد اللهُ بعبدِه الخيرَ**"، أي: إذا قضَى وقدَّرَ رَحمتَه لِعبدٍ مِن عبادِه، "**عجَّل له العقوبةَ في الدُّنيا**"، أي: ابتَلاه بما يَسُوءُه، إمَّا في مالِه، أو نفسِه، أو أهلِه؛ وذلك لأنَّ الابتلاءَ يكفِّرُ السَّيِّئاتِ، والمؤمنُ لا يَقْوَى على عذابِ الآخرةِ؛ فذلك مِن عظيمِ رحمةِ الله بعبدِه المؤمنِ؛ فإنَّه يُوافي اللهَ يومَ القِيامةِ وليس عليه ذَنبٌ، قد طهَّرَتْه المصائبُ والبلايَا.

قال ﷺ: "**وإذا أراد اللهُ بعبدِه الشَّرَّ**"، فالأمورُ كلُّها بيدِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- وبإرادتِه؛ فإنَّه سبحانَه ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [البروج: 16]، "**أمسَك عنه بذَنْبِه**"، أي: لم يُعجِّلْ عُقوبتَه على ما ارتكَبه مِن الذَّنبِ، وجمَع له ذنوبَه وسيِّئاتِه دون أن يُجازيَه بشيءٍ منها في الدُّنيا، "**حتَّى يُوافيَ به يومَ القيامةِ**"، أي: حتَّى يَلْقاه بها يومَ القيامةِ، فتكونَ عُقوبتُه مِن نارِ جهنَّمَ على قدرِ ما كانتْ عليه مِن سيِّئاتٍ.

وبيانُ إرادةِ اللهِ- تعالى- الخيرَ والشرَّ بعِبادِه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلَقَ الخيرَ والشرَّ، وبيَّن الأمرَ لِعبادِه وعَرَّفهم الخيرَ والشرَّ، فإذا اختارَ العبدُ طريقَ الشرِّ بعدَ أنْ عرَّفَه، فقدِ اختارَ لنَفْسِه أمرًا ممَّا أراده الله وخَلَقَه، ويعاقب عليه، وإرادتُه للشرِّ إرادةٌ قدريَّة؛ لحِكمةٍ يَعلَمُها، وعُقوبةُ مَن يستحقُّ العقوبةَ خيرٌ محضٌ إذ هو

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وقد دلت النصوص الشرعية على أن ما يصيب المسلم في هذه الدنيا من آفات وبلايا كالمرض وغيره يكون كفارة لذنبه أو رفعاً لدرجته.

ابتسامة الميت.

هل الابتسامة من علامات حسن الخاتمة؟

لم يرد دليل يؤكد أن التبسم قبل الموت أو بعده من علامات حسن الخاتمة، فليس هناك نص صحيح صريح، ولكن هذا يفهم من عدة نصوص، فإن المحتضر إن كان من أهل السعادة، فإنه يرى ملائكة الرحمة بيض الوجوه، معهم أكفان من الجنة، وحنوط من الجنة، فيفرح بذلك.

روى أحمد عن البراء بن عازب- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ، معهُمْ كفنٌ من أَكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ.

عينُ العدلِ والحِكمةِ، وذلك يكونُ شرًّا بالنسبةِ للخَلقِ، فالشرُّ وقَع في تَعلُّقِه بهم وقيامِه بهم، لا في فِعلِه القائمِ به سبحانَه وتعالى.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتَّى يَجلِسَ عندَ رأسِه، فيَقولُ: أيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إلى مغْفِرةٍ من اللَّهِ ورِضْوَانٍ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ، فيَأْخذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ، حتَّى يَأْخُذُوها فيَجْعَلُوهَا في ذلكَ الكَفَنِ وفي ذلكَ الحَنُوطِ، فيَخْرُجُ منها كأَطيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وجْهِ الأرضِ، فيَصْعَدُونَ بِها، فلا يمُرُّونَ بها على مَلَكٍ من الملائِكَةِ إلَّا قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟

فيقولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ، بأَحْسَنِ أسمائِه الَّتي كانُوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنْيَا، حتَّى ينْتَهُوا بها إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحون له فَيُفْتَحُ له، فيُشَيِّعُهُ من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السَّماءِ الَّتي تلِيها، حتَّى يُنتَهَى إلى السَّماءِ السَّابِعةِ.

فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبُوا كِتابَ عبدِي في علِّيِّينَ، وأَعِيدُوا عَبدِي إلى الأرضِ، فإنِّي مِنها خَلَقتُهم، وفِيها أُعِيدُهُم، ومِنها أُخْرِجُهم تارةً أُخْرَى. فتُعادُ رُوحُه، فيَأتِيهِ مَلَكانِ، فيُجْلِسانِه، فيَقولانِ له: مَن ربُّكَ؟

فيقولُ: رَبِّيَ اللهُ، فيَقولانِ له: ما دِينُكَ؟ فيَقولُ: دِينِيَ الإسلامُ، فيَقولانِ له: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكُم؟ فيَقولُ: هو رسولُ اللهِ، فيَقولانِ له: ومَا عِلْمُكَ؟ فيَقولُ: قَرأتُ كِتابَ اللهِ فآمَنتُ به وصَدَّقْتُ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فيُنادِي مُنادٍ من السَّـماءِ: أنْ صَـدَقَ عَبدِي، فَأفْرِشُـوه من الجنَّةِ، وألْبِسُـوهُ من الجنَّةِ، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنَّةِ، فيَأتِيهِ من رَوْحِها وطِيبِها، ويُفسـحُ له في قَبرِهِ مَدَّ بَصرِهِ، ويَأتِيهِ رَجلٌ حَسَـنُ الوَجهِ، حَسـنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيـحِ، فيَقولُ: أبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هذا يَومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ لهُ: مَن أنتَ؟ فوجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخيرِ، فيَقولُ: أنَا عَملُك الصَّالِحُ، فيَقولُ : رَبِّ أقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أقِمِ السَّاعَةَ.

وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخِرةِ، نزل إليه من السَّـماءِ ملائكةٌ سُـودُ الوجُوهِ، معَهُمُ المُسُـوحُ، فيجلِسُـونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِـهِ، فَيَقُولُ: يَا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إلى سَـخَطٍ من اللَّهِ وغَضَـبٍ، فَتَفرَّقُ في جَسَدِهِ فيَنتَزِعُهَا كَما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المَبْلُولِ، فيَأْخذَها.

فإذا أخذَها لَم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ حتَّى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ الْمُسُـوحِ، يخرجُ منهـا كـأَنْتَنِ ريحِ جِيفَـةٍ وُجِـدَتْ على ظَهْرِ الأَرضِ، فيصْـعَدُونَ بِها، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَكٍ من الملائِكَةِ إلَّا قَالُوا: ما هذا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فيَقُولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ، بأَقْبَحِ أسْـمَائِهِ التي كان يُسَـمَّى بِهَا في الدُّنْيَا، حتى يُنتَهى بِهَا إلى سـمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْـتَفْتَحُ لهُ، فلا يُفْتَحُ لهُ،

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾، قال: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَه في سِجِّينٍ في الْأَرْضِ السُّفْلَى.

قال: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، قال: فتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، ويَأْتِيهِ ملَكَانِ فَيُجْلِسَانِه، فيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيَقُولُ: هَاهَا لا أدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: ومَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لا أدْرِي، فيَقُولانِ له: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فِيكُم؟

فيَقولُ: هَاه هَاه لا أدْرِي، فيُنادِي مُنادٍ من السَّماءِ: أنْ كَذَبَ عَبدِي، فأفْرِشُوهُ من النَّارِ، وافْتَحُوا له بابًا إلى النَّارِ، قال: فَيَأْتِيهِ مِن حَرِّهَا وسَمُومِهَا، ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أضْلَاعُهُ، ويَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، وقَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ.

فَيَقُولُ: أبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هذا يَوْمُكَ الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فيَقُولُ: ربِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ) ([144]).

---

[144] . الراوي: البراء بن عازب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 1676، التخريج: أخرجه أحمد (18534)، وابن أبي شيبة (12185)، وهناد في ((الزهد)) (339)، والآجري في ((الشريعة)) (864) جميعهم بلفظه. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

شرح الحديث.

أَرسلَ اللهُ تعالى نبيَّه مُحمَّدًا ﷺ بَشيرًا ونذيرًا، فَبشَّرَ مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحًا بالخيرِ والنَّعيمِ عند اللهِ، كما حذَّرَ وأنذَرَ مَن كَفرَ مِن العذابِ والمهانةِ بعد المَوتِ عند الله، وبَيَّنَ أنَّ القَبر أوَّلُ مَنازِلِ الآخِرةِ، وفيه يَلْقى المَيِّتُ أوَّلَ دَرجاتِ الحِسابِ.

وفي هذا الحديث يَحكي البَراءُ بن عازِب الأنْصاري- **رضِيَ اللهُ عنه-**، فيقولُ: «**خَرَجْنا مع رَسولِ الله ﷺ في جِنازةِ رَجُلٍ من الأنْصارِ**»؛ لِتشْييعِها إلى القَبرِ، «**فانْتَهَينا إلى القَبرِ وَلَمَّا يُلَحَدْ**»، أي: وَصَلْنا وَلم يكُن اللَّحدُ جَاهزًا، وكانوا لا يَزالونَ يَحفِرونَه، واللَّحْدُ: حُفرةٌ في جانِبِ القَبرِ؛ بحيثُ لا يكونُ المَيِّتُ تحتَ فَتحةِ القَبرِ مُباشَرةً.

قال: «**فجَلسَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وجَلسْنا حَولَه كَأنَّما عَلى رُؤوسِنا الطَّيرُ**»، أي: جَلسْنا في هُدوءٍ وصَمتٍ وسَكينةٍ ووقارٍ تَامٍّ، «**وفي يَدِه عُودٌ يَنكُتُ به في الأرْضِ**»، أي: كان في يَدِه عَصًا صَغيرةٌ يَضرب بها في الأرضِ كأنَّه مَهمومٌ بِأمرٍ، «**فَرَفع رَأسَه فَقال: اسْتَعيذوا بِاللهِ من عَذابِ القَبرِ- مرَّتينِ أو ثَلاثًا-**»، أي: اطْلُبوا من اللهِ الحِمايةَ والوِقايةَ من العذابِ الذي يكون في القَبرِ بعدَ الدَّفنِ، وكرَّر هذا مَرَّتَينِ أو ثلاثَ مرَّاتٍ؛ للتأكيدِ.

وقد رُوي هذا الحديث من طَريقَين، وجَمعَ المُصنِّفُ بينهما هنا، وبَيَّنَ ما قالَه كُلُّ رَاوٍ في رِوايَته، فقال: «**زادَ في حَديثِ جَريرٍ ها هنا**»؛ وهو: جريرُ بنُ عَبدِ الحَميدِ الضَّبيُّ الكُوفيُّ، أحَدُ رُواةِ هذا الحديث- وقال: «**وإنَّه ليَسْمَعُ خَفقَ نِعالِهم إذا وَلَّوْا مُدبِرين**»، أي: وإنَّ المَيتَ ليَسمَعُ صَوتَ ضَربِ الأرْجُلِ بالأحْذِيةِ عِندَ انْصرافِ النَّاس مِن الدَّفنِ، «**حين يُقالُ له: يا هذا، مَن رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ ومَن نَبيُّك؟**»، وهذه هي الأسئلةُ الثَّلاثةُ التي تكونُ في القَبرِ، وهي السُّؤالُ عن الرَّبِّ، وعن النَّبيِّ ﷺ، وعنِ الدِّين، تُطرَحُ على المَيِّتِ عِند أوَّلِ دُخولِه القَبرِ، وعند انْصرافِ النَّاسِ من الدَّفنِ، وتُطرَحُ للاخْتبارِ والامْتحانِ.

«**قال هَنَّاد**»؛ وهو: ابْنُ السَّرِّي، أحَدُ رُواةِ هذا الحديثِ، في رِوايَتِه مُفسِّرًا ومُفصِّلًا هذِه الأسئلةَ: «**ويَأتيه مَلَكانِ فَيُجلِسانِه، فَيقولانِ له: مَن رَبُّكَ؟ فيقول: رَبي اللهُ، فيقولان له: ما دِينُك؟ فيقول: دِيني الإسلامُ، فيَقولان له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعثَ فيكم؟ قال: فيقول: هو رَسولُ الله ﷺ، فيقولان: وما يُدْريك؟**»، أي: ما سَببُ عِلمك ودِرايَتك برِسالتِه، أو ما سَببُ إقْرارِك باللهِ ورَسوله ودينِه، أمُجرَّد التَّقليد في التَّصديق، أو بِطريق البُرهان والتَّحقيقِ؟

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

«**فيقول: قرَأتُ كِتابَ اللهِ فَآمَنتُ به**»، أي: قَرأتُ القُرآنَ، أو عَلِمْتُ ما فيه فآمَنتُ به وبما فيه، وفيه الإيمانُ باللهِ ورسُلِه وكُتُبِه وغير ذلك، «**وَصدَّقْتُ**»، أي: وصَدَّقْتُ تَصديقًا قَلبيًّا جَازمًا، وهذه الأسئلةُ تكونُ بهذه الإجاباتِ إذا كان الميِّتُ مُؤمنًا، قال: زادَ في حديثِ جَرير: فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: 27]، أي: يُوفِّقُ اللهُ الذينَ آمَنوا به في الدُّنيا ويَهديهِم إلى صَوابِ الجَوابِ والحَقِّ في الدُّنيا، وعندَ السُّؤال في القَبرِ، وعِند اللهِ تعالى.

قال المصـــنِّفُ أبو داود: «**ثُمَّ اتَّفَقا**»، أي: الرَّاوِيانِ في رِوايتِهما للحديثِ، فقَالا: «**فَيُنادي مُنادٍ من السَّـــماءِ**»، وهو الحقُّ عَزَّ وجلَّ: «**أنْ قدْ صَـــدَقَ عَبدِي**»، أي: صَـــدقَ في أجْوبَتِه وقد كان يُؤمِنُ بذلك في حَياتِه، «**فأفْرِشـــوه من الجَنَّةِ**»، أي: اجْعَلوا له فِراشًـــا من الجنة يَجْلسُ عليه ويَتنَعَّم، «**وافْتَحوا له بابًا إلى الجَنَّةِ، وألبِســـوه من الجَنَّةِ**»؛ جزاءً له على إيمانِه، فيَرْفُلُ في النَّعيم، قال: «**فيأتيه من رَوحِها وطيبِها**»، أي: مِن نَسيمِها ورَائحَتها الزَّكيَّةِ العَطرةِ، «**قال: ويُفتَح له فيها مَدَّ بَصَرِه**»، تَوسِعةً عَليه وَتنعيمًا له في قَبرِه.

ثُمَّ بيَّن حالَ الكافِرِ «**قال: وإنَّ الكافِرَ، فَذكر مَوتَه**»، أي: إذا مات ودُفِنَ وانْصرفَ عنه النَّاسُ، «**قال: وتُعادُ رُوحُه في جَســـدِه ويأتيه مَلكان فَيُجلِســـانِه فيقولان: مَن رَبُّكَ؟ فيقول: هاه هاه هاه!! لا أدري**»، وهذا قولُ الحَيرانِ الذي لا يَدْري ما يقولُه، «**فيقولان له: ما دِينُكَ؟ فيقول: هاه هاه!! لا أدري، فيقولان: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فيكم؟**

فيقول: هاه هاه!! لا أدري. فيُنادي مُنادٍ من السَّـــماءِ: أنْ كَذَبَ»، أي: كذَب في قَولِه لا أدْري؛ لأنَّ اللهَ عَرَّفَه الحَقَّ، وجَاءه خَيرُ الرُّسُل، وعَلِمَ أنَّ الإسلامَ هو الحَقُّ، ولكنَّه كَذَّبَ ذلك كُلَّه في حَياتِه، «**فَأفْرِشوه من النَّارِ، وألبِســـوه من النَّارِ**»، أي: تُحيطُه النَّارُ من تَحتِه وحَولِه كُلِّه كأنَّه يَلبَسُـــها، «**وافْتَحوا له بابًا إلى النَّارِ، قال: فَيأتيه مِن حَرِّها وسَـمومِها**»؛ والسَّـمومُ شِـدَّةُ حَرارَتها، فكأنَّه يُزادُ له الحَرُّ والعَذابُ؛ تَعذيبًا له على كُفرِه في حَياتِه مع وضـوحِ الدَّلائلِ وعِلمِه بها، «**قال: ويُضَـيَّقُ عليه قَبرُه حتى تَخْتَلفَ فيه أضْـلاعُه**»، أي: تَدخل أضْلاعُ صَدرِه بعضُها في بَعضٍ مِن شِدَّة التَّضييقِ عليه في قَبرِه.

قال: «**زادَ في حديثِ جَرير قال: ثُمَّ يُقَيَّضُ له أعْمى أبْكَمُ-**» لا يَراهُ ولا يَسمَعُ صُراخَه، فلا تَأخُذُه به رَحْمةٌ ولا شَفَقةٌ، «**معه مِرْزَبَةٌ من حَديدٍ**»، أي: معه مِطْرقةٌ من الحَديدِ، «**لو ضُرِبَ بها جَبلٌ لصارَ تُرابًا**»؛ لقُوَّتِها وشِـدَّةِ الضَّربِ بها، «**قال: فَيضْرِبُه بها ضَربةً يَسـمَعُها ما بين المَشرِق والمَغرِب إلا الثَّقلَين**»، أي: يَسمَعُ صُراخَه كُلُّ الخَلائقِ إلَّا الإنسَ والجِنَّ؛ فإنَّ اللهَ جعَلَ بينهما وبين هذا العذابِ حِجابًا فلا يَسْمعونَه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

في الختام.

يمكن القول بأن: حسـن الخاتمة هو مطلب كل مسـلم، وهو توفيق من الله للعبد ليكون على عمل صالح عند وفاته، حسن الخاتمة لا يقتصر على الموت في المسـجد أو على سـجادة الصـلاة، بل هو حالة قلبية وعمل مستمر يظهر في حياة الإنسان واستقامته على طاعة الله.

أهمية حسن الخاتمة.

لحُسنِ الخَاتِمَةِ أهمية وفوائد جمة، ومنها ما يلي:

1. **مصير أبدي:** حسن الخاتمة مرتبط بمصير الإنسان في الآخرة، فمن مات على طاعة الله ورضاه فاز بالجنة، ومن مات على معصيته وغضبه فقد خسر.

«فَيصـيرُ تُرابًا»، من شِـدَّة الضَّرـبةِ التي تَسـحَقُه فَيتَحوَّلُ إلى تُرابٍ، قال: «ثُمَّ تُعادُ فيه الرُّوحُ»؛ وذلك لِيعادَ له العَذابُ. وفي الحديثِ: التَّنبيهُ إلى فَضـلِ الإيمان ومَغبَّةِ الكُفرِ في القَبرِ وبَعدَ المَوتِ. وفيه: بيانُ أنَّ في القَبر نَعيمًا للمُؤمنِ، وعَذابًا للكافِرِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

2. **ثمرة الإيمان والعمل الصالح:** حسن الخاتمة هو تتويج لسنوات من الإيمان والعمل الصالح، وهو دليل على قبول الله للطاعات والعبادات.
3. **دعاء مستجاب:** المؤمن يدعو الله دائمًا أن يرزقه حسن الخاتمة، وأن يثبته على الحق حتى يلقاه.
4. **علامة على الصلاح:** حسن الخاتمة دليل على صلاح العبد واستقامته في حياته، فهو يظهر في سلوكه وأخلاقه وتعاملاته مع الناس.

أسباب حسن الخاتمة.

كي ينال المؤمن خاتمة حسنة، عليه أن يحصل أسباب حسن الخاتمة، ومنها ما يلي:

1. **المداومة على الطاعة:** من أهم أسباب حسن الخاتمة الاستمرار في أداء العبادات وفعل الخيرات، ومن أعظم ثمار المداومة على العمل الصالح، أنها سبب لحسن الخاتمة والفوز بالجنة، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة.
2. **التوبة النصوح:** تجديد التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي من الأمور التي تقرب العبد من الله وتجعله مستحقًا لحسن الخاتمة.
3. **الخوف من الله:** الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن من الأسباب التي تدفع العبد إلى فعل الخير وتجنب المعاصي.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

4. **الصدق في العبادة:** الإخلاص لله في العبادة والبعد عن الرياء والنفاق من أهم أسباب حسن الخاتمة.

كيفية تحقيق حُسنِ الخَاتِمَةِ.

كي يحقق المؤمن خاتمة حسنة، عليه أن يحصل أسباب حسن الخاتمة، ومنها ما يلي:

1. **الاستقامة على طاعة الله:** الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه في جميع شؤون الحياة.
2. **تزكية النفس:** العمل على تطهير القلب من الأخلاق السيئة والتحلي بالأخلاق الحميدة.
3. **الدعاء والإلحاح على الله:** طلب التوفيق من الله في الدنيا والآخرة واللجوء إليه في كل حين.
4. **الصحبة الصالحة:** مصاحبة أهل الخير والصلاح والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم.
5. **تذكر الموت:** الاستعداد للموت بالعمل الصالح والاستعداد للقاء الله.
6. **البعد عن أسباب سوء الخاتمة:** فإنّ من أسبابِ حُسن الخاتمةِ الخوفُ من سوء الخاتمة، والبعد عن أسبابها، وهي، فساد المعتقد، والانغماس في البدع، النفاق، ومخالفة الباطن للظاهر، والتسويف بالتوبة، وطول

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

الأمل، وحب الدنيا، وتعلق القلب بغير الله، وإلف المعاصي، والإصرار عليها، والانتحار، واليأس من رحمة الله، ومصاحبة أهل الفساد، وعدم الاستقامة على الطاعة، نسأل الله- تعالى- أن يرزقنا حسن الخاتمة، وأن يتوفانا وهو راضٍ عنا.

وخلاصة القول: إن حسن الخاتمة يتحقق بالاستمساك بتقوى الله، والمداومة على العمل الصالح، والحذر من المعاصي، والصدق مع الله، والرجاء في رحمته مع الخوف من عقابه، مع تذكير بأن الأعمال بخواتيمها وأن العبد لا يضمن خاتمته إلا بالعمل الدؤوب على الأسباب الحسنة.

وكذلك فإن الحديث عن سوء الخاتمة، يعتبر دعوة للتفكر والعمل الصالح، حيث تُذكر العبد بأن أعماله بالخواتيم، وأن الإكباب على الدنيا والإقدام على المعاصي من أكبر أسباب سوءها، وتدعو إلى اغتنام العمر في الطاعات، والحذر من الاغترار بالعمل، مع استحضار الخوف من الموت والمعاد، ونسأل الله الرحمن الرحيم أن يعصمنا من سوء الخاتمة وأن يختم لنا بالحسنى.

الكاتب: د.أسامة الشريف.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فهرس الكتاب.

أَسْبَابُ وَعَلَامَاتُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ والفَوزِ بالجَنَةِ.

م	الموضوع.	الصفحة.
.1	مُقَدِمَةُ الكتاب.	5-2
	الفصل الأول: مفهوم حُسْنُ الخَاتِمَةِ.	26-6
.1	مُقَدِمَةٌ.	7
.2	الأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة.	10
.3	الأعمال بالنيات.	12
.4	الأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة.	13
.5	العبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات.	14
.6	السَّعيُ لحُسْن الخَاتِمَةِ.	15
.7	المؤمن بين الخوف والرجاء.	17
.8	التفاؤل من الإسلام.	19
.9	حكمة الله في إخفاء مصير المُتَوَفَى.	21
.10	الترغيب في حُسْنِ الاستعدادِ للموت.	22
.11	خاتمة.	25
	الفَصْلُ الثَانِي: أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.	105-27
.1	مُقَدِمَةٌ.	28
.2	أَسْبَابُ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.	33
	.1 الإيمان بالله جل وعلا.	33
	.2 سلامة المعتقد، وصحة الإيمان.	40
	.3 إخلاصُ النيةِ لله، والصدقُ في عبادتِه.	42
	.4 الاستقامةُ والمداومة على العمل الصالح.	48
	.5 المحافظة على الصلوات.	51
	.6 فِعْلُ ما يوعظ به العبد.	54
	.7 حُسنَ الظنِّ بالله- تعالى-، والالتجاء إليه، والتوكل عليه.	57
	.8 كثرة ذكر الله.	60
	.9 تجنب ظلم الناس.	63
	.10 تعجيلُ التوبةِ والصدقُ فيها.	67

	11. الإحسان إلى الناس.	72
	12. التزامِ الأعمالِ الصالحةِ والاستمرارِ عليها.	74
	13. الاهتمام بصلاح القلب.	75
	14. فعل الطاعات وترك السيئات.	78
	15. تقوى الله- تعالى- في السرّ والعلن.	79
	16. اجتناب الكبائر والمعظّمات من الذنوب.	80
	17. اتّباع هدي النبي ﷺ.	82
	18. حسن اختيار الرفيق.	83
	19. الابتعاد عن البدع.	89
	20. كثرة ذكر الموت وزيارة القبور والعدة لذلك.	90
	21. التضرع إلى الله، والإلحاح.	96
3.	خاتمة.	104
	الفَصْلُ الثَالثُ: عَلَامَاتُ وَأَمَارَاتُ حُسنِ الخَاتِمَةِ.	106- 149
1.	مُقَدِمَةٌ.	107
2.	المداومة على العمل الصالح شعار المؤمنين.	111
3.	علامات حسن الخاتمة.	118
	1. النطق بالشهادة عند الموت.	119
	2. الموت برشح الجبين.	120
	3. الموت ليلة الجمعة أو نهارها.	121
	4. الموت على عمل صالح.	124
	5. الثناء على الميت من قبل ذوي الاستقامة والصلاح.	125
	6. الموت غازياً في سبيل الله.	131
	7. الموت بمرض الطاعون.	137
	8. الموت بداء البطن.	139
	9. الموت بسبب الهدم والغرق	140
	10. موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به.	144
	11. الموت بالحرق وذات الجنب والسل.	145
	12. المدافع عن ماله أو عرضه أو نفسه.	146
	13. الموت رباطاً في سبيل الله.	147
4.	خاتمة.	149
	الفَصْلُ الرَابِعُ: نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةِ.	150- 170

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

.1	مُقَدِمَةٌ.	151
.2	نَمَاذِجُ مِنْ حُسْنِ الخَاتِمَةَ.	152
	.1 الصديق أبو بكر رضي الله عنه	153
	.2 الفاروق عمر رضي الله عنه.	157
	.3 بلال بن رباح رضي الله عنه.	161
	.4 معاذ بن جبل رضي الله عنه.	162
	.5 أحمد بن حنبل رحمه الله.	163
	.6 عمر بن عبدالعزيز رحمه الله	164
	.7 ابن تيمية رحمه الله تعالى.	164
	.8 عبد الله بن المبارك رحمه الله.	164
	.9 أحد المؤذنين.	165
	.10 سحرة فرعون.	165
	.11 الرجل التائب الذي قتل مائة نفس.	166
	.12 محمد بن المنكدر.	167
	.13 قصة رجل من اليمن.	168
	.14 قصة عن حُسْنُ الخَاتِمَةِ يرويها الشيخ محمد حسان.	169
	خاتمة الكتاب.	183 -170
.1	المرض قبل الموت.	171
.2	ابتسامة الميت.	174
.3	في الختام.	180
	.1 أهمية حسن الخاتمة.	181
	.2 أسباب حسن الخاتمة.	181
	.3 كيفية تحقيق حُسن الخَاتِمَةِ.	182
	فهرس الكتاب	186 -184

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

International Journal of Arabic Language and Literature Research

(IJALR)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353